السير والسلوك
الى ملك الملوك

المكتبة الصوفية

السير والسلوك إلى ملك الملوك

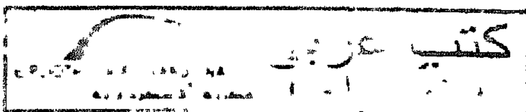
تأليف

الشيخ العارف الكبير قاسم بن صلاح الدين الخاني

(ت ١١٠٩ هـ)

دراسة وتحقيق

سعيد عبد الفتاح



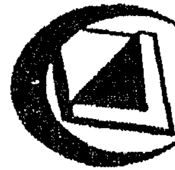
كتب عربي
رقم التسجيل ٧٢٢٨٧

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م
جميع الحقوق محفوظة للناشر

رقم الإيداع	٢٠٠١/١٧٤٤٤
I. S. B. N الترقيم الدولي	977- 431- 062 - 5



الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر - القاهرة
ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - ف: ٥٩٣٦٢٧٧

To: www.al-mostafa.com

إهداء

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته
حتى يعود إليه الطرف مشتاقا
إلى نادرة هذا الزمان المُربِّى الصوفى
سليل بيت النبوة شيخى، وحبيبى وقدوتى
سماحة الإمام:
صلاح الدين التجانى الحسنى

سعيد

«ما ظهرت حقيقة قط في الوجود إلا قوبلت بدعوى مثلها، وإدخال ما ليس منها عليها، ووجود تكذيبها، كل ذلك ليظهر فضل الاستئثار بها، وتتبين حقيقتها، بانتفاء معارضها.

﴿ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ﴾ (٥٢) الحج.

وللوارث نسبة من الموروث، و «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل».

«إنما يُبتلى الرجل على قدر دينه» فمن كان من أهل هذا الطريق مُبتلين بتسليط الخلق أولا، وبإكرامهم وسطا، وبهما آخرا.

قيل: لئلا يفوتهم الشكر على المدح، ولا الصبر على الذم، فمن أراده فليوطِّن نفسه على الشدة.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (٣٨) الحج

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾» (٣) الطلاق.

(قاعدة ٢٤)

من قواعد التصوف لزروق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

يمكن لقارئ هذا الكتاب أن يضع نفسه أمام المرآة التى وضعها المؤلف، بذكاء شديد، ليعرف أين هو؟ فـإن لم يعرف بالدّقة المطلوبة لحجاب مـثلاً أو لغيره، فإنه سيـتعرف على طبائع النفوس ودرجاتها وترقياتها، وكيفيـة التعامل معها، والخلاص من سوء أخلاقها، ثم عمل المجاهدات اللازمة لترقيها.

فأول ما يطرحـه المؤلف هو التعريف بقيمـة الخلق والوجود، وهو طرح لا يصدر إلاّ من عالم جليل، يُحب للناس مـا يحب لنفسه، فيدلهم على طريق الهـداية من حيث عرف وكيف عرف، عملا بالمشهور: الناجى يأخـذ بيد أخيه، أو: من دل على خير فله أجر من عمل به، أو ما فى هذين المعنيين.

ثم أردف بعد افتـتاحيته القوية مـقدمة يدلل بها على حقيـقة فهمه لطبيـعة هذا الكتاب فعرف أن من يقـرأ مثل هذه الكتب يحتاج فى كثـير من الأحيان إلىٰ التعـريف بمصطلحات القوم، فعمل على شرح عدد مهم من المصطلحـات فى المقدمة، ثم قسم كتابه إلى عشرة أبواب وخاتمة، ضمن الأبواب العشرة الحديث عن مـدارج النفس ومنازلها السبعة، وكيف يمكن للسـالك أن يترقى من منزل إلى آخـر لمحـاولة رفع الحجب الظلـمانية ثم الـحجب النورانية لتتمكن الروح من الانطلاق فى سراح الوجود.

أمَّا ما هو السير، والسلوك، والسـالك، ودلالات كل منهم، وماذا يفعل الإنسان بهذه المصطلحات والمعانى العالية، وكيف؟.

فإننا اخترنا نصوصـًا لأئمة كبار أمثال: سيدى محـيى الدين بن عربى، وسيدى صلاح الدين التجانى، والرازى والقاشانى وغيرهم.

فأمامنا الآن، فى موضوع هذا الكتاب، سير، وسلوك، وسالك، ومُسَلِّك.

والسَّيْرُ: لغة: الذهاب، سَارَ، يَسِيرُ، سَيْرًا، ومَسِيرًا، وتسيارًا، ومسيرة، وسيرورة.

ويُقال: سار القوم يسيرون سيرًا... إلخ.

أى: إذا امتد بهم السير فى جهة توجّهوا إليها، والسيرة: الطريقة.

وفى القرآن الكريم: ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَىٰ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾(٤).

وقد تبين فى هذه الآيات جميعًا الاشتراك اللفظى والمعنوى، ومدى قربهما، وقرب دلالات كل منها للآخر، فمنبع الكل واحد، وهو مادة (س، ى، ر).

وقال رسول الله ﷺ: «سيروا سبق المُفرِّدون».

قالوا: يا سول الله، وما المفرِّدون؟.

قال: المهتزّون الذين يهتزون فى ذكر الله عز وجل، يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافًا»(٥).

أمَّا عند أهل التصوف: فالسير نوعان:

- سيرٌ إلى الله.
- وسيرٌ فى الله.

* فالسير إلى الله له نهاية، فينبغى له أن يسير حتى يعرف الله، فإذا عرف الله انتهى.

أما السير فى الله فبلا انتهاء(٦).

والسير نوعان: مُحبّى، ومحبوبى.

فالسير المحبّى: هو الذى يتقدَّم فيه السلوك على الجذبة، والفناء على البقاء.

والسير المحبوبى: هو الذى يتأخر فيه السلوك عن الجذبة، وكذا البقاء الأصلى على الفناء.

---

(١) الآية (٢١) من سورة طه.
(٢) الآية رقم (١١) من سورة الأنعام.
(٣) الآية رقم (٣١) من سورة الرعد.
(٤) الآية رقم (١٨) من سورة سبأ.
(٥) حديث: (سبق المفردون...).
قال الهروى فى «منازل السائرين» أحسنها طريقا، وأجودها سندًا، حديث العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ وهو مخرج فى صحيح مسلم، انظر منازل السائرين المقدمة (٨).
(٦) انظر: ابن منظور: لسان العرب ماده (سير) القاشانى: معجم اصطلاحات الصوفية بتحقيقنا ٢/ ٣١، التهانوى: كشاف اصطلاحات الفنون ٣/ ١٦٨، الجرجانى: التعريفات.

أمَّا السالك: فهو من ترقَّى فى إرادته بالسلوك عن المقامات، ولم يصل بعد إلى مقام المعرفة، فمرتبته فوق المريد، ودون العارف، ولا يطلق السالك عند الطائفة إلا على من مشى على المقامات بحاله لا بعلمه، فكان العلم له عينًا.

فالسالك: هو الذى يسير فى طريق الله حتى يبلغ المقصود(١).

وأمَّا السلوك: فى اصطلاح الطائفة فهو عبارة عن الترقى فى مفاتح القرب إلى حضرات الرب فعلاً وحالاً، وذلك بأن يتحد باطن الإنسان وظاهره فيما هو بصدده، مما يتكلفه من فنون المجاهدات وما يقاسيه من مشاق المكابدات، بحيث لا يجد فى نفسه حرجًا من ذلك(٢).

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى ﷺ فى السالك والسلوك:

إن السُّلوكَ هو الطريقُ الأقومُ
فَإِذَا استَقَمْتَ فأنت فيه السَّالكُ
اشْتُقَّ من سلك اللآلئ لفظُهُ
فحُسَامُهُ عضبُ المضاربِ باتكُ
لا تَمْنعنَّك عن السُّلوكِ مَضَايقُ
مِن خَلْفِهِنَّ أرائكٌ وَدَرَانكُ
لا يَسْلُكَنَّ لغَايةٍ ونَهايةٍ
طُرق المُحَالِ بمُثْبِتيها فَاتِكُ

* السلوك انتقال من منزل عبادة إلى منزل عبادة بالمعنى.

* وانتقالٌ بالصورة من عملٍ مشروع على طريق القُربة إلى الله، إلى عمل مشروع بطريق القربة إلى الله بفعل وترك.

فمن فعلٍ إلى فعلٍ، أو من تَرْكٍ إلى تَرْك، أو من فعلٍ إلى تركٍ، أو من تركٍ إلى فعل، وما ثَمَّ خامس للصورة.

* وانتقال بالعلم من مقام إلى مقام، ومن اسمٍ إلى اسم، ومن تجلٍّ إلى تجل، ومن نفس إلى نفس.

والمنتقل هو السالك: وهو صاحب مجاهدات بدنية، ورياضات نفسية، قد أخذ نفسه بتهذيب الأخلاق، وحكم على طبيعته بالقدر الذى يحتاج إليه، من الغذاء الذى يكون به

(١) انظر: القاشانى: المعجم ٢/ ٧.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٦.

قوام مزاجها واعتدالها، ولا يلتفت إلى جوع العادة والراحة المعتادة، فإن الله ما كلّف نفسًا إلاّ وسعها، فإذا بذلت الوسع فى طاعة الله لم يقم عليها حجّة، غير أن السالكين فى سلوكهم على أربعة أقسام:

- منهم: سالك يسلك بربه.
- وسالك يسلك بنفسه.
- وسالك يسلك بالمجموع.
- وسالك لا سالك.

فيتنوّع السلوك بحسب قصد السالك ورتبته فى العلم بالله.

*** ١ - فأمَّا السالك الذى يسلك بربِّه:**

فهو الذى يكون الحق سمعه، وبصره، وجميع قواه، فإن عينه ثابتة.

ولهذا أعاد الضمير عليه، لوجوده فى قوله: (كنت سمعه الذى يسمع به) فهذه الهاء هى عينك الذى الحق سمعها وبصرها، وما سلكت إلا بهذه القوى، وهذه القوى قد أخبر الحق أنه لما أحبَّك كان سمعك وبصرك، فهو قواك، فبه سلكت فى طاعة أمرك، بأن تعمل نفسك فيها، وتحلى ذاتك بها، وهى زينة الله، وهو سبحانه الجميل والزينة جمال هذا السالك، فزينته ربه، فبه يسمع، وبه يبصر، وبه يسلك، ولا مانع من ذلك، ولهذا قال:

﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ** ﴾[1] لمَّا أحبهم حين تقربوا إليه بنوافل الخيرات زيَّنهم به.

*** ٢ - والقسم الآخر السالك بنفسه:**

وهو المتقرب إلى ربه ابتداءً بالفرائض ونوافل الخيرات الموجبين لمحبة الحق من أتى بهما لتحصيل المحبتين، فهو يجهد فيما كلفه الحق، ويبذل استطاعته، وقوَّته فيما أمر به ربُّه ونهاه، من عبادة ربِّه فى قوله تعالى: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾[2] ﴿ **اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾[3].

وإن كان قد سمعوا هذا الخبر الإلهى، واعتدوه إيمانا به، ولكن ما حصل لهم هذا ذوقًا، فيكون الحق قواهم فهم سالكون بنفوسهم فى جميع مراتب السلوك من حال،

(١) الآية رقم (٣٢) من سورة الأعراف. (٢) الآية رقم (١٦) من سورة التغابن.
(٣) الآية رقم (١٠٢) من سورة آل عمران.

وعمل، ومقام، واسم، وتجلٍّ، وما يصح فيه الانتقال من أمرٍ إلى أمر، وهذا هو سلوك الأدباء من أهل الله، وذلك أن الله كلَّف عباده، فعلموا أن ثَمَّ حقيقة تقتضى أن تكون المخاطبة بالتكليف، وما ثَمَّ إلاّ هم، فيعلمون أنهم المرادون، وإن لم يتعين عندهم بأى حقيقة توجه عليهم الخطاب، فيسلكون بنفوسهم فى العموم، مع علمهم بأن الأمر لا بد فيه من نسبة خاصة، أو عين موجودة تستحق التكليف، فيبذلون المجهود، ويوفون بالعقود، وإن جهلوا المقصود إلى أن يفتح لله لهم، كما فتح لمن سلك بربه.

*** ٣- وأمَّا السالك بالمجموع:**

فهو السالك بعد أن ذاق كون الحق سمعه وبصره، وعلم سلوكه أولاً بنفسه على الجملة من غير شهود نفسه على التعيين، فلمَّا علم أن الحق سمعه، وعلم أن السامع بالسمع ما هو عين السمع، ورأى ثبوت هذا الضمير، وعاين على من عاد فعلِمَ أن نفسه وعينه هى السميعة بالله، والناظرة بالله، والمتحركة بالله، والساكنة بالله، وأنها المخاطبة بالسلوك والانتقال فسلك بالمجوع.

*** ٤- وأمَّا القسم الرابع، وهو: سالك لا سالك:**

فهو أنه رأى نفسه لم تستقل بالسلوك ما لم يكن الحق صفة لها، ولا تستقل الصفة بالسلوك ما لم تكن نفس المكلف موجودة، ويكون كالمحل لها، فيبدو له أنه سالك بالمجموع، فإذا تبيَّن له أن بالمجموع ظهر السلوك بان له أن المظهر لا وجود له عينًا، وأن الظاهر تقيَّد بحكم استعداد المظهر، ورأى الحق يقول: ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ** ﴾[١].

فمن وقف على هذا العلم من نفسه علم أنه ساك لا سالك[٢].

ويقول الإمام صلاح الدين التجانى:

الناس أربعة أنواع: سالكون فقط، مجذوبون فقط.

سالكون ثم مجذبون، مجذبون ثم سالكون.

فالنوع الأول والثانى: لا يصلحان للتربية والإرشاد.

ـ لأن النوع الأول: ظاهرى محض، لا نور له فى باطنه يُجذب به.

ـ والثانى: لا سلوك عنده يسير به.

---

(١) الآية رقم (١٧) من سورة الأنفال.

(٢) انظر: ابن عربى: الفتوحات المكية: ٢/ ٣٨١.

ـ والنوع الثالث والرابع يصلحان للتربية مع أفضلية النوع الثالث.

فالنوع الأول يشهد خلقا بلا حق، والنوع الثانى يشهد حقًا بلا خلق، والثالث والرابع يشهدون حقا بحق.

فأهل السلوك شهدوا الآثار، ثم تعلقوا بالأسماء، ثم شهدوا الصفات ثم الذات، وأهل الجذب بالعكس.

فأحدهما: نازل يشهد الأشياء بالله فى تدليه.

والآخر: صاعد يشهد الأشياء بنفسه فى ترقّيه.

فربما التقيا فى الطريق، والمترقى أكمل من المتدلى فى التربية، ولكنهما يجتمعان فى مقام البقاء:

﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ ﴾[1] هم المحبوبون أهل الجذب.

﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[2] هم المحبوبون أهل السلوك.

والبقاء فى السلوك أعلى، وهو الفناء عن الفناء والبقاء.

وأهل الجذب بالوارد درجات:

ـ إمَّا أن يؤخذ بالكلية.

ـ وإمَّا أن يؤخذ عقله، ويبقى يدبر أموره كالحيوان.

ـ وإمَّا إذا جاءه الوارد، كان معك ولكنه مشغول البال عنك.

ـ وأعلاهم من لا يشغله وارد عن جالس معه، ولا جالس عن وارد[3].

فالسالك إلى الله لا ينبغى له أن يلتفت إلى غيره، ولا ينشغل بسواه، وهذا الكتاب خطوة هامة نحو معرفة السالك لما ينبغى حتى يتمكن من السير دون وقفة، تعلمت من هذا الكتاب الكثير، وأرجو لمن يقرأه أن يقترب منه، ويغوص فى معانيه، لا سيمّا وقد أضفت نصوصًا وملاحق نهاية هذا الكتاب لمحاولة التقريب لمعرفة وأهمية (شيخ التربية فى القديم والحديث) وهى نصوص هامة لمعرفة المُسَلِّك: وهو الدليل إلى الله، الآخذ بيد المريد إلى باب مولاه، فانظر ملاحق ونصوص عن الشيخ.

المحقق

(١، ٢) الآية رقم (١٣) من سورة الشورى.

(٣) انظر: سماحة الإمام صلاح الدين التيجانى: (الكنز فى المسائل الصوفية) ياقوتة فى السلوك ص٢١٤.

مؤلف الكتاب

هو العالم العلامة، صاحب العوارف والمعارف.

قاسم بن صلاح الدين الخانى، الحلبى، الشيخ الصوفى الفاضل، الحنفى المذهب، الذى عمل بالمدرسة الأشرفية إلى أن توجه للإفتاء والتدريس بالمدرسة الحلوية.

ولو طلبناه هو نفسه ليحدّثنا عن رحلة كفاحه، تُرى ماذا يقول: «وُلدت سنة ثمان وعشرين وألف للهجرة، ثم إنّى سافرتُ إلى بغداد فى شهر جمادى الأولى سنة خمسين وألف، فكانت غيبة مقدار سنتين، ثم رجعت إلى حلب وأقمت بها شهرين، ثم توجّهت إلى البصرة فأقمت بها مدّة عشرة أشهر، ثم إنّى توجهت إلى حلب وأقمت بها عشرة أيام، ثم توجهت مع الحجاج إلى مكة المشرّفة، ورجعت من الحجاز إلى إسلامبول وأقمت بها سنة وسبعة أشهر ثم عُدْتُ إلى حلب، كانت سياحتى هذه قريبًا من عشر سنين.

وأمَّا فى هذه المدّة فكنت فى أخذ وعطاء، وبيع وشراء، ثم إنّى بعد دخولى إلى حلب أحببت العزلة عن الناس، وتركت البيع والشراء، وسلكت طريق الذل والافتقار، وغيرّت الحلاّس والجُلاّس والأنفاس، وجاهدت نفسى، وعاديتها بالجوع والسهر نحواً من سبع سنين، فمنها نحواً من سنتين اقتصرت على أن أتناول فى كل ستين ساعة كفًا من طحين أجعله حريرة، وأحلّيه بملعقة من العسل، وأفرغه فى حلقى، والكف من الطحين المذكور، وزنه تقريبا (خمسة عشر درهما) وباقى أيام السبع سنين كان أكلى أقل من القليل.

وكان ذلك بإشارة مشايخى رضوان الله عليهم.

فصدق علىّ قول سيدى عمر بن الفارض، قدّس سره حين قال:

ونفسى كانت قبل لوامة متى
أطعها عصت، أو أعصى كانت مُطيعتى

فأوردتها ما الموت أيسر بعضه
وأتبعتها كى ما تكون مُريحتى

فعادت ومهما حملته تحمّلته
منى وإن خففت عنها تأذّت

فلما انقضت سنون المجاهدة، واستهلينا شهر شوال سنة ستة وستّين وألف، ألقى الله

تعالى فى قلبى حب طلب العلم الظاهر فـقرأت على المشايخ سنتين إلاّ شـهراً، وفتح الله تعالى علىَّ من العلم ما فتح فتركت القراءة وشرعتُ فى الإقراء.

أى: أقرأت بعض الطلبة.

وكان بعض الطلبة يضـحكون ويستهزئون علىّ، ويقولون: نحن لنا عـشر سنين نخدم العلم ولم نتجرأ.

فيأتى بعـضهم إلى مجلس درسى مستـهزئًا، فوالله ما يقـوم من ذلك المجلس إلاّ وقد تبدّل إنكاره بالاعتقاد، وفى ثانى ذلك اليوم يأتى ويقرأ علىّ.

وفـاتـــه:

توفىَ رحمــه الله سنة ١١٠٩هـ ودفن بين قبور الصـالحين خارج باب المـقام بحلب، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

أمّا مشايخى:

فقد قـرأت على جملة من العلماء الأفاضل، وجُلّها على الشـيخ (أبى الوفا العرضى) صاحب «طريق الهدى».

وكان سلوكى على الشيخ أحمد الحمصى.

فأقام صـاحب الترجمة خليفة بعـده فى المدرسة الأشرفيـة إلى أن توجه عليه تدريس مدرسة الحلوية، وصـار يدرس بها، ويقيم الأذكار والأوراد، وتوجه عليـه الإفتاء بحلب، وكان يفتى على مذهب الإمامين أبى حنيفة والشافعى.

مؤلفــاته:

ترك الشيخ الفاضل، العالم العامل قاسـم بن صلاح الدين الخانى عددًا من المؤلفات الهامة، سنذكر هنا بعضـها ذكرتها المصادر، ونرى أن له غيرها لم تذكرها المـصادر، فمما ذكرته المصادر:

١ - التحقيق فى الردّ على الزنديق.

ذكره البـغدادى فى إيضـاح المكنون ١/ ٢٦٦ وهدية العـارفين ١/ ٨٣٣ وكحـالة فى معجم المؤلفين ٨/ ١٠٤.

٢ - رسالة فى المنطق، بروكلمان: تاريخ الأدب العربى ٨/ ٢٨٤.

ذكره البغدادى فى هدية العرفين ١/ ٨٣٣.

وكحالة فى معجم المؤلفين ٨/ ١٠٤.

٣- السير والسلوك إلى ملك الملوك.

وهو الكتاب الذى بين يديك، وتوجد منه نسخ كثيرة فى فهارس دار الكتب المصرية، وفهرس المكتبة الظاهرية بدمشق، لكن النسخـة التى اعتمدناها أقدم وأقرب من تاريخ وفاة المؤلف، وهى من مكتبة جامعة القاهرة، وكل المصادر ذكرته.

٤- مختصر السراجية.

ذكره البغدادى فى هدية العارفين ١/ ٨٣٣.

كحالة فى معجم المؤلفين ٨/ ١٠٤.

المرادى: فى سلك الدرر ٤/ ١٠.

بروكلمان: تاريخ الأدب العربى ٨/ ٢٨٤.

٥- شرح مختصر السراجية.

ذكره البغدادى فى هدية العارفين ١/ ٨٣٣.

كحالة: معجم المؤلفين ٨/ ١٠٤.

المرادى: سلك الدرر ٤/ ١٠.

بروكلمان: تاريخ الأدب العربى ٨/ ٢٨٤.

٦- شرح الجزائرية فى التوحيد.

انظر نسخـة الشرح المخطوطة فى فـهرس دار الكتب المصرية ١/ ٤٧١، البـغدادى: هدية العارفين ١/ ٨٣٣ والمرادى ٤/ ١٠.

٧- سرّ فتح الملك المجيد.

البغدادى: هدية العارفين ١/ ٨٣٣.

٨- رسالة فى مصطلح الحديث.

كحالة: معجم المؤلفين ٨/ ١٠٤.

فهرست مخطوطات (مصطلح الحديث) دار الكتب المصرية ٢٢٩.

٩- رسالة فى الردّة وأحكامها.

لم يذكرها إلاّ بروكلمان فى تاريخ الأدب العربى ٨/ ٢٨٤ وهى غـير التحقيق فى الرد على الزنديق لأنه ذكرها.

١٠- مجالس.

بروكلمان مخطوط الاسكندرية فنون ١٦١.

١١- **الطريق الواضح إلى عقيدة السلف الصالح** (بروكلمان ٨/ ٢٨٤) المخطوط السابق ٦٧/ ٢٠.

هذه بعض مؤلفات العالم الكبير والصوفى القادرى الشهير قاسم بن صلاح الدين الخانى، وكما قال محمد خليل المرادى فى سلك الدرر: وله غير ذلك من التآليف والفوائد.

مصادر ترجمته:

اكتفينا هنا بذكر بعض المصادر، لأننا لا نرغب فى التوسع حول حياته وتاريخها، وتفاصيلها، إنما ما يقرب إلى القارئ الكريم المعرفة بزمنه وشخصه وقيمته العلمية فضلا عن مؤلفاته التى ذكرناها وهذا الكتاب القيم الذى ينم عن شخصية صوفية كبيرة.

فالمصادر التى تحدثت عنه كثيرة منها.

١- محمد خليل المرادى: سلك الدُّرر فى أعيان القرن الثانى عشر المجلد الثانى جزء ٤ صـ ٩، ١٠.

٢- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ٨/ ١٠٤.

٣- طلس: الكشاف ١٤١.

٤- فهرس المكتبة التيمورية بالقاهرة ١/ ١٢٠.

٥- البغدادى: هدية العارفين ١/ ٨٣٣.

٦- البغدادى: إيضاح المكنون ١/ ٢٦٦، ٢/ ٣٤.

٧- خير الدين الزركلى: الأعلام ٦/ ١١.

٨- بروكلمان: تاريخ الأدب العربى.

النسخة العربية بترجمة وإشراف أ. د محمود فهمى حجازى طبعة الهيئة العامة للكتاب ٨/ ٢٨٣ تصوف ٤٠.

٩- فهرس دار الكتب المصرية ١/ ٤٧١

٣/ ٣١.

١٠- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية:

٢/ ٧٣ (١٤٨٧) تصوف ١٨٦، ٥٨٧٢، ٤٩٩٣، ٩٠٢٠، ٣٨٧٩ مجموع ١٤٦.

مخطوط الكتاب

اعتمدت فى تحقيقى لهذا الكتاب نسخة مخطوطة محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة بمصر ـ تحت رقم (١٥٥١١) تصوف، وهى نسـخة جيدة كـاملة كتبت بخط معـتاد تقع فى ١٨٠ صفحة (٩٠ ورقة) لم يتضح عليها اسم الناسخ، وهذا بيان النسخة:

* يقع الكتاب فى ١٨٠ صفحة من القطع المتوسط.

* مقاس ١٤ × ٢٠.

* مسطرة الكتاب ١٧ سطرا.

* عدد الكلمات من ٨ - ١٠ كلمات.

* عدا الصفحتين الأولى والأخيرة.

* مبـين عليها تاريخ النسخ بـ (١١١٨ هـ) ويعـد هذا تاريخا قريبا من وفـاة المؤلف، وتعتبر نسخة قديمة.

* التاء المفتوحة فى الكتاب تكتب كلها مغلقة.

* الكتاب عليه مقابلة إذ يستدرك بعض الجمل بخط مغاير لخط النسخة.

* لا توجـد رسومـات ولا علامـات للعناوين الجـانبيـة ولا الأبواب كلهـا داخلة فى الأسطر بنفس الخط.

* يوجد ترقيم حتى صـفحة (١٥) ثم يتوقف الترقيم، الذى كُـتب أيضا بخط مختلف عن خط النسخة.

* النون كذلـك تكتب دائرة مغلقـة هكذا ⊙ مثل كلمة (بـيا ⊙) وأحيـانا يكتبـها مفتوحة.

* توجد طرة للصفحات للإلحاق.

* انظر صور ونماذج المخطوط للتوثيق.

منهج الكتاب

نرى فى هذا الكتاب نموذجا ناضجًا فى التأليف الصوفى، الذى يظهر وعى صاحبه وفهمه لطبيعة دوره كعالم، ومدرّس قام بالتدريس فى أكثر من مدرسة فقد افتتح كتابه فى عدد من الصفحات بيّن فيه أهمية الصوفية ودورهم الأخلاقى فى تربية الإنسان المسلم، حتى يكون مسلمًا حقيقيا، وكان تركيزه فى الافتتاحية على إظهار النعم التى أنعم الله بها على العبد المسلم منذ يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾[1] ومَثَّل ذلك فى إخراجه من العدم إلى الوجود وتحقيق الخلافة الآدمية على الأرض حتى تم كل ذلك حقّ ظاهر، وكيف أن الجسد جعل - بسبب الشهوات طبعا - ضبابا وظلاما أمام الروح فلا تدرى كيف تفعل، وعلى الإنسان محاولة إزاحة هذا الظلام وهذا الضباب، ثم انتقل من الافتتاحية إلى المقدمة، وعشرة أبواب، وخاتمة، فالأبواب كلها فى ذم الدنيا ومقامات النفس، والحث على الترقى من مقام إلى مقام، ثم فى الخاتمة معرض للكلام عن المرشد المربّى.

أمَّا المقدمة فقد جعلها لشرح بعض المصطلحات والألفاظ الصوفية التى اعتمد عليها الكتاب وكما قال المؤلف حتى لا يحتاج القارئ للسؤال عن معنى هذه الألفاظ من الخارج لأنها ستصادفه أثناء قراءته للكتاب، فقدم ذلك، لتعم الفائدة.

أمّا محاولة شرح هذه الأبواب والكلام عنها فإنه يكفى أن نشير إلى أن الأبواب كلها، كل باب فيها يرقِّيك إلى الباب الذى بعده - أقصد للمقام الذى بعده - حتى تصل إلى الباب العاشر فتشعر فعلا - إذا قرأت بالترتيب طبعا - بقيمة الترقى فى الفهم والوعى، وإدراكِ دسائس النفس فى كل مقام من المقامات، فإن اتبعت ذلك لا شك أنك تترقى لا شك، وأهم ما يميز هذا الكتاب هو سيرُه الحثيث مع التدقيق لدلالة وفهم الحجب التى تقف حائلا، وعائقا، وعارضا أمام ترقى النفس من مقام إلى مقام، وأنه لا بد من تجاوز هذه الحجب الحائلة

---

(١) الآية (١٧٢) من سورة الأعراف.

منهج التحقيق

النسخة المـخطوطة التى اعتبرتهـا أصلاً لهذا الكتاب القيم تتـميز بأنها قريبـة العهد من تاريخ وفـاة المـؤلف إذ توفى سنة ١١٠٩ هـ وكـتبت هى سنـة ١١١٨ هـ إذ كتـبـها أحـد تلامـذته بما لا يـدع مجـالاً للشك، وهى نسـخة جيـدة كاملة كـمـا أشرنا ـ إلاّ الإشـارة بالمعقوفتين فى بداية افتتاحية المؤلف فقد تأكدنا من كل ذلك.

وبعد أن تم اطمئناننا على النـسخة قمنا بنسخهـا، وضبط تبويبها ومعـالجة المشكلات الكتابية، واللغوية داخل النص وبه مشاكل لكنها لا تخرجه عن دائرة أنه نص جيد،

قمت بتخريج الآيات القرآنيـة كلها، والأحاديث التى وردت كلها إلاّ ثلاثة أحاديث لم أقف على تخـريجهـا، وخرّجت جـميع الأعـلام الواردة بالكتاب وشـرحت المصطلـحات الصوفية، وزدت على بعضها زيادات يقتضيها الكلام، وضبطت الأشعار الواردة فى النص، وذيلت كل إشارة حسب موضعها، ولزومه.

ثم قمت بعمل ملحق نـهاية الكتاب بمجموعـة من الفهارس العامة التـى يتطلبها منهج التحقيق العلمى الحديث.

١- فهرس للآيات القرآنية. ٢- فهرس للأحاديث النبوية والقدسية.

٣- فهرس للأشعار. ٤- فهرس للأعلام.

٥- فهرس للمصطلحات الصوفية التى ثم شرحها والكلام عنها فقط.

٦- فهرس للمراجع التى أعانت التحقيق.

٧- فهرس المحتوى.

وأخيرًا أرجـو أن أكون قد قدّمت الجهد اللازم لكى يظـهر هذا الكتاب فى ثوبه اللائق به، بعد تحقيقه، وإن قصّرت فالعفو مأمول من الله، والثواب المرجو رضاه وحده.

المحقق

سعيد عبد الفتاح

الجيزة/ بهرمس

٢٣ ربيع الأول ١٤٢٢ هـ

١٥ يونيه ٢٠٠١ م

صور ونماذج

لمخطوطات الكتاب

2ND SERIE

No. ١٠٥٥١١

دكتور

كتاب السير والسلوك إلى ملك الملوك تأليف سيد

العارفين وسند الغارفين صاحب المواهب

الفائقة والمعارف الخارقة علم الهداية

عالم الدراية سيد الطرقيين وأستاذ

الحرقيين شيخنا وسندنا وبركتنا

العالم الرباني والمحقق الصمداني

مولانا وذخرنا الشيخ

قاسم الخاني أعاد الله

علينا بركاته ونفعنا

بلغنا من نفحاته

آمين والحمد

لرب العالمين

تم

إلهي بتقديس النفوس الزكية ... وتجريدها عن عالم البشرية

أزح عن فؤادي ما أتاه من العنا ... فإني ضعيف الصبر عند البلية

غلاف الكتاب

الى الشيخ قاسم الخاني ١

كتاب سير السلوك الى ملك الملوك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اهبط سبحانه اسرار ذاته من سماء العماء الى ارض
الطبيعة الكلية واودعها بقدرته في صدف النطف اظهار الخواص
الاسمائية فحجبت بالظلمات النفسانية حجابا انساها ما كانت عليه من
الكمالات فمالت الى الشهوات وركنت الى المحسوسات والفت العادات
فلم تذكر اوطانها ولا خطر ببالها مباديها العلوية ثم ارسل اليها رسلا
على صورتها الظاهرة ورسلا على صورته الباطنة اوقد في ظلمتها
مصابيح ملكوتية فادركت ما هي عليه الخباثات وما فيها من الاستعداد
الى الكمالات والدرجات العلية فجدت واجتهدت وطلبت من مبداها
كشف ما سترها من الحجب النورانية والظلمانية فتقرب لما تقربت منه
بهذا الطلب وجذبها جذبة انستها طباعها وما كانت عليه من العادات
حتى وصلت بها الى الحضرة الاحدية فاستهلكت صفاتها في صفاته
اذ لم يبق فيها ما ينازعه في ربوبيته لاتصافها بكمال العبودية
فناداها ببعض اسمائها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية
مرضية وامرها بالدخول في عباده تحقيقا للخلافة الادمية فخلعت
عليها الخلعة القيومية والكمالات الابدية والصلاة والسلام على نبي

المقام المذكور قبل هذا المقام تمحق صفات الرذيلة البشرية، التي محل الافعال والشقاوات وذلك بسبب تقربه الي الله تعالى بالنوافل التي هي الرياضات ومجاهدة النفس الجهاد الاكبر وقد جرت عادة الله تعالى انه يبدلها صفة حسنة لتلك الصفات السيئة باذن الله تعالى وهذا هو حق اليقين المذكور في المقدمة فطالعه تفهمه ان شاء الله تعالى، فاياك ان تسلك طريق الضلال وتعتقد الحلول تعالى ربنا ان يحل في شيء او يحل فيه شيء والحق ان هذه الامور لا تدركها العقول فمن حاول بالعقل ادراكها وقع في الزندقة لانها امور لا تدرك بالاساليب الكلي لان الفتاليش في الخارج له نظير حتى يقاس عليه ويمثل به وكذلك البقا بالله وكذلك قرب النوافل وقرب الفرايض وانما ذكرته في هذا الكتاب لان الخطاب في هذا الباب لمن كان في هذا المقام يفهم كل ما ذكره بل يذوقه ان شاء الله تعالى واعلم ان اخر مقامات السالك في هذا المقام وصوله الي صورته الادمية التي كانت قبلة للملايكة التي حقيقتها الحقيقة المحمدية وهي سر الله الاعظم واللطيفة الالهية وهذا غاية القرب من حضرة الرب

الورقة ٨٠ (ب) توضح المخطوط عليه مقابلة

تلبيسها فلا يقدر لانه ليس له عليهم
سلطان وقد جاء للشيخ عبد القادر
قدس الله سره العزيز وهو في البادية
وقال له يا عبد القادر انا الله وقد
ابحت لك المحرمات فاصنع ما شئت فقال
له كذبت انك شيطان قال الله تعالى ان
الله لا يأمر بالفحشاء فانظر ما اعظم الشريعة
وما اسلم من تمسك بها واعلم ان جميع ما تنوع
به الشيطان يقدر ان يضل به الضعفاء من
الناس واما العارفون الاقوياء فانه لا يضلهم
الا ما نعيا منهم مما ذكر من انواع الاضلالات
وما ذكرناه من انواع الاضلال قليل بالنسبة الى
ما يظهر به لعنه الله من الانواع ولا تقدر انها الا
على ردها الا بالتمسك بالشريعة الغراء وهي
العلي ر العالمين وصلى الله على اشرف الانبياء
والمرسلين والحمد لله رب العالمين
وهذا آخر ما يسره الله تعالى في هذا الكتاب

يكوع

الورقة الاخيرة (أ)

قال الشاعر

يلوح الخط في القرطاس دهراً وكاتبه رهيناً في التراب
أيا قارئ حروف الخط مهلاً تأنّى واقرأ فاتحة الكتاب
لعبدٍ قد كتب هذا بيده وترجو دعوةً من ذي الصواب
وأدفنهما عسى ينفع بخيرٍ ويرزقنا الأمان من الحساب

وكان الفراغ من هذه النسخة الشريفة يوم الجمعة
خمس في شهر ربيع الثاني من شهور الـ
وميه وثمان عشر سنة من الهجرة
النبوية صلى الله عليه وسلم
تسليما كثيرا الى يوم الدين
والحمد لله رب
العالمين

الورقة الأخيرة (ب)

نص كتاب
السير والسلوك إلى
ملك الملوك

بسم الله الرحمن الرحيم

* كتاب السير والسلوك إلى ملك الملوك،
* تأليف سيد العارفين، وسند الغارفين،
* صاحب العوارف الفائقة، والمعارف الخارقة،
علم الهداية،
عالم الدراية، سيد الفرقتين
وأستاذ الحرفتين، سيدنا وسندنا
وبَركتنا، العالم الربانى والمحقق الصمدانى
مولانا وذخرنا، الشيخ قاسم
الخانى، أعاد الله علينا
بركاته، ونفحنا بنفحة
من نفحاته آمين،
والحمد لله رب
العالمين
آمين

إلهى بتَـقْـديـسِ النُّفـوسِ الزَّكـيَّـة
وتَجْـرِيدهَا عن عَـالم البَـشَـرِيَّة
زحْ عن فُؤادى مـا أُقَاسى من العَنَا
فَـإنِّى ضَـعيفُ الصَّـبْـرِ عِندَ البَلَيَّـة

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية المؤلف[١]

الحمد لله الذى أهبط بكلمته أسرار ذاته، من سماء العماء إلى أرض الطبيعة الكلية، وأودعها بقدرته فى صَدَف النُّطَف[٢]، إظهارًا لخواص الأسماء، فانحجبت بالظلمات النفسانية، حجابًا أنساها ما كانت عليه من الكمالات[٣]، فمالت إلى الشهوات[٤]، وركنت إلى المحسوسات، وألِفَت العادات، فلم تذكر أوطانها، ولا خطر ببالها مبادئها العلية، ثم أرسل إليها رسلاً على صورتها[٥] الظاهرة، ورسلاً على صورته الباطنة[٦]، وأوقد فى ظلمتها[٧] مصابيح ملكوتية، فأدركت ما هى عليه من الخباثات[٨]، وما فيها من الاستعداد للوصول[٩] إلى الكمالات والدرجات العلية، فجدّت واجتهدت، وطلبت من مُبْدئها[١٠] كشف ما سترها من الحجب النورانية والظلمانية، فتقرّب منها لمَّا تقربت منه[١١] بهذا الطلب.

---

(١) من المحقق.

(٢) أى: الجسد الذى يحمل الروح بداخله.

(٣) من يوم «ألست بربكم».

(٤) طبيعة الجسد وحاجاته التى لا بد أن تُنظَّم بمنهج إلهى.

(٥) أى: صورة النفس (الجسد).

(٦) أى الروح وهو استخدم الروح هنا مذكر، بينما استخدم من قبل النفس مؤنثة.

(٧) أى: فى ظلمة الجسد الذى تكون أصلاً من الظلمانية.

(٨) شهوات النفس وميلها لحاجاتها الدنيا.

(٩) مستدركة هذه الكلمة أعلى السطر بخط مغاير للمخطوط.

(١٠) فى نسخة المخطوط (مبدأها).

(١١) للحديث القدسى المعروف (إذا تقرَّب إلى العبدُ شبرًا تقربتُ إليه ذراعًا، وإذا تقرَّبَ إلىَّ ذراعًا تقربتُ منه باعا، وإذا أتانى يمشى أتيته هرولة).

رواه البخارى عن أنس، وعن أبى هريرة ﷺ والبيهقى فى الشعب عن سليمان ﷺ.

وانظر السيوطى جامع الأحاديث حديث رقم (١٥٠١١) ٤/ ٦٨٠ وقال السيوطى فى جامعه الصغير: حديث صحيح ٢/ ٨٢.

وجذبها جذبةٌ أنستها طباعها(١)، وما كانت عليه من العادات، فوصلت بها إلى الحضرة الأحدية، فاستهلكت صفاتها فى صفاته، إذ لم يبق فيها ما ينازعه فى ربوبيته، لاتصافها بكمال العبودية(٢)، فناداها ببعض أسمائها ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾(٣) وأمرها بالدخول فى عباده تحقيقًا للخلافة الآدمية، فخُلِعت عليها الخُلعة القيومية، والكمالات الأبدية.

والصلاة والسلام على سيد الأنام ومصباح الظلام، وخير البرية، وعلى آله وأصحابه الفائزين ببركة صحبته بالأفضلية ومقام القطبية.

وبعـــــــــد:

فإن سلوك طريق الحق من أخلاق الأنبياء والمرسلين، وخلاصة عباد الله الصالحين، الذين قال فى حقهم رب العالمين ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾(٤) وهو أمر ممكن متيسر على مَنْ يسَّره الله عليه، وهم النُّطف الطاهرة، وأصحاب الاستعدادات الكاملة، والطباع السليمة، الذين لا رغبة لهم فى لذَّات الدنيا ولا نعيم الآخرة، قلوبهم متوجهة نحو مليكهم، لا يسكنون إلاَّ لذكره، ولا يتقوَّتون إلا بتلاوة اسمه، يراعون الظلال بالنهار، ويحنون لغروب الشمس، كما يحن الطير إلى الأوكار.

فإذا جن الليل، واختلط الظلام، وخلى كل حبيب بحبيبه، نصبوا لمحبوبهم أقدامهم، وفرشوا له وجوههم، وناجوه بكلامه، وتملقوا إليه بإنعامه، بين صارخ وباك، وبين متأوه وشاك، وبين قائم وقاعد، وبين راكع وساجد، باعوا لذات الحواس الظاهرة بما ظهر لهم بالبصائر الباطنة، وهو بعض سلوك طريق الحق، متعسر على من هبط إلى سجّين، وأسفل سافلين، فانخرط فى سلك الحيوانات، وانحبس فى قفص العادات، واصطيد بشبكة

---

(١) (جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين) ينالها العبد إذا أخلص النيّة لله تبارك وتعالى وحده.

(٢) وكمال العبودية مقام عالٍ جدًا لا يبلغه إلاّ الكمّل من الرجال وهو ما قال عنه الرسول الكريم ﷺ:

(كمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلاّ آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران وفاطمة) رواه أحمد بن حنبل، ومتفق عليه، والترمذى وابن ماجه، كلهم عن أبى موسى رضي الله عنه حديث رقم (١٥٩٧٣) ٥/ ١١٣.

(٣) الآية من رقم (٢٧ - ٣٠) من سورة الفجر.

(٤) الآية رقم (٤٢) من سورة الحجر.

المخالفات، ولم يصبه شيء من النور، الذى ألقاه الله على عباده حين خلق الخلق فى ظلمة[1]، كما جاء فى الحديث، يعنى ظلمة الطبيعة، فبقوا على ضلالهم فلم يهتدوا إلى البر.

ولهذا الطريق منازل معلومة عند أهله يقطعها السالك واحدة بعد واحدة إلى أن يصل إلى آخرها، فينقطع السلوك ولا تنقطع التجليات، لأنها لا آخر لها، وهذا معنى قول الشيخ، إذ الترقى لا ينقطع ولو بعد الموت، فحال هذا السالك فى قطع هذه المنازل كحال المسافر فى قطع مراحل الطريق المحسوسة.

فكما يحتاج المسافر فى سفره إلى الدليل العارف بالطريق وإلى الزاد والراحلة والرفاق والسلاح بملاقاة العدو وإرهابه.

فكذلك هذا السالك، لا بد له من مرشد، عارف بهذه الطريق، قد سلكه وعرف خيره وشره.

ولا بد له من زاد وهو التقوى.

ولا بد له من راحلة، وهى الهمة.

ولا بد له من رفاق، وهم إخوانه الطالبون مطلبه.

ولا بد له من سلاح وهو الأسماء ليرعب به عدويه، وهما الشيطان والنفس.

وكما أن المسافر يمر على بلاد ومدن، ويقيم فيها ثم يرحل عنها متوجهًا إلى مطلبه، كذلك السالك يمر فى سيره على المقامات المشهورة بين أهل الله تعالى وهى سبعة:

الأول منها: مقام ظلمات الانحيار، وتسمى النفس فيه بالأمارة.

والثاني: مقام الأنوار، وتسمى النفس فيه باللوامة.

الثالث: مقام الأسرار، وتسمى النفس فيه بالملهمة.

الرابع: مقام الكمال، وتسمى النفس فيه بالمطمئنة.

الخامس: مقام الوصال، وتسمى النفس فيه بالراضية.

---

(١) لحديث الرسول الكريم ﷺ: (إن الله تعالى خلق خلقه فى ظلمة، فألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى، ومن أخطأه ضل).

قال السيوطى: رواه أحمد بن حنبل فى مسنده، والترمذى فى السنن، والحاكم فى المستدرك، كلهم عن ابن عمرو ﷺ، وقال السيوطى حديث صحيح، انظر الجامع الصغير ١/ ٧٠ وانظر جامع الأحاديث حديث رقم (٥٣٥٦) ٢/ ٣٠٦.

السادس: مقام تجليات الأفعال، وتسمى النفس فيه بالمرضية.

السابع: مقام تجليات الأسماء والصفات، وتسمى النفس فيه بالكاملة.

وكلما كان الإنسان فى مقام من هذه المقامات كان محجوبًا عنه ما بعده.

فمن كان فى مقام الأول فهو محجوب بالانحياز عن مشاهدة الأنوار.

ومن كان فى الثانى فهو محجوب بالأنوار عن مشاهدة الأسرار.

ومن كان فى الثالث فهو محجوب بالأسرار عن الكمال.

ومن كان فى الرابع فهو محجوب بالكمال عن الوصال.

ومن كان فى الخامس فهو محجوب بالوصال عن تجليات الأفعال.

ومن كان فى السادس فهو محجوب بتجليات الأفعال عن تجليات الأسماء والصفات.

ومن كان فى السابع فهو محجوب بتجليات الأسماء والصفات عن تجلى الذات، وتجلى الذات ممتنع لأنه يعطى ظلمة كالنظر إلى الشمس، فإن الناظر إليها لا يبصر شيئًا، لذلك قالوا:

إن الحق لا يتجلى من حيث ذاته على الموجودات إلاَّ من وراء حجاب من حُجُب الأسماء، وأعلى المقامات مقام تجلى الأسماء، وتجلى الصفات.

وأمَّا تجلّى الذات، فهو شىء لا يمكن، مع أن القوم ﷺ يذكرونه ولا يعرفونه، وسيرد عليك تعريف تجليات الأفعال، وتجليات الصفات، وتجلّى الذات مُفصَّلًا فى المقدمة، إن شاء الله تعالى.

واعلم أن بين العبد وربِّه سبعين حجابًا من ظلمة ونور، كما جاء فى الحديث الشريف[(١)].

وهى ترجع إلى العبد، لأن الله لا يحجبه شىء، لأنه لو كان له حاجب لكان له قاهر ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾[(٢)] فالمحجوب فى الحقيقة هو العبد، وهو المراد من الحجب عند أهل التحقيق لبُعد المناسبة فافهم، فإنه دقيق، ولا تعتقد أن الحجب أمور حسية، ولا

---

(١) حديث: (إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سُبُحات وجهه ما امتد إليه بصره من خلقه).

انظر تخريج الحديث فى الباب الثالث من هذا الكتاب فى بيان الحُجُب التى بين العبد وربه ص ١٢١.

(٢) الآية رقم (١٨) من سورة الأنعام.

أن العبد بَعُدَ مسافة كما يفهمه القاصرون، فإنه تعالى منزه عن البُعد والقرب الحسيين، ومنزه عن جهة المكان والزمان ،وغير ذلك من سمات حوادث وسلوك الطريق جُعل لتمزيق هذه الحجب السبعين، وهى ترجع إلى السبع مقامات المذكورة، فالنفس فى كل مقام محجوبة بعشر حجب، الحجاب الأول منها أكثف من الثانى، والثانى أكثف من الثالث، وهكذا إلى العاشر، فالتاسع أكثف من العاشر.

وكذلك حجب كل نفس أكثف من حجب النفس التى بعدها إلى النفس السابعة، ولهذا كلما وصل السالك إلى مقام من المقامات السبعة يزعم أنه وصل إلى الله.

إذا عرفت هذا عرفت أن أبعد ما يكون العبد من ربه إذا كان فى المقام الأول، لأن النفس فيه أمّارة بالسوء، وسنذكر أوصافها فى بابها، وأوصاف غيرها من النفوس، حتى يعلم السالك فى أى مقام هو، لأن كل نفس من النفوس لها صفات، وسيْر، وعالم، ومحل، وحال، ووارد، وهى، أعنى: النفس الأمّارة محجوبة بالحجب الظلمانية، وما عداها من النفوس الباقية فهى محجوبة بحجب نورانية، وبعضها أرق من بعض كما ذكرنا، فالسالك إذا كان فى مقام الأول، وتلقن الاسم الأول من المسلّك[1] وداوم على تلاوته مع الإكثار آناء الليل وآناء النهار، جهرًا وسرًا، قيامًا وقعودًا، أوقد الله فى باطنه ببركة هذا الاسم مصباحًا ملكوتيًا، فيرى بعين قلبه القبائح، التى هو منطوٍ عليها كارهًا لها، مستنكرًا اتصافه بها، مُتحسّرًا على ما فاته من الأوقات بعدما كان فى غفلة، لا يعرف القبيح من الحسن إلا باللسان.

فيشمر عن ساق الجد حينئذ ويسعى على خلاصه مما هو فيه من القبائح الظاهرة، كشرب الخمر، والزنا، ولبس الحرير وغير ذلك، وعلى إخراج ما فيه من القبائح الباطنة، كالكبر والحقد، والشحناء، وأمثال ذلك.

وكلما زاد فى الذكر وداوم عليه، زادت كراهته لأفعاله القبيحة، وازداد سعيه فى الخلاص منها، وهذا أمر محقق لا ينكره إلاّ مَنْ لم يجربه.

هذه أول كرامة يكرم بها الله تعالى هذا السالك، ليستعين على قطع الطريق، وله فى كل مقام كرامة، بل كرامات، وليثبت المصباح المذكور هو أوّل الجذبة الرحمانية.

وكلما داوم السالك على الذكر مع المجاهدة قوى الجذب، حتى يصل إلى أعلى

---

(١) أى الشيخ الذى يقوم بتدريبه على السلوك والأخلاق الإلهية.

درجات الكمال، فيقوى على حمل الأمانة، وعلى التجليّات، ولما شاع بين مَنْ أقعدهم الكسل والإهمال عن الترقى إلى درجات العُلى، ولم يتجاوزوا إدراك الحواس الظاهرة أصلاً، أن طريق المحققين قد انهدمت أركانها واندرست آثارها، ومات أهلها، ولم يبق منها إلا اسمها، كتبت هذه الرسالة، وبينت فيها كيفية السلوك وأحوال السالكين، والمُسلّك، وما يحتاج إليه السالك فى قطع الطريق والوصول إلى التحقيق، لتنقطع أعذار المقصرين، وتزداد همم الراغبين فى السير إلى رب العالمين.

ولا شك أن كل من سار على الطريق وصل إلى منتهاه، وطريق الحق واضح بيِّن، لكنه مع الأهواء الشيطانية والشهوات النفسانية لا يكون واضحًا.

قال العارف بالله:

وَنَهْجُ سَبيلى وَاضِحٌ لمنَ اهتَدَى
وَلَكنَّها الأَهْواء عَمَّتْ فأعْيَت

وسميتها «السير والسلوك إلى ملك الملوك»[1] ورتبتها على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة.

فالمقدمة فى تعريف ما تحتاج إلى ذكره هنا من اصطلاحات أهل التحقيق، حتى كلما مرت بك كلمة غريبة المعنى ترجع إلى المقدمة، فتراها مفسرة بكلمة تفهمها، لأن من لم يعرف اصطلاحات القوم ﷺ، لا يفهم كلامهم.

* **الباب الأول:** فى ذم الدنيا ولذاتها، وبيان حقيقتها.

* **الباب الثانى:** فى الحثّ على السّلوك فى هذه الطريق وبيان فضلها، وذكر الأوصاف الحميدة الموصلة إلى الكمال.

* **الباب الثالث:** فى بيان الحجب التى بين الله والعبد، وما يحتاج إليه فى تمزيقها ورفعها عن اللطيفة الإنسانية من التوبة والإنابة والتجرد عن الأسباب، وغير ذلك مما لا بد منه.

* **الباب الرابع:** فى بيان النفس الأمّارة وسيرها وعالمها، ومحلها وحالها وواردها وصفاتها وقبائحها، وكيفية الخلاص منها، والترقى عنها إلى المقام الثانى الذى تكون النفس فيه لوّامة.

---

(١) فى أصل المخطوط: (سير السلوك . . .).

* **الباب الخامس:** فى بيان النفس اللوَّامة، ومحاسنها، وقبائحها وصفاتها.

* **الباب السادس:** فى بيان النفس الملهـمة، وبما تشـتمل عليه من الجمع بين الخـير والشر والصفات الحسنة، لأنها محل الخطر.

* **الباب السابع:** فى بيان النفس المطمئنة، ومـا فيها من الكمال بالنسبـة إلى ما دونها [من النفوس][1].

* **[الباب الثامن]**[2]: فى بيان النفس الراضية ومحاسنها.

* **الباب التاسع:** فى بيان النفس المرضية وعجائبها.

* **الباب العاشر:** فى بيان النفس الكاملة وقربها وعبوديتها.

* **الخاتمة:** فى بيان المرشد وبيان أوصافه، وأحواله وبها يعرف مَنْ يصلح للإرشاد، ومن لا يصلح، وفى بيان صفـات المريد القابل للسلوك، والمريد الغيـر القابل، وفى بيان مداخل الشيطان من أنواع ظهوره، وكيف يظهر لأهل كل مقام بمـا يناسبهم، ليستعين بهذه الدسائس على إضلالهم.

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) ما بين المعقوفتين مستدرك على هامش المخطوط.

(٢) ما بين المعقوفتين مستدرك أسفل الصفحة بالمخطوط.

رب يسر ولا تعسر وأنت الكريم

المقدمة

فى تعريف ما يحتاج إلى ذكره فى هذه الرسالة من اصطلاحات أهل التحقيق.

* **التصوف**[١]: هو الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً وباطنًا، فيرى حكمها من الظاهر فى الباطن، ومن الباطن فى الظاهر، فيحصل من الحكمين كمال لم يكن بعده كمال.

* **الشريعة**[٢]: هى فعل المأمورات وترك المنهيات.

* **الطريقة**[٣]: هى تتبع أفعال النبى ﷺ والعمل بها[٤].

---

(١) (التصوف) ليس له تعريف جامع مانع، كسائر العلوم، أو كأكثر العلوم وإنما له تعريفات متعددة لاختلاف أذواق أهل الله، فكل ذوق نتيجة تجلٍّ، وتجليات الحق متعدده لا تتكرر أبدًا، وإنما كل هذه التعريفات مجرد محاولة لتقريب بعض المفاهيم حول هذا الذوق.
قال الشيخ محمود خطاب السبكى، رحمه الله:
(حدُّ علم التصوف: علم يعرف به صلاح القلب، وكيفية تصفية الباطن من عيوب النفس وصفاتها المذمومة كالحقد والحسد، والغش، وطلب العلو، وأمثال ذلك.
فهو كناية عن التخلى عن الرذائل والتحلى بالفضائل، وعملاً بأنه الأخذ بالأحوط من المأمورات، واجتناب المنهيات، والاقتصار على الضروريات من المباحات).
أمَّا موضوعه، وفائدته، ومن هو الصوفى؟ وفضله فانظر فى ذلك كتابه (أعذب المسالك المحمودية إلى منهج السادة الصوفية) كتاب كامل فى أربعة مجلدات بتحقيقنا (٢٠٠١) وانظر مختصر هذا الكتاب بتحقيقنا أيضًا ص ٤١ وما بعدها ١٩٩٦م.

(٢) (الشريعة) أمرٌ للشخص بالتزام العبودية، بحيث لا يُرى حيث نُهى، ولا يُفقد حيث أُمر، لأن الشريعة هى ما شرعه الله تعالى من الأحكام أمراً ونهيا على لسان رسوله ﷺ.

(٣) (والطريقة) سلوك طريق الشريعة، أى: العمل بمقتضاها لأن الطريق أو الطريقة عند الصوفية عبارة عن مراسم الله تعالى، وأحكامه التكليفية المشروعة، التى لا رخصة فيها، فإن تتبع الرخص سببٌ لتنفيس الطبيعة المقتضية الإرسال والسراح، والتنفيس فى مشاق التكليف يعطى الراحة فى الطريق، والراحة تعطى الوقفة، ومقتضى الطريق إلى الحق استمرار المشى عليه بلا وقفة، أو فترة فهى السيرة التى يتخلق بها السالكون إلى الله تعالى.

(٤) أمَّا (الحقيقة) وهى الجناح الثانى للشريعة فبعض الناس لم يفرقوا بينها وبين الشريعة، لأن الشريعة ظاهر الحقيقة والحقيقة باطن الشريعة، وهما متلازمان، لا يتم أحدهما إلاَّ بالآخر. =

* **الطب الروحانى**(١): هو العلم بكلمات القلوب ولغاتها وأمراضها وأدوائها، وكيفية حفظ صحّتها واعتدالها.

* **المرشد المسلك**(٢): هو الشيخ العارف بذلك الطب القادر على الإرشاد.

= فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبولة.
وكل حقيقة غير مؤيدة بالشريعة فغير محصولة.
فمن لا حقيقة له، لا شريعة له، ومن لا شريعة له لا حقيقة له، فالحقيقة: مشاهدة الربوبيّة فى جميع الكائنات، بحيث أنه يرى الخلق بالحق، على معنى القيام به، ومن ذلك مراقباته تعالى فى عبادته بالتحقق بمقام الإحسان المشار إليه فى الحديث (أن تعبد الله كأنك تراه).
ويقال: إن (الشريعة) معرفة السلوك إلى الله تعالى.
و (الحقيقة) دوام النظر إليه تعالى.
و (الطريقة) سلوك طريق الشريعة، أى العمل بها لإمكانية النظر.
انظر: معجم المصطلحات الصوفية ١/ ٤٢٤، ٢/ ٨٢ للقاشانى بتحقيقنا، وانظر للقاشانى أيضًا: (رشح الزلال فى شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال) ٤٤، ٥٢، ٨٩ والشيخ محمود السبكى (مختصر أعذب المسالك) بتحقيقنا ٤٣، ١٥٦ وما بعدها، ٢٩٠.

(١) (الطبُّ الروحانى) الطبُّ لغةً: علاج الجسم والنفس ورجلٌ طبٌّ وطبيبٌ: عالم بالطب.
والطبُّ عند الصوفية: هو العلم بالأفعال والانفعالات التى بها يحفظ على القلب الروحانى صحته واعتداله الحقيقيين المعنويين فيمن كان ذلك موجودًا له، والعلم بما يرد إليه تلك الصحة والاعتدال المعنويين، فما تُراض النفس به، وتجاهد به لمن فقد اعتدالها.
وطبيب الأرْواح: هو الإنسان البالغ فى معرفة علوم الشريعة والطريقة، والحقيقة إلى الحد الذى يتمكن معه من معالجة الأمراض الحاصلة فى نفوس الطالبين للوصول إلى الله تعالى، بأن يرفع غاية الإحكام الإمكانية، والآثار الطبيعية التى هى موجبة لإعراض الإنسان وغفلته عن موجده (الحق تعالى) لما تستلزم تلك الأحكام من الحجب المظلمة، والقيود المحكمة، والأوصاف المردية، والأخلاق المنحرفة الغير ملائمة للسر الوجودى والروح الروحانى، والقلب الوجدانى، والنفس والمزاج الحيوانى حتى صارت هذه الأمور حائلة بين حقيقة العبد وبين أصلها ومبدئها وطريق وصولها إلى كمالها الحقيقى.
فالطبيب الروحانى هو الشيخ العارف بذلك القادر على الإرشاد والتكميل.
انظر تفاصيل كثيرة عن هذا الموضوع فى كتاب (معجم المصطلحات الصوفية) بتحقيقنا ٢/ ٨١ وما بعدها وانظر لسان العرب مادة (طب).

(٢) (المرشد المُسلِّك) انظر ما قيل آنفا فى الطبيب الروحانى ويقال: هو الإنسان البالغ فى العلوم الثلاثة (الشريعة ـ الطريقة ـ الحقيقة) إلى الحد الذى من بلغه كان عالمًا ربَّانيا، مربيا، هاديا، مُهْديا مرشدًا إلى طريق الرشاد، معينا لمن أراد الاستعانة به على البلوغ إلى رُتب أهل السداد، وذلك بما وهبه الله تعالى من العلم اللدنى الربانى والطب المعنوى الروحانى فهو طبيب الأرواح =

* المراقبة[١]: هى استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه، فى جميع أحواله.

* المشاهدة[٢]: هى رؤية الحق فى كل ذرة من ذرّات الوجود مع التنزيه له عمَّا لا يليق بعظمته.

= الشافى لها بما علمه الله تعالى من أدوية أدوائهــا المردية لها، الذى بلغ فى نفوذ بصيرته إلى مقام المشــاهدة لما يُعرض لقلوب الســالكين، من الأدواء المانعة لهم عن الحظوة بالقــرب من حضـرة الحق تعالى، ويشاهد أيضًا ما ينبغى أن يعالج به تلك الأدواء والعلل من الرياضات والمجاهدات، وغير ذلك.

وقيل: هو الذى يجلو بقوة نظر البــاطن صدأ الدنيا وحبّها من قلب المريد حــتى لا يبقى فى قلبه شىء من كدر الدنيا وغلّها، وغشها، وعلائقها.

انظر: التــهــانوى: كشــاف اصطلاحــات الفنون باب الشــين فصل الــخاء، القــاشــانى: معــجم الاصطلاحات الصوفية ٢/ ٤٥.

(١) (المراقبة) لُغَةً: دوام ملاحظة المقصود، ســواء كان دينيا أو دنيويًا واصطلاحًا: دوام النظر بالقلب إلى الله تعالى، قال سيدى «أحمد الدردير»: المراقبة: ملاحظة الحق تعالى عند كل شىء، فمثلا. إذا لاحظته حال قصد النفس الوقوع فى المعصية وجدته تعالى مطلعًا عليك فترجع عنها حياء منه. وإذا لاحظته حال أكلك وجدته تعالى هو الذى ساق إليك ذلك الطعام من غير حول منك ولا قوة لك، ثم وجــدته حرَّكَ يدك إلى تناوله، وجــعل فيك القــدرة على رفعــه لفَمِكَ، ثم حــرَّك فمك وأجرى فيه الريق، ثم خلق فيك قوة اللذة فســاقه إلى المعدة، ثم رتّب على ذلك قوة فى جسمك وربَّاك . . . فتعلم بذلك أنه لا فاعل سواه، فإذا قوى هذا المــعنى فيك سمى وحدة الأفعال وصرت مراقبا لله تعالى فى كل شىء فإذا قويت هذه المراقبة حتى غبت عما سوى الله تعالى سميت معاينة ووحدة الذات، فإذا زاد التــمكين شاهدت أنه خالق لعبــده وما عمل، وهذا معنى مــشاهدة الله قبل كل شىء وهذه أمور ذوقية من طور العقل لا يعرفها إلاّ أهل العنايات والنفوس القدسية ﷺ.

وسئل «المــحاســبى» عن المراقــبة فقــال: أولها علم القلب بــقرْب الرَّب تعالى، قــال الطوسى: والمراقــبة حال شريف، وهى لعــبد قد علم وتيقن أن الله مطــلع على قلبه، انظر: الشيخ محــمود خطاب السبكى: (مختصــر كتاب أعذب المسالك المحمودية إلى منهج الســادة الصوفية) ٢٠٣ وما بعدها بتحقيــقنا، وانظر: القاشانى: معجم المصطلحات الصوفــية ٢/ ٢٨٥. الشيخ شمس الدين الرازى: حدائق الحقائق، باب المراقبة لله تعــالى، القشيرى الرسالة: ص ٩٥، السراج الطوسى: اللمع ص ٨٢.

(٢) (المشاهدة) هى أحد المراتب الثــلاثة وآخرها كما قال الإمــام القشيرى رحمه الله: المــحاضرة ثم المكاشفة ثم المشاهدة.

فالمحاضرة لأرباب التلوين، والمشاهدة لأرباب التمكين.

والمكاشفة بينهما إلى أن تستقر.

فالمحاضرة: حضور القلب مع الله تعالى بالبرهان.

والمكاشفة: حضور القلب مع الله تعالى بنعت البيان وهو نتيجة البرهان، أمَّا المشاهدة: حضور =

* **الشهود**[١]: رؤية الحق بالحق.

* **التجلى**[٢]: هو ما ينكشف لقلب السالك من أنوار الغيوب، فإن كان مبدؤه الذات

= الحق تعالى، أى تحققه فى قلبه بحق اليقين بحسب ما اتضح له من شهود العين من غير بقاء تهمة، أى: شبهة لما شاهده من الكمال لتحقق يقينه بوجوده.

وتطلق المشاهدة على رؤية الأشياء بأدلة التوحيد، وعلى رؤية الحق فى الأشياء، وعلى حقيقة اليقين.

وقيل: المشاهدة: وصل بين رؤية القلوب ورؤية العيان، وهو قول النبى ﷺ (اعبد الله كأنك تراه..) الحديث، قال النورى: لا يصح للعبد المشاهدة، وقد بقى له عرق قائم.

وقال: إذا طلع الصَّباح استغنى عن المصباح.

انظر: السراج الطوسى: اللمع ص ١٠٠.

الشيخ محمود خطاب السبكى: مختصر أعذب المسالك المحمودية ص ٢٨١، الإمام القشيرى: الرسالة ص ٤٣.

(١) **(الشهود)** هو الحضور مع المشهود، ويُطلق أيضا بمعنى الإدراك الذى يجتمع فيه الحواس الظاهرة والباطنة، وتتَّحدُ فى إدراكها والموجب لاتحادها نور من جناب المشهود، يمحو ظلمة حجابيتها ويقوم مقامها فيرى الحق بنوره، ويفنى كل ما سواه بظهوره، والشهود مراتب، فمنه:

* **شهود المتوسطين**: يشيرون به إلى مقام المتوسّط بين المريد والمنتهى، لأن المريد يتجلى له الحق فى ابتدء الأمر فى المظهر الحسّى.

* **شهود المنتهين**: هو أعلى مراتب الشهود، وهى رؤية المجمل فى المفصّل، بحيث يرى كل شىء، فلا ينحجب برؤية الحق عن الخلق بالاستهلاك فيه تعالى، ولا ينحجب برؤية الخلق عن رؤيته تعالى.

* **شهود المفصّل فى المجمل**: يعنون به كمال جلال الذات الأقدس، الواحد الأحد، وهو ظهوره لنفسه بجميع اعتبارات واحديته ومقتضياتها، وخصائصها مندرجة جميعها فى عين وحدته على نحو ما ظهرت وتظهر صورُها مفصّلة فى المراتب إلى الأبد.

* **شهود المجمل فى المفصّل**: هو شهود الوحدة فى حضرة الواحدية، بحيث تظهر الذات الواحدة لذاتها من حيث تفصيل اعتباراتها، وحقائق تميزاتها مضافة إلى المراتب من حيث كل فرد، فرد من أفراد مظاهر شئونها التى هى اعتبار الواحدية.

انظر: القاشانى: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية بتحقيقنا ٢/ ٤٢، ٤٣.

(٢) **(التجلّى)** من قِبَل العبد: زوال حجاب البشرية، وانصقال مرآة القلب عن صدأ طبائع البشرية.

ومن قِبَل الحق: كشفه عن العبد حاله.

فالخواص من الخلق فى دوام التجلّى من الله لقلوبهم حتى يعبدوا الله كأنهم يرونه، وفى الخبر: (إن الله إذا تجلى لشىء خشع له) انظر قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ (١٤٣) الأعراف، وقد أفاض القاشانى فى شرح هذا المصطلح وتفصيله لو ذكرت كل ما =

= قاله هنا لاتسع المقام، ولكن سأذكر فقط العناوين التى فصّلها القاشانى فى معجمه، وهى:
* التجلى الأول: هو ظهور الذات نفسها لنفسها فى عين التعين الأول.
* التجلى الثانى: هو ظهور الذات لنفسها فى ثانى رتبها.
* التجلى الذاتى، هو التجلى الأول.
* التجلى الأحدى الجمعى: باعتبار كان الله ولا شىء معه.
* تجلى الغيب المغيب: باعتبار ما تتضمنه الوحدة من الشئون المندرجة فيها.
* تجلى الغيب الثانى: هو الذى تظهر فيه الأسماء والحقائق متميزة.
* تجلى الغيب الأول: هو نفسه تجلى الغيب المغيّب.
* تجلى الغيب الثانى: هو التجلى الثانى.
* تجلى الهوية: اختص هذا بالهوية لأجل التفصيل والتمييز.
* تجلى غيب الهوية: هو تجلى الشهادة أى تجلى الحق فى المراتب.
* التجلى المعطى للاستعداد: هو الذى باعتباره صارت الشئون عند تميزها فى حضرة العلم.
* التجلى المميز للاستعدادات: لاستحالة التميز المستدعى التكثّر فيه.
* التجلى المعطى للوجود: لكون الحقائق بهذا التجلى تكون موجودة.
* التجلى السارى فى جميع الذرارى: إذا اعـتبر الوجود بنسبة عموم انبســاطه على أعيان الممكنات فليس إلاّ صورة جمعية تلك الحقائق بالوجود والواحد.
* التجلى السارى فى حقائق الممكنات: انظر السابق.
* التجلى المفاض.
* التجلى المضاف.
* التجلى الفعلى.
* التجلى الأسمائى.
* التجلى التأنيسى.
* التجلى الصفاتى.
* تجلى الاسم الظاهر.
* التجلى الظاهرى.
* التجلى الباطنى.
* التجلى الجمعى.
* التجلى المحبى.
* التجلى المحبوبى.
* التجلى الجامع.
* التجليات الذاتية.
* التجليات الاختصاصية. =

من غير اعتبار صفة من الصفات سمى تجلى الذات، وأكثر الأولياء ينكرونه ويقولون: إنه لا يحصل إلا بواسطة صفة من الصفات كما مر، فيكون هذا من تجلى الأسماء، الذى هو قريب من تجلى الصفات، وإن كان مبدؤه صفة من الصفات، من حيث تعينها وامتيازها عن الذات، سمى[١] تجلى الصفات وإن كان مبدؤه فعلاً من أفعاله تعالى سمى تجلى الأفعال.

فتجلى الأسماء: هو ما ينكشف لقلب السالك من أسمائه تعالى، فإذا تجلى على السالك باسم من أسمائه اصطلم السالك[٢] تحت أنوار ذلك الاسم، بحيث يصير إذا نودى للحق تبارك وتعالى بذلك الاسم أجاب ذلك السالك.

* وتجلى الصفات: هو ما ينكشف لقلبه من صفاته تعالى، فإذا تجلى على السالك بصفة من صفاته وذلك بعلم فناء صفات السالك، ظهر على السالك بعض آثار تلك الصفة بفضل الله تعالى، مثل إذا تجلى الحق عليه بصفة السمع، صار يسمع نطق الجمادات وغيرها، وقس عليها غيرها من الصفات.

* وتجلى الأفعال: هو ما ينكشف لقلب السالك من أفعاله تعالى، فإذا تجلى الحق تعالى على السالك بأفعاله انكشف للسالك جريان قدرة الله تعالى فى الأشياء، فيرى أنه

= * التجليات البرقية.

* التجليات التجريدية.

ومن المعلوم أن تجليات الحق سبحانه وتعالى لا تُحصى ولا تعَدّ، وأنه فى الحقيقة لا يتكرر تجلى واحد للحق مرتين ولا زمنين، وإنما كل تجليات الحق متجدده ومتنوعة دلالة على قدرته سبحانه وتعالى.

وإنما ما ذكر هنا هو محاولة للتقريب لبعض مراتب التجلى وأنواعه ليتمكن المريد من معرفة ماذا يقال فى هذا الأمر أو ذاك، أو حتى ماذا يمكن أن يقال.

انظر: معجم المصطلحات الصوفية للقاشانى بتحقيقنا ٢/ ٣٠٠.

وانظر مختصر أعذب المسالك المحمودية للشيخ محمود خطاب السبكى ص ٢٧٩.

القشيرى: الرسالة ص ٤٢.

عبد الكريم الجيلى: الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل.

ابن عربى: الفتوحات المكية.

الهجويرى: كشف المحجوب ص ٨٦.

(١) مستدركة من هامش النسخة المخطوطة بخط مختلف.

(٢) مستدرك من هامش النسخة المخطوطة بخط مختلف مما يدل على أن النسخة مقابلة.

تعالى هو المحرك والمسكّن شهودًا حاليًا لا يعرفه إلا أهله، وهذا التجلى مزلة الأقدام فيخشى على السالك منه، لأنه ينفى الفعل عن العبد بالكلية، ولكن[١] ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾[٢].

واعلم أن تجلى الأفعال سابق على تجلى الصفات والأسماء، فإن ثبت السالك وأقام الحدود الشرعية على نفسه مع شهود أن المحرك والمسكّن هو الله تعالى ترقّى من هذا التجلى الخطر إلى تجلى الأسماء والصفات، وإن لم يثبت تزندق ورجع من الطريق، وهبط إلى أسفل السافلين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

* **الشوق**[٣]: احتياج القلوب إلى لقاء المحبوب.

* **المحبة**[٤]: هى ميل الطبع إلى الشىء لكونه لذيذًا، ومحبة السالكين ميل قلوبهم إلى جمال الحضرة الإلهية.

---

(١) مستدركة من هامش النسخة المخطوطة.

(٢) الآية رقم (٢٧) من سورة إبراهيم.

(٣) (الشوق) يعنون به: قوصف قهر المحبة بشدّة ميلها إلى إلحاق المشتاق بمشوقه، والعاشق بمعشوقه.

وقيل: هو فى مذهب أهل الصوفية علة عظيمة، لأن الشوق إنما يكون إلى غائب، والحق تعالى حاضر لا يغيب، ولهذا كان مذهبهم قائما على المشاهدة.

وحقيقة الشوق: نيران تستولى على القلوب، ولا دواء له إلاّ لقاء المحبوب.

وقال بعضهم: الشوق لهيب ينشأ فى القلوب سببه التفرقة بين المشتاق والمشتاق إليه، فإذا وقع اللقاء طفىء، وإذا كان الغالب على الأسرار مشاهدة المحبوب لم يطرقها الشوق.

وقيل لبعضهم: هل تشتاق إلى الله؟

فقال: لا، إنما الشوق إلى غائب، وهو تعالى حاضر، وهذه طريقة رفيعة، وأصلها جمع الهمّة على الله، ودوام الإقبال عليه، وهو أن تعبد الله وأنت تراه، فهو بذلك حاضر معك ولا يمكنك الشوق إلى حاصل.

أمّا علامة الشوق: فهى فطام الجوارح عن الشهوات، أى بأن يعرض الشخص عنها شوقًا إلى ربه.

انظر: القاشانى: معجم المصطلحات الصوفية ٢/ ٤٥ بتحقيقنا.

الشيخ محمود خطاب السبكى: مختصر أعذب المسالك ص ٣٦٥ بتحقيقنا.

(٤) (المحبّة) معنىً يدقّ عن الأفكار، ويخفى عن الأسرار، ما حلّ فى فؤاد إلاّ تهتّك وحار، وبدا له الجلال والجمال فتلاشى وثار، واضمحلّ ونمى وحجب وزار، وزهد فى الجنة، وألِفَ النار (أى نار الحب). =

* **الحال**(١): هو معنى يرد على القلب بلا تصنُّع، ولا اجتلاب ولا اكتساب، وهو إمَّا طرب، أو حزن، أو قبض، أو بسط، أو هيبة، وغير ذلك مما يرد على قلب السالك، فإن زال عن القلب فهو المسمى حالاً، وإن صار ملكةً(٢) يسمى مقامًا.

فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب، والأحوال تأتى من عين الجود، والمقامات تحصل ببذل المجهود.

* **علم اليقين**: هو العلم الحاصل من الدليل العقلى.

= ولسموّ قدرها طلبها النبيّون، فقال ﷺ (اللهم إنّى أسألك حبّك وحبّ من يحبك، وحب كل عمل يُبلغنى حبك، اللهم اجعل حُبّك أحبَّ إلىَّ من نفسى وأهلى والماء البارد).

رواه أبو نعيم فى الحلية عن أبى الدرداء ؓ وللحديث طرق كثيرة غير هذا.

وقال بعض العارفين: (الحبُّ حَبٌّ يُبذَر فى أرض القلوب ويسقى بماء العقول فيثمر على قدر طيب الأرض وصفو الماء، قال الله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (٥٤) المائدة.

فالله تعالى يحبهم بحسب العناية الأولى لا لعِلَّة بل لذواتهم والمحبون يحبونه تعالى لذاته لا لصفة من صفاته، فإن محبة الصفات تتغير باختلاف تجلياتها، فمن أحب اللطيف لم تبق محبته إذا تجلى له بصفة القهر، ومن أحب المنعم زالت محبته إذا تجلى له بصفة المنتقم، وأمَّا محبة الذات فهى باقية لا تتغير باختلاف التجليات، فيشكر صاحب تلك المحبة وعند البلاء يَصبر.

ولهذا قال يحيى بن معاذ (حقيقة المحبة لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفوة) انظر مخطوط (حبة المحبة) تحت التحقيق للأسكدارى الفصل الأول، الشيخ محمود خطاب السبكى: مختصر أعذب المسالك ص ٣٣٩، السراج الطوسى (اللمع) ص ٨٦ ويعتبر المحبة (حال لا مقام!).

(١) **(الحال)** والحقيقة: (أى الأحوال والمقامات) مواهب، إلاَّ أن المقامات يظهر فيها الكسب ويبطن فيها الوهب، والأحوال بالعكس، وقد تصير الأحوال مقامات عند استقرارها، وأسبابها وهى الطاعة قد يعرفها العبد، وقد لا يعرفها أصلاً، وقد لا يعرفها فى الحال كأن يجد من نفسه القبض والبسط ولا يعرف سببه لغفلة أو نسيان.

وقيل: الأحوال كالبروق فى سرعة زوالها، فإن بقى شىء منها مع العبد، فحديث نفسه، أى: غالبا فى حديث نفسه بالحال لا نفس الحال، وهذا فيما لم تتوال عليه الأحوال.

وقيل: الأحوال كاسمها، يعنى أنها كما تحلُّ بالقلب تزول فى الوقت أى: فى الحال.

فحاصل تسمية الحال حالاً، إنما هو لتحوله، وزواله، وسُمِّى المقام مقامًا لإقامته واستقراره، ولهذا صار الوصف الواحد بعينه حالاً وهو مقام أيضًا.

انظر: الهجويرى: كشف المحجوب ص ٤٤٧.

وانظر: الشيخ محمود خطاب السبكى: مختصر أعذب المسالك ص ٢٣٥.

وانظر القاشانى: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية ١/ ٤٠١.

(٢) أى: لبث فيه طويلا، ولذا قيل: إذا دامت الحال صارت مقامًا لصاحبها.

* **عين اليقين:** هو العلم الحاصل بالمشاهدة.

* **حق اليقين:** هو العلم الحاصل من فناء صفات العبد، وبقاؤه بالحق علمًا وشهودًا وحالاً علمًا فقط، فالذى يفنى من العبد على التحقيق صفاته لا ذاته.

فحينئذ لا بد من بقاء عين العبد الفانى، فلا يفنى ذاته فى ذات الحق كما يفهمه الجاهلون الذين كذبوا على الله، بل إن العبد كلما تقرب إلى الله بالعبودية وإظهار العجز والفناء عن جميع الصفات المناقضة للعبودية، وهبه الله تعالى فضلاً منه، صفات حميدة حقية، عوضًا عما أفنى منه من الصفات الذميمة الخلقية، والله تعالى هو القادر على كل شىء، والعبد هو العاجز عن كل شىء لكن متى شاء أذهب عن العبد ما فيه من الخباثات، وأمده بما يعجز عنه كل ما سوى الله تعالى.

فلا مانع لما أعطى، ولا معطى لما منع، ولا رادّ لما قضى، ولا مُبدّل لما حكم، فإذا وهب عبده العاجز ما وهبه تصرف فى الأكوان بإرادة سيده، وقد مثّلوا لذلك مثالاً، وهو أن القطعة من الفحم إذا وقع عليها ضوء النار، لكن لا بسبب المقابلة، بل بسبب وقوع ضوئها على حائط مثلاً، ثم انعكس الضوء من الحائط على قطعة الفحم فأضاءت، وهذا مثال لعلم اليقين، وإذا وقع ضوء النار عليها بسبب المقابلة بأن لم يكن بينها وبين النار حجابًا، فهو مثال لعين اليقين، وإذا كانت قطعة الفحم بجانب النار، بحيث تشتعل من حرارتها، وتفنى أوصافها فى أوصاف النار بحيث تتبدل ظلمتها بإشراق النار، وبرودتها بحرارة النار، وانفعالها بفعل النار، وهذا مثال لحق اليقين.

وهذا التحقيق مأخوذ من كلام الشيخ محيى الدين[1] وغيره، فقد قال: «ولا تعتقد أن

---

(١) الشيخ (محيى الدين بن عربى) هو: محمد بن على بن محمد بن عبد الله الحاتمى الأندلسى، الطائى، كنيته أبو بكر، ولقبه محيى الدين ويعرف بالحاتمى، وبـ (ابن عربى) ولد ﷺ يوم الاثنين فى السابع عشر من شهر رمضان سنه ٥٦٠ هـ بمدينة مرسية بشرق الأندلس وهى مدينة بناها الأمويون.. كثرت رحلاته وتعددت، وكثرت أكثر مؤلفاته التى قيل إنها بلغت (٩٠٠) تسعمائة كتاب منها المنسوب إليه كما قال دكتور عثمان يحيى فى كتابه عن مؤلفات ابن عربى، الذى قد بلغ مكانة راقية فى ميدان التصوف الإسلامى حتى أنه أصبح علامة فارقة فى التصوف الإسلامى يؤرخ بالتصوف قبله وبعده، فى الأخطار والموضوعات.

وكان لنا شرف المشاركة بتحقيق ما يقرب من ٧٠ رسالة لابن عربى وقد جمعتها فى مجلدات منها كتاب منزل المنازل الفهوانية، وكتاب المعرفة، وكتاب اليقين، وكتاب الكوكب الدرى فى مناقب ذى النون المصرى، وشق الجيب بعلم الغيب، وكتاب العظمة وغير ذلك. =

ذات العبد تفنى فى ذات الحق، فلا يبقى إلا الحق، فإن وقع من أصحاب الشطح ما يشعر بذلك، فإن الشطح مردود على أهله».

* **الشطح**(١): عبارة عن كل كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى، وهو من زلات السالكين.

= وقد توفى ابن عربى بمدينة دمشق فى شهر ربيع الأول سنة ٦٣٨ هـ.

انظر ترجمته فى: دكتور: محمود قاسم محيى الدين بن عربى.

دكتور: عثمان يحيى: مؤلفات ابن عربى ترجمة د/ أحمد محمد الطيب.

المناوى: الكواكب الدرية ٢/ ١٥٩، المقرى نفح الطيب ٢/ ١٦١.

الذهبى: ميزان الاعتدال ٣/ ١٥٨، ابن العماد: شذرات الذهب ٥/ ١٩٠.

الشعرانى: الطبقات الكبرى: ١/ ١٦٣، اليواقيت والجواهر المقدمة.

ابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ١٣/ ١٥٦، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٦/ ٣٣٩.

البغدادى: هدية العارفين ٢/ ١١٤، كحالة: معجم المؤلفين ١١/ ٤٠.

(١) (الشطح) كلامٌ يترجمه اللسان عن وجد يفيض عن معدنه مقرون بالدعوى إلاّ أن يكون صاحبه مستلبًا ومحفوظًا.

قال أبو حمزة: سألنى رجل خراسانى عن الأمن، فقلت: أعرف من لو كان على يمينه سبعٌ وعلى يساره مِسْوَرةٌ ما ميَّز على أيهما اتكى، فقال لى: هذا شطحٌ فهات العلم.

قال خاتم الأولياء (سيدى أحمد التجانى) ﷺ حينما عُرض عليه بعض أقوال للحلاج وغيره مِمَّا عدُّوه شطحًا فقال:

إن للعارف وقتا يطرأ عليه الفناء، والاستغراق حتى يخرج بذلك عن دائرة حسّه وشهوده، ويخرج عن جميع مداركه ووجوده، لكن تارة يكون ذلك فى ذات الحق سبحانه وتعالى، فيتدلى له من قدس اللاهوت من بعض أسراره فيض يقتضى منه أن يشهد ذاته عين ذات الحق لمحقه فيها واستهلاكه فيها، ويصرح فى هذا الميدان بقوله (سبحانى، أو جلت عظمتى أو تقدّس كبريائى) وغير ذلك، وهو فى ذلك معذور، لأن العقل الذى يميز به الشواهد والعوائد، ويُعطيه تفصيل المراتب بمعرفة كلٍّ بما يستحقه من الصفات غاب عنه وانمحق وتلاشى، واضمحلَّ، وعند فقد هذا العقل وذهابه، وفيض ذلك السرّ القدسى عليه تكلَّم بما تكلّم به، فالكلام الذى تكلم به خلقه الحق فيه نيابة عنه، فهو يتكلم بلسان الحق لا بلسانه، ومعربا عن ذات الحق لا عن ذاته، ومن هذا قول الحلاج: أنا الحق، وما فى الجبَّة غير الله، وقول أبى يزيد البسطامى: سبحانى ما أعظم شانى، فهذا ومثله مما يعطيه الاستغراق والفناء فى ذات الحق، وهو أمرٌ خارج عن المقال يدْرك بالذوق وصفاء الأحوال، فلا يعلم حقيقته إلاّ من ذاقه، وتارة يكون الاستغراق للعارف والفناء فى ذات النبى ﷺ فيتدلى له ببعض أسراره ﷺ فإذا كسيت ذاته ذلك السر فلا تشهد ذاته إلاّ ذات النبى ﷺ ويعلمه ببعض ما اختص به نبيه ﷺ من الخصوصيات التى لا مطمع فيها لغيره، فيتكلم بلسان النبى ﷺ نيابة عنه.

=

* السِّرّ(١): هو اللطيفة الربانية، وهو باطن الروح، فإن تنزّل درجة كان روحًا، وإن تنزل درجة أخرى سمى قلبًا، وجمعه السرار.

= فإذا انفصل العارف عن هذا الاستغراق ورجع لحسه وشاهده تبرأ من ذلك لعلمه بمرتبته، وسُق هذا الكلام فى كل ما تسمع من الشيوخ . . .

انظر: سيدى أحمد التجانى: جواهر المعانى ٢/ ٦٢.

وانظر أخبار الحلاج بتحقيقنا ١٣٧.

وانظر السراج الطوسى: كتاب اللمع ص ٤٥٣.

(١) (السِّرّ) يُطلق على أمرين: أحدهما: أمرٌ خفى ضد العلانية، والآخر: القلب.

وهذا من باب إطلاق لفظ الحال على المحلّ، كإطلاق لفظ الخاطر الموضوع لما يحطر بالبال على محله، لأن القلب محل السرّ.

والسرّ بالمعنى الثانى مختلف فيه: فهو عند طائفة فوق الروح والقلب، وعند طائفة فوق القلب دون الروح.

وسئل خاتم الأولياء سيدى أحمد التجانى ﷺ عن النفس، والروح، والقلب، والسرّ، هل هم أسماء لمسمى واحد؟ فقال ﷺ: اعلم أن هذه الأسماء المتعددة إنما هى لمسمى واحد، لا تعدّد فيها، وإنما تتعدد أسماؤها، أى: الروح، لتعدد مراتبها.

وبيان ذلك أن الله تبارك وتعالى خلق الروح الإنسانى من صفاء صفوة النور الإلهى، وأنشأها من فيض العماء الربانى، وأسكنها محل الروح لم تزل فيه كاملة المعرفة بالله تعالى مستقرة فى محبته ووحدانيته عارفة بأسمائه وصفاته لا تلتفت لغيره، ولا تبالى بسواه فلم تزل على هذا فى غاية الصفاء، وفى غاية البعد عن فهوم العقول، ثم أسكنها قارورة الجسم الإنسانى، اكتسب الجسم بحسب استقرارها فيه حياةً وإدراكا وتكون فى الجسد بحسب الروح نفسا، وهى البخار اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة والإدراك، فالنفْس شىء يوجد حكمه ولا توجد عينه، إذ هو يتكون من اجتماع الروح والجسد فإن افترقا انعدم وجوده (أى النفس) وهو البخار اللطيف وهذا الشيء المعبر عنه بالنفْس هو منبع الأخلاق الذميمة، والأوصاف الفاسدة السّقيمة ما دام حكمه مستوليا على العبد فالروح أسير فى يده لا يسعى إلاّ فى مرضاته، وهو فى غاية الهلاك والبعد عن الحضرة الإلهية على قوّة نورانية الروح بسبب استقراره فى الجسم لما تلطخ بأدرانه وأوساخه، واستولى عليه حكم النفس الخبيثة وصار فاسقًا عن أمر ربّه، فما دامت الروح ميّالة إلى المعاصى، والمخالفات ومتابعة الهوى تسمى فى هذا المقام النفس الأمّارة بالسوء . . .

* فإذا طرأ عليها من الأنوار الإلهية ما يخرجها عن بعض ما كانت متصفة به من الخبائث والمخالفات بوجود التوبة أخذت فى توبيخ نفسها ولومها لذاتها عما فرطت فيه من الحقوق الإلهية فهى فى هذا المقام تسمى النفس اللوامة لأنها تلوم نفسها.

* ثم إذا طرأ عليها من الأنوار الإلهية ما يقضى بإخراجها عن كثائف المعاصى التى تسمى بالكبائر، وبقى عليها لطائف المخالفات تسمى قلبا لأنها شمّت رائحة الحضرة القدسية =

* **الملكوت**(١): وهو عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس المجردة.

= وتارة يهزها شم تلك الروائح فتحن شوقًا إلى ما كانت عليه من وجودها، وتارة تغلب عليها كثافة ظلمات طبيعتها فتحن أيضًا إلى مقتضيات شهواتها، فلذلك سميت قلبًا، لتقلبها.

* ثم إذا فاض عليها من الأنوار الإلهية من حضرة القدس ما يقضى بكمال طهارتها من جميع المخالفات كثيفها ولطيفها تسمى فى هذا المقام **النفس المطمئنة** لكنها بقيت عليها من الميل لغير الله، وإن كان حلالاً وبقى فيها أثر لاعوجاج عن الاستقامة.

* ثم إذا فاض عليها من الأنوار الإلهية ما يقضى بهدم أبنية جميع اختياراتها ومألوفاتها بالرجوع إلى الله تعالى عارية عن كل ما سواه فهى فى هذا المقام تسمى النفس الراضية، لكنها بقيت فيها آثار من الأبنية التى تهدمت قبلها وتلك الآثار كآثار الجروح فيها كزازة.

* ثم إذا فاض عليها من الأنوار الإلهية ما يقضى بكمال طهارتها من آثار الأوهام وقطع ذلك أثرًا وعينا، وانمحق وجوده وانعدم شهوده وهذا الفيض هو النور الأكبر المعبّر عنه فى اصطلاح العارفين بالفتح الأعظم فهى تسمى فى هذا المقام **بالنفس المرضية**، إلاَّ أنها انعدم منها الحس والإدراك فلا علم ولا رسم ولا اسم ولا مشاهدة إلاَّ مشاهدة الحق بالحق فى الحق للحق عن الحق وهذا هو المعبر عنه **بفناء الفناء**، ها هنا قد كمل رضا خالقها عنها ولذا تسمى النفس المُرضية.

* ثم إذا فاض عليها من أنوار حضرة القدس ما يقضى لها بتمييز المراتب وتفصيلها ومعرفة خواصها واستحقاقها، وإحاطتها بمقتضيات المراتب ولوازمها جملة وتفصيلا تسمى فى هذا المقام **النفس الكاملة**.

* ثم إذا فاض عليها من أنوار حضرة القدس ما يقضى بهدم بناء الإشارات ودكّ محسوسات العبارات، واتصفت بذلك ظاهرًا و باطنا سميت فى هذا **المقام «خفى»**.

* ثم إذا فاض عليها من أنوار حضرة القدس بعد ذلك ما يقضى لها بما نسبته فى الصفاء الأول فى مرتبة الخفاء كنسبة ضوء الشمس إلى الليل سمّيت فى هذا **المقام (أخفى)**.

وهكذا دائما وكلما ارتقت مقامًا اكتسبت بسبب فيوضه وتجلياته ومعارفه وعلومه وأسراره وفتوحاته ففى المقام الذى ترتقيه فوق مقام الأخفا يسمى سر الشدّة، والذى فوقه يسمى مقام السرّ، ثم الذى فوقه سر السرّ، ثم الذى فوقه سرّ سِرّ السر وفى المقام الرابع تكرر أربع مرات إلى خمسة مراتب إلى عشر مراتب وهكذا إلى أبد الآبدين فى الجنة.

انظر: سيدى أحمد التجانى: جواهر المعانى ٢/ ٥٦ وما بعدها، الشيخ محمود خطاب السبكى: أعذب المسالك (المختصر) ص ٣٠٣، التهانوى: كشاف اصطلاحات الفنون ٣/ ١٥٨، ابن عربى: الفتوحات المكية ٢/ ٤٧٨.

(١) كما أن الملك هو عالم الشهادة فالملكوت هو ما غاب عنا من المحسوسات: كالجنة والعرش والكرسى، وغير ذلك، **فعالم الملك**: ما شأنه أن يدرك بالحس والوهم، **وعالم الملكوت**: وهو ما شأنه يدرك بالعقل والفهم، **وعالم الجبروت**: ما شأنه أن يدرك بالحس وما معه، والعقل وما معه لا فى أول حال بل فى ثانى حال، والعالم الرابع عالم العزة: وهو ما امتنع إدراكه من كل وجه. انظر مختصر كتاب أعذب المسالك ص ٣٠٥.

* **المرتبة الأحدية**[١]: هى المرتبة المستهلك فيها جميع الأسماء والصفات، تسمى جمع الجمع.

* **العماء**: هو المرتبة المطلقة عن الإطلاق، وتقييد المتعالى عن التعالى والتدانى، وهو البطون الذاتى العمائى، الذى لا يتصف بالحقية ولا بالخلقية، بل هو متعالٍ عنهما، تضمحل فيه الأسماء والصفات كالأحدية، إلا أن الأحدية قد يُفهم معناها، والعماء لا يُفهم معناه إلا مَنْ ترقَى من حضيض الطبيعة إلى أوج الحقيقة، وقطع المقامات كلها، فوصل إلى المقام المسمّى عند القوم بمقام العجز عن درك الإدراك إدراك.

وأما التحقق به، فليس للمخلوق فيه نصيب، وهذا تجلى الذات، الذى مرّ أنه ممتنع فافهم، وهنا قال الصديق ﷺ: «العجز عن درْك الإدراك إدراكٌ»[٢].

فالسالك يسلك على المقامات، وينكشف له فى كل مقام عن نور من النور الذاتى، وذلك بحسب استعداده، فيعرف بذلك النور ربه وخالقه، فإذا سلك على جميع المقامات، وظن أنه قد تمّم المعرفة، وصل إلى مقام يتحقق فيه أن الذات شىء من خاصيته، إنه لا يعرف فيقول عند ذلك: «العجز عن درك الإدراك إدراك».

يعنى أنه قد أدرك أن الذات لا تعرف، وهذا أعلى المقامات، ولا تظن أن صاحب هذا المقام لم يدرك شيئًا، لأن من لم يصل إلى هذا المقام فهو ناقص المعرفة، ومن وصل إليه فهو كامل المعرفة، وفى هذا المقام يقول السالك: «ربّ زدْنى فيك تحيراً» يعنى الحيرة المقبولة، التى تتكثر وتتنوع فيها التجليات الأسمائية والصفاتية، لا الحيرة المذمومة الحاصلة فى أول السلوك، فافهم فإنه دقيق.

قال الواسطى[٣]: حقيقة الحق حقيقة لا يعلمها إلا الحق.

---

(١) المرتبة الأحدية: عبارة عن مجلى الذات ليس للأسماء ولا للصفات ولا لشىء من مؤثراتها فيها ظهور، فهى اسم لصرافة الذات المجردة عن الاعتبارات الحقية والخلقية، وليس لتجلى الأحدية فى الأكوان مظهر أتم منك، إذا استغرقت فى ذاتك ونسيت اعتباراتك، وأخذت بك فيك عن ظواهرك، فكنت أنت فى أنت من غير أن ينسب إليك شىء مما تستحقه من الأوصاف الحقية.
فالأحدية أول ظهور ذاتى، وامتنع الاتصاف بالأحدية للمخلوق.
انظر تفاصيل ذلك فى: عبد الكريم الجيلى: الإنسان الكامل ١/ ٤٢، محمود خطاب السبكى: مختصر أعذاب المسالك ص ٣٠٧.

(٢) وهذا قول الصدّيق الأكبر أبو بكر الصديق ﷺ.

(٣) الواسطى: هو أبو بكر الواسطى، واسمُهُ محمد بن موسى، أصله من فرغانة، وكان يعرف باسم =

* **الطبيعة**: هى القوة السارية فى الأجسام، بها يصل الجسم إلى كماله الطبيعى.

* **العبودية**[1]: هى الوفاء بالعهود، وحفظ الحدود، والرضا بالموجود، والصبر على المفقود.

* **الطمس**[2]: ذهاب رسوم السالك بالكلية فى صفات الله تعالى، فهو أعلى أنواع الفناء.

= الفرغانى من قدماء أصحاب الجنيد، وأبى الحسين النورى، وهو من علماء مشايخ القوم، لم يتكلم أحد فى أصول التصوف مثلما تكلم هو، وكان عالما بالأصول.

دخل خراسان، واستوطن كورة مرو، ومات بها بعد سنة ٣٢٠ هـ.

كان يقول (الحبُّ يوجب شوقًا، والشوق يوجب أُنْسًا، فمن فقد الشوق والأنس فليعلم أنه غير مُحب).

ويقول: (الخوف والرجاء زمامان يمنعان من سوء الأدب).

انظر ترجمته فى: السلمى: طبقات الصوفية ٣٠٢، أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٩، الرسالة القشيرية ٢٦، الهجويرى: كشف المحجوب ص ١٨٤، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٦٠٨، الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ٨٥، محمود خطاب السبكى: مختصر أعذب المسالك ١١٨.

(١) **(العبودية)** هى: صفة من شاهد نفسه لربه.

قال صاحب كتاب (حالة أهل الحقيقة مع الله) عن محمد الجريرى قال: إن الله تعالى حكم على أصفيائه وأحبابه أن لا يخرجوا من الدنيا إلاّ وطوق العبودية فى أعناقهم، وما اشتغل أحد بغيره إلاّ ضاع عمره، وذهب عنه صفاء الوقت، ومن أراد صفاء الوقت فليؤثر الله على كل شىء.

وقال القشيرى: العبودية القيام بحق الطاعات بشرط التوقير والنظر إلى مأمنك بعين التقصير.

وقيل: العبودية: التبرى من الحول والقوة، والإقرار بما يعطيك ويوليك.

وقال القشيرى: سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول: العبودية أتَمّ من العبادة، والعبودة أتم من العبودية.

فالعبادة: للعوام من المؤمنين، والعبودية: للخواص، والعبودة: لخواص الخواص.

وقال ذو النون المصرى: العبودية أن تكون عبده فى كل حال كما أنه ربُّك فى كل حال.

وقال أبو على الدقاق: أنت عبْدُ من أنت فى رقّه وأسره، فإن كنت فى أسر نفسك فأنت عبدُ نفسك، وإن كنت فى أسر دنياك فأنت عبد دنياك.

قال ﷺ (تَعِسَ عَبْدُ الدرهم، تَعِسَ عبد الدينار تعس عبد الخميصة).

انظر: القشيرى: الرسالة ص ٩٩، الإمام صلاح الدين التجانى: الكنز فى المسائل الصوفية ص٨٤، القاشانى: معجم اصطلاحات الصوفية ٢/ ١٠٤، الإمام أحمد الرفاعى (حالة أهل الحقيقة مع الله).

(٢) (الطَّمْسُ) الدُّروسُ والانمحاء.

وطَمَسَ الطريق، وطَسَمَ يطمِسُ، ويطمُسُ طُموسا: دُرِسَ وانمحى أثره. =

* **الفناء**[1]: يقال على ما ذكرناه فى حق اليقين، ويقال على سقوط الأوصاف المذمومة بكثرة الرياضة، ويقال على عدم الإحساس بعالم الملك.

= ويقال: طمسته فطمس طُموسا إذا ذهب بصره.
وطموس القلب: فساده.
والطَّمْسُ: استئصال أثر الشّيء.
وفى القرآن الكريم ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ آية (٨٨): يونس، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ ﴾ آية (٦٦) يس، وقوله تعالى: ﴿ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا ﴾ آية (٤٧) النساء.
وهى هنا فى الآيات الثلاث متقاربة المعنى، فطمس المال والعين والوجه يأتى هنا بمعنى الدرس والانمحاء.
وفى المصطلح الصوفى: ذهاب ظلمة السيار فى تجلى نور الأنوار، بحيث لم يبق النور من ظلمته رسمًا، ولا أثرًا، والطمس فوق الحرق، الذى هو فوق البرق، وهو فوق المحو، لأن المحو: رفع أوصاف العادة والطمس: رفع جميع الأوصاف.
انظر: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية بتحقيقنا ٢/ ٨٦.
وانظر: ابن منظور: لسان العرب مادة (طمس).

(١) (الفناء) تتعدد معانى الفناء، أو قل مراتبه، لكن ربما اتفق الجميع على أنها زوال واضمحلال لأوصاف كانت ويحل محلها أوصاف أخرى أبقى منها وأهم، فانظر إلى ما قاله الإمام الصوفى الكبير: «عبد القادر الجيلانى» فى كتابه: (فتوح الغيب) المقالة السادسة:
افن عن الخلق بإذن الله تعالى، وعن هواك بأمر الله تعالى، وعن إرادتك بفعل الله تعالى، وحينئذ تصلح أن تكون وعاءً لعلم الله تعالى.
فعلامة فنائك عن خلق الله تعالى: انقطاعك عنهم، وعن التردد إليهم، واليأس مما فى أيديهم.
وعلامة فنائك عن هواك: ترك التكسب والتعلق بالسبب فى جل النفع، ودفع الضرّ، فلا تحرك فيك، ولا تتعمد عليك لك ،ولا تذب عنك، ولا تنفر نفسك، تكل ذلك كله إلى الله تعالى.
وعلامة فنائك عن إرادتك بفعل الله: أنك لا تريد مرادا قط، ولا يكون لك غرض، ولا يبقى لك حاجة ولا مرام، فإنك لا تريد مع إرادة الله سواها، بل يجرى فعل الله فيك، فتكون أنت عند إرادة الله وفعله ساكن الجوارح مطمئن الجنان، منشرح الصدر، منور الوجه عامر البطن، غنيا عن الأشياء بخالقها ـ تقلبك يد القدرة، ويدعوكَ لسان الأزل، ويعلمك رب المِلَل، ويكسوك أنواراً منه والحلل، فلا ينبت منك شهوة وإرادة، كالإناء المنثلم، الذى لا يثبت فيه مائع ولا كدر، فتنقى عن أخلاق البشرية.
وقَسَّم «القاشانى» الفناء إلى عدة مراتب، وعناوين، وتحت كل عنوان تفاصيل معناه، وسأكتفى هنا بالعناوين، فمن أراد التوسع فليرجع إلى المعجم، فمنها:
ـ الفناء عن الشهوة: ويعنى بها سقوط الأوصاف المذمومة. =

* **البقاء**(١): وجود الأوصاف المحمودة فى السالك بسبب الرياضة، وهو نتيجة الفناء، فمتى تمّ الفناء حصل البقاء، كما عرفت فى حق اليقين.

= ـ فناء الراغب: يزيد مع ذلك الفناء بالجوارح القلب.
ـ الفانى برغبته: الذى ترك لذته، ثم رغب عنها بقلبه.
ـ فناء المتحقق بالحق: المشتغل بالحق عن الخلق.
ـ فناء أهل الوجد: لكون الوجد سبب فنائه.
ـ فناء صاحب الوجود: لكونه ممن يجد نفسه وغيره من الخلق.
ـ فناء رؤية العبد لفعله: لقيامه بالله.
ـ فناء الفناء: هو الفناء عن شهود الفناء.
ـ فناء الوجود فى الوجود: اتصال الوجود.
ـ فناء الشهود فى الشهود: المعنى السابق.

انظر تفاصيل ذلك فى معجم الاصطلاحات والإشارات الصوفية بتحقيقنا ٢/ ٢١٧.

وانظر الجيلانى، عبد القادر (فتوح الغيب) طبعة ١٩٧٣م مصطفى الباب الحلبى القاهرة ص ١٢ المقالة السادسة.

(١) **(البقاء)** يطلق ويراد به: رؤية العبد قيام الله فى كل شىء.

البقاء لغةً: ضد الفناء، وبقى الشىء يبقى بقاء، والاسم: البَقْيا، والبُقيا.

وبقى بالرجل زمانًا: بمعنى عاش وأبقاه الله.

والإرعاء على الشىء، أى: الإبقاء عليه.

وفى القرآن الكريم: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ آية (٨): الحاقة، وقوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ آية (٨٦) هود، وقوله تعالى: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ آية (٤٦) الكهف، وكلها بمعنى واحد.

وعند الصوفية: أن ترى نفسك باقيا بالحق، وللحق بعد فناء الجسد بفضل الطريقة، وتتجنب الأسماء المتفرقة التى توجب التفرقة والكثرة، وتهتدى بالاسم الكلى الذى يقتضى جمع الفرق فتعتزل الخلق.

وسبيل البقاء وطريقه هو طريق الشيخ والمريد والمرشد الذى هو الإنسان الكامل، الباقى بالعشق دائما.

وقال القشيرى: أشاروا بالفناء إلى سقوط الأوصاف المذمومة وأشاروا بالبقاء إلى قيام الأوصاف المحمودة، فمن فنى عن أوصافه المذمومة ظهرت عليه الأوصاف المحمودة.

انظر: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية ٢/ ٢٨٨.

القشيرى: الرسالة (٣٩).

التهانوى: كشاف اصطلاحات الفنون (بقاء).

وانظر معجم المصطلحات الصوفية بتحقيقنا ٢/ ٢٢١.

* **الهوية السارية فى جميع الموجودات**[(١)]: هى عبارة عن الذات العلية الملاحظة لا بشرط شىء ولا بشرط لا شىء.

* **الفهوانية**[(٢)]: خطاب الحق للسالك بطريق المكافحة فى عالم المثال.

* **القبض والبسط**[(٣)]: حالتان تحصلان للسالك المتوسط فى الطريق، كما أن الخوف والرجاء يحصلان للمبتدى، فالقبض والبسط يردان على قلب العارف بغير سبب، والخوف والرجاء يتعلقان بأمر مستقبلى مكروهًا أو محبوبًا.

---

(١) (الهوية السارية فى جميع الموجودات) هى: الذَّات من حيث غيبها، وهى حقيقة الحقائق وهى الهوية المحيطة بجميع الهويات، وهى باطن الوحدة التى لا يخرج عن حيطتها شىء وهى التعين الأول، الذى هو أول رتب الذات الأقدس، وذلك لكليته وكونه أصلاً جامعا لكل اعتبار وتعين، وباطنًا لكل حقيقة إلهية وكونيّة، وأصْلاً انتشأ عنه كل ذلك، وهوية الحق: غيبه الذى لا يمكن ظهوره، ولكن باعتبار جملة الأسماء والصفات فكأنها إشارة إلى باطن الواحدية.
انظر معجم المصطلحات الصوفية ١/ ٤٢٥، ٢/ ٣٧٢.
الجيلى: الإنسان الكامل ١/ ٩٦.

(٢) (الفهوانية) هنا مصطلح من المصطلحات التى لم تنتشر عند أهل الطريق قبل مجىء ابن عربى، وله كتاب بهذا الاسم بعنوان (منزل المنازل الفهوانية) كان لنا شرف القيام بتحقيقه، وهو يشرح فيه دلالة المصطلح وكيف يكون خطاب الحق، وله (منزل الاستواء الفهوانى) أو منزل (الفهوانية الروحانية) وهذا الجزء الذى أورده المؤلف وهو [خطاب الحق مكافحة فى عالم المثال] هو قوله ﷺ أن تعبد الله كأنك تراه، إلى المقصود بالمكافحة وجها لوجه وهو ما ذكره من العروج بالنسبة للحبيب سيدنا محمد ﷺ إذ لم يصل أحد بفضل الله إلى هذا المنزل إلا هو ﷺ حين حمله البراق ووصل به إلى الحضرة ليلة أسرى به.
انظر تحقيقنا لكتاب ابن عربى (منزل المنازل الفهوانية).
وانظر كتاب الإسرا إلى المقام الأسرى تحقيق د/ سعاد الحكيم والفتوحات المكية ٢، ٣، وانظر القاشانى: معجم المصطلحات الصوفية بتحقيقنا ٢/ ٢٢١.

(٣) (القبض والبسط) قال الإمام الجنيد رحمه الله.
الخوف من الله يقبضنى، والرجاء منه يبسطنى، والحقيقة تجمعنى، والحق يفرقنى، إذا قبضنى بالخوف أفنانى عنّى، وإذا بسطنى بالرجاء ردّنى علىّ، وإذا جمعنى بالحقيقة أحضرنى، وإذا فرقنى بالحق أشهدنى غيرى فغطانى عنه، فهو تعالى فى ذلك كله مُحرّكى غير ممسكى، وموحشى غير مؤنسى، فأنا بحضورى أذوق طعم وجودى، فليته أفنانى عنّى فمتّعنى، أو غيبنى عنى فروّحنى.
وقالوا: القبض حزن النفس على وجه يكاد يبطل دواعيها فيما هى عليه، ومنعها عن التوجه إلى شىء من المطاليب كأنه قد قبضها، وقيدها عن أن تنشط فى أمر وتبتهج به والقبض تختلف أسبابه، فتارة يكون للقوى البدنية، وتارة لقنوط وتارة لإلهام، وتارة لاستشعارها ما لها من خلق =

* **الهيبة والأنس**(١): حالتان فوق القبض والبسط، كما أن القبض والبسط فوق الخوف والرجاء، والهيبة مقتضاها الغيبة، والأنس مقتضاه الصحو والإفاقة.

* **الغضب**(٢): هو قوة حية يغلى بها دم القلب لطلب الانتقام.

= مذموم تحاول تنحيته، ولتمكنه منها يعسر عليها ذلك فتنقبض وهما، أى القبض والبسط منزلان من منازل السائرين إلى الله تعالى وذلك أن السائر ما دامت مكاشفاته، ومشاهداته، ومعايناته مقصورة عليه فهو فى قبض، وإذا انبسطت منه حتى تخطى بها غيره بواسطته، فهو فى بسط، وكذا فإنه ما دام مدد السائر في مكاشفاته، ومشاهداته ومعايناته من حضرة جلال الغيب، وإطلاقه فهو فى قبض، لأن السائر يطوى حينئذ فى جلباب القبض، فلا يتفرغ للنظر والإدراك أصلاً، وإن كان مدده عن حضرة جمال الشهود فإنه ينبسط ويظهر بصورة تمكن وسؤال، فتصير فى بسط ربما أسكره قوة ذوقه حتى يتجاوز طوره، فإذا صحا تاب وأناب، وذلك هو أعلى مقامات التوبة، ويحصل الاتصال ثم الانفصال عن رؤيته.

انظر: الإمام القشيرى: الرسالة ص ٣٥، الإمام عبد الرزاق القاشانى: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية ٢/ ٢٢٥، الهجويرى: كشف المحجوب ص ٤٥٤.

(١) **(الهيبة والأنس)** إذا ظهرت عظمة الله تعالى فى قلب إنسان فسكن جلاله شعر بالهيبة.
أمّا إذا سبق جماله، سبحانه وتعالى، شعر بالأنس.
وحق الهيبة: الغيبة للهائب، فكل هائب من شيء غائب عن غيره، فالهائب من المكون غائب عن الأكوان، ثم الهائبون يتفاوتون فى الغيبة على حسب تفاوتهم فى الهيبة، فمنهم من تطول غيبته، ومنهم من تقصر غيبته على حسب هيبته ممن اشتغل به وإجلاله له.
وحق الأنس: صحو بحق، أى: يقظة وإفاقة بمقام شريف يشرف عليه صاحبه، فكل مستأنس لشيء من مقام شريف ونحوه صاح لانشراح صدره، ثم المستأنسون يتفاوتون على حسب تباينهم فى الشُّرب ولهذا قالوا: أدنى مقام الأنس بالله أنه لو طرح فى لظى لم يتكدَّر عليه أنسه.
انظر: الشيخ محمود خطاب السبكى: مختصر أعذب المسالك بتحقيقنا ٢٤٣.
الهجويرى: كشف المحجوب ص ٤٥٦.
القاشانى: معجم اصطلاحات الصوفية ١/ ٢٤٣، القشيرى: الرسالة ٣٦.

(٢) **(الغضب)** شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة، التى تطلع على الأفئدة، وإنها لمستكنة فى طى الفؤاد، استكنان الجمر تحت الرماد، ولذا قال رسول الله ﷺ (ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذى يملك نفسة عند الغضب) متفق عليه من حديث أبى هريرة رضي الله عنه وقيل: إيَّاك والغضب، فإنه يُصيّرك إلى ذلة الاعتذار.
وقال عبد الله بن مسعود: انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه، وأمانته عند طمعه، وما علمك بحلمه إذا لم يغضب، وما علمك بأمانته إذا لم يطمع.
وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضرورى كالجاه، والصيت، والتصدر فى المجالس، والمباهاة بالعلم، فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب إذا زاحمه مزاحم على التصدر فى المحافل =

* الحقد[(١)]: هو إخفاء العداوات فى القلب لمحل الانتقام.

* الحسد[(٢)]: هو كراهة أن تكون النعمة على الغيـر، فيحب زوالها، وهو المذموم من

= ومن لا يحب ذلك فلا يبالى ولـو جلس فى صف النعال، وكلما كانت الإرادات والشهـوات أكثر كان صاحبـها أحطّ رتبة، وأنقص، لأن الحاجة صفـة نقص فمهما كثرت كـثُر النقص، والجاهل أبدًا فى أن يزيد فى حاجاته وفى شهواته وهو لا يدرى أنه مـستكثر من أسباب الغم والحزن ومن آثار الغضب فى الظاهر تغيّر اللون، وشدّة الرعـدة فى الأطراف وخروج الأفعال، حتى يظهر الزبد على الأشداق، وتحمرّ الأحـداق، وتنقلب المناخر، وتستحيل الخلقة ولو رأى الغـضبان فى حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياءً، وقبح باطنه أعظم قبْحًا من قبح ظاهره.

وأمّا قمعُ أصل الغـيظ من القلب فذلك ليس مقتـضى الطبع، وهو غير ممكن، نعـم يمكن كسر سورته وتضعيفـه حتى لا يشتد هيجانه ـ الغيظ ـ فى الباطن فـيظهر أثره فى الظاهر، فلو كان قمع الغضب متصورًا بالكلية أو على الدوام لشـخص ما لكان ذلك لرسول الله ﷺ فإنه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه رواه الإمام مسلم من حديث جـابر بن عبد الله، وقال علىٌّ كرم الله وجهه (كان رسول الله ﷺ لا يغضب للدنيا فـإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغـضبه شىء حتى ينتصر له) رواه التـرمذى فى الشمائل، لأن ثمـرة الحميّة الضعـيفة قلّة الأنَفَة، واحـتمال الذل من الأخساء، وصغر النفس، والقماءة، وهو أيضًا مذموم إذ من ثمراته الخنوثة، قال ﷺ (إن سعدًا لغيور، وأنا أغيـر من سعد، وإن الله أغير منى) متفق عليـه من حديث أبى هريرة، وإنما خلقت الغيـرة لحفظ الأنساب، ولو تسـامح الناس بذلك لاختلطت الأنسـاب، وقال ﷺ (خيـر أمتى أحدّاؤها) يعنى فى الدين رواه الطـبرانى فى الأوسط والبيهـقى فى الشعب، بل من فقـد الغضب تمامًا عـجز عن رياضة نفسه، إذ لا تتم الرياضـة إلاّ بتسلط الغضب على الشهـوة حتى يغضب، ففقْده مذموم، وإنما المحمـود غضب ينتظر إشارة العقل والدين فينطفى حيث يحسن الحلم، انظر إلى حديث الـمصطفى ﷺ (ألا إن بنى آدم خُلقـوا على طبقات شـتى، فمنهم بطـىء الغضب سريع الفىء، ومنهم سريع الغضب سـريع الفىء فتلك بتلك، ومنهم سريع الغضب بطىء الفىء ألا وإن خيرهم البطىء الغضب السريع الفىء، وشرهم السريع الغضب البطىء الفىء).

انظر تفاصيل كثيرة حول الغضب فى: الغزالى: إحياء علوم الدين ٣/ ١٦٠.

(١) (الحقد) ثمرة من ثمرات الغضب الذى كظمه صاحبه لعجز عن التشفى فى الحال، فرجع الغضب إلى القلب واحتقن فيه فصار حقدًا دفينا، وعلاجه العفو، وقال ﷺ (المؤمن ليس بحقود).

انظر: الإمام الغزالى: إحياء علوم الدين ٣/ ١٧٧.

(٢) (الحسد) نتيجـة من نتائج الغضب المكنون فهـو فرع عن الحقد والحقـد فرع عن الغضب ثم إن للحسد من الفروع الذميمة ما لا يحصى قال ﷺ (الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) رواه أبو داود من حديث أبى هريرة ﷺ وابن ماجه من حديث أنس ﷺ.

والحسد من الأخلاق التى ذمها الله ورسوله وعلمنا الله سبحانه فقال ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ آية (٥) من سورة الفلق، فالمؤمـن ينـبغى له أن يروض نفسـه أن لا تحـسد أحدًا بل يعلمها الغبطة =

نوع الحسد، وأما الحسد الذى هو غبطة، فهو أن لا ينكر النعمة على الغير، ولا يريد زوالها، ولكن يريد لنفسه مثلها، وهذا الحسد محمود.

* **الكبر**[(١)]: صفة فى النفس تنشأ من رؤية النفس، وما يظهر من التكبر والتعاظم فى الظاهر، فهو أثر تلك الصفة.

* **العجب**[(٢)]: هو تكبر بجهل فى الباطن، بتخيل كمال من علم أو عمل.

* **الغرور**[(٣)]: هو اعتقاد الشىء على خلاف ما هو عليه، وهو نوع من الجهل،

= لأن الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل قال «معاوية» (ليس فى خلال الشر خلة أعدل من الحسد تقتل الحاسد قبل المحسود).

وقال «عمر بن عبد العزيز» (ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من الحاسد غم دائم ونفس متتابع).

انظر: الإمام القشيرى: الرسالة ٧٩، الإمام الغزالى: إحياء علوم الدين ٣/ ١٨٣.

(١) (الكِبْرُ) هو خُلق مذموم فى باطن الشخص عبارة عن استعظام النفس، ورؤية قدرها فوق قدر الغير، وأمّا ما يظهر من الأفعال فهى ثمرة ونتيجة لهذا الباطن.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ آية (٦٠) غافر، وقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ آية (١٤٦) الأعراف، وقال ﷺ لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر رواه الإمام مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه وزاد فيه: (الكبر من بطر الحق وغمط الناس). انظر: إحياء علوم الدين ٣/ ٣٣٤.

(٢) (العُجْبُ) يدعو إلى الكبر بل هو مقدمات الكبر.

فالعجب مع الله يدعو المعجَب إلى نسيان الذنوب، وإهمالها ويستصغرها مما يجعله لا يجتهد فى تدارك ما فاته منها يقول الرسول ﷺ (إيَّاكم ومحقّرات الذنوب فإنهن يَجتَمعن على الرجل حتى يهلكنه...) رواه أحمد بن حنبل والطبرانى عن ابن مسعود رضي الله عنه.

ثم يؤدى به العجب بعد ذلك إلى استعظام العبادات حتى يعمى عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضائعا، ثم يؤدى به العجب إلى الوقوع فى الكبائر، مثل الكبر والعياذ بالله وما أهلك إبليس إلاّ الكبر.

والمعجب يغترّ بنفسه، وبرأيه، ويأمن مكر الله وعذابه ويظن أنه عند الله بمكان، وأن له عند الله منّة بأعماله إلى أن يثنى على نفسه ويزكيها، ويستنكف من غيره حتى يقع يوم لا ينفع الندم.

انظر تفاصيل كثيرة فى إحياء علوم الدين ٣/ ٣٥٨.

(٣) (الغرور) هو منبع الشقاوة، ومعه الغفلة كما قال الإمام الغزالى رحمة الله عليه: مفتاح السعادة التيقظ والفطنة، ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة، فالمغترون قلوبهم ﴿كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ (النور).

أولئك الذين أراد الله سبحانه وتعالى أن يضلهم فجعل صدرهم ضيقا حرجا فلم تنفتح بصيرته =

وأصناف المغترين كثيرة فالعُبَّاد، والعلماء منهم مغترون وكذلك الصوفية، وكذلك أهل الدنيا وأهل العلم.

* **الرياء**(١): هو أن يطلب الرجل بقلبه رؤية الناس أعماله، وهو نوعان: ظاهر وخفى.

فالظاهر منه: هو أن يحمله هذا الطلب على العبادة، أو على تحسينها.

والخفى منه: هو الذى لا يحمل على العبادة، ولا على تحسينها، ولكن يحب أن يطلع الناس على عباداته.

* **الجاه**(٢): هو انتشار الصيط.

= ليكون بهداية نفسه بصيرًا وكفيلاً وبقى فى العمى فاتخذ الشيطان قائدًا ودليلا ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ آية (٧٢) الإسراء، والمغرور إذا أقبلت عليه الدنيا ظن أنها كرامة من الله، وإذا صُرفت عنه ظن أنها هوان فيقول الله تعالى: فالكريم من أكرمته بطاعتى غنيًا كان أو فقيرًا، والمهان من أهنته بمعصيتى غنيا كان أو فقيرا.

وقال ﷺ «فإن الله يحمى عبده من الدنيا وهو يحبه كما يحمى أحدكم مريضه من الطعام والشراب وهو يحبه» رواه الترمذى وحسَّنه والحاكم وصححه من حديث قتادة بن النعمان.

ومن فعل الله به ذلك فهنيئا له ولو كان على نوم، فقلب التقى النقى وإن كان نائما خير من عبادة المغترين، كما قال ﷺ «حبَّذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم، ولمثقال ذرّة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الأرض من المغترين» رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب اليقين من قول أبى الدرداء بنحوه.

انظر: إحياء علوم الدين للغزالى ٣/ ٣٦٧.

(١) (الرِّياءُ) قال الله تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝﴾ (الماعون) وسئل رسول الله ﷺ فيم النجاة؟ فقال: (أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس) وقال: (من راءى راءى الله به، ومن سمّع سمّع الله به) متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله.

وقال علىٌّ بن أبى طالب كرم الله وجهه: للمرائى ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان فى الناس، ويزيد فى العمل إذا أثنى عليه، وينقص إذا ذم.

وقال الفُضيل بن عياض: كانوا يُراءون بما يعملون، وصاروا اليوم يُراءون بما لا يعملون.

والرياء له أقسام ودرجات وأركان.

والرياء أيضا جلىٌّ وخفىٌّ.

ويقول عنه رسول الله ﷺ (اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل).

انظر: الغزالى: إحياء علوم الدين ٣/ ٢٨٦ وما بعدها.

(٢) (الجاه) قال تعالى ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ الآية: (٤٦) الكهف. =

* **والخمول**(١): ضد الجاه وهو انخماد ذكر السالك بالكلية.

* **الإخلاص**(٢): هو أن لا يطلب الرجل رؤية الناس أعماله، وهو ضد الرياء.

= فالجاه والمال ركنا الدنيا، فمعنى المال ملك الأعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها.

أو قُل: قيام المنزلة فى القلوب فتعتقد الناس فيه نعتا من نعوت الكمال، وبقدر ذلك يكون فرحه وحبّه للجاه.، وله ثمرات كثيرة، قال رسول الله ﷺ (ثلاث مهلكات: شحٌ مطاع، وهوى متّبع، وإعجاب كل ذى رأى برأيه) رواه الديلمى فى مسند الفردوس.

والجاه وحب المال مثل ذئب ضار يأكل دين العبد المسلم لقوله ﷺ «ما ذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأسرع إفسادًا من حب الشرف والمال فى دين الرجل المسلم» رواه أحمد بن حنبل والترمذى عن كعب بن مالك رضي الله عنه.

انظر: الغزالى: إحياء علوم الدين ٣/ ٢٧١.

(١) **(الخمول)** قال رسول الله ﷺ «رُبَّ أشعث أغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لأبره منهم البراء ابن مالك» رواه مسلم من حديث أبى هريرة.

وكان الخليل بن أحمد يقول: (اللهم اجعلنى عندك من أرفع خلقك، واجعلنى عند نفسى من أوضع خلقك، واجعلنى عند الناس من أوسط خلقك) وقال إبراهيم بن أدهم: «ما قَرَّت عينى يومًا فى الدنيا قط إلاّ مرّة، بت ليلة فى بعض مساجد قرى الشام، وكان بى البطن، فجرّنى المؤذن من رجلى حتى أخرجنى من المسجد».

قال الشاعر:

عش خامل الذكر بين الناس وارض به
هذا أسلم للدنيا وللدّين

انظر: إحياء علوم الدين ٣/ ٢٧٠.

(٢) **(الإخلاص)** هو: تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين، وقال أبو على الدقاق: الإخلاص: إفراد الحق سبحانه وتعالى فى الطاعة بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، دون شىء آخر، من تصنّع لمخلوق، أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق أو معنى من المعانى سوى التقرب به إلى الله تعالى.

ويقال: الإخلاص: التوقى عن ملاحظة الأشخاص.

قال ذو النون: ثلاث من علامات الإخلاص:

* استواء المدح والذم من العامة.
* نسيان رؤية الأعمال فى الأعمال.
* نسيان ثواب العمل فى الآخرة.

وقال سهل: لا يعرف الرياء إلاّ مُخلص.

وقال أبو سعيد الخراز: رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين، كل ذلك لأن الحق سبحانه =

* **كيمياء السعادة**[(١)]: المختتل عن الأوقات الذميمة، والتحلى بالأوصاف الحميدة.

* **كيمياء العوام**[(٢)]: استبدال المتاع الأخروى الباقى بالحطام الدنيوى الفانى.

= وتعالى ميَّز الإخلاص كما ميّز أهله فقال سبحانه وتعالى (الإخلاص سِرّ من أسرارى أستودعه قلب من أحببت من عبادى) عزاه العراقى إلى الإمام القشيرى فى الرسالة.

وقال يوسف بن الحسين: أعز شيء فى الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد فى إسقاط الرياء عن قلبى، فكأنه ينبت على لون آخر.

انظر القشيرى: الرسالة ١٠٤، الغزالى: إحياء علوم الدين ٤/ ٣٦٤.

(١) (كيمياء السعادة) الكيمياء يعنون بها: القناعة بالموجود وترك التطلع إلى المفقود.

وفى فهم الكيمياء قصة: يُحكى عن الملك السعيد صاحب ماردين أنه خلا يومًا بالشيخ «محمد اللبان» فقال له: إنى أريد أن أستسرك حديثا، فقال الشيخ: هات، فقال له: إن الله فتح عليك بمعرفة علم الكيمياء، وأنت تعرف ما نحن فيه من مقاساة الأعداء، ومهادنة ملوك الترك، وملوك الشام، بحيث يحتاج فى أكثر الأوقات إلى أن نُثقل على الرعايا بطلب الأموال لتصون بذلك حريمهم، ونكف يد العدو عنهم، فإن رأى الشيخ أن يساعدنا بما قد أنعم الله عليه من معرفة الكيمياء، كان فى ذلك إحسانًا إلينا، وإلى كافة المسلمين فقال له الشيخ: نعم أيها الملك، علمنى الله وبحمده، وأعلمك إن شاء الله فتعجب الملك، لما فى ذلك من مخالفة على ما جرت عليه عادة أهل هذه الصناعة فى كتمانها، ثم إن الشيخ وضع من كتفه منديلا مشدود الطرفين، وقال للملك: ها أنا الآن أعلمك الكيمياء.

ثم حل طرفى المنديل، وفى أحد طرفيه كسرة خبز شعير، وفى الطرف الآخر ملح جريش، فقال الملك: ما هذا؟ فقال الكيمياء أعنى القناعة فإنى طلبت الغنى فوجدته فى القناعة، وها أنذا قد قنعت بقرُص الشعير، وهذا الملح، وقد بقى منه ما أتقنع به أيامًا أخر فإن تعلَّم الملك فقنع بما قنعت به استغنى عن مداراة الأعداء، وأمّن نفسه عن التثقيل على الناس بطلب أموالهم.

فبكى الملك واعترف أمام الشيخ بالحق وبأنه من أهل المعرفة، فكيمياء السعادة يعنون بها تهذيب النفس وتصفيتها، وتخليصها من أمراض الطبع البشرى، والخُلُق البهيمى بتبديل أخلاقها الذميمة بالحميدة، بحيث تزول عن النفس عللها، وأمراضها مثل أن تبدّل الكذب بإثبات الصدق، وتنفى الخيانة بإثبات الأمانة، وتستبدل الرياء والغدر بالإخلاص، وتستبدل عن التعلق بالأكوان التعلق بالمكوّن، وعن كفر النعمة بشكرها وهكذا... التخلّى عن سفساف الأخلاق بالتحلّى بشريفها.

انظر: القاشانى: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية ٢/ ٢٥١.

(٢) (كيمياء العوام) استبدال ما يفنى من نعيم الدنيا بما يبقى من نعيم الآخرة، فإن من أنفق ما يحب من ماله وجاهه ومقتنياته فى أبواب البر، فقد استبدل عما يفنى بما يبقى لا محالة، وهكذا من جاد بنفسه فى سبيل الله فقد استبدل عن بدنه بدنًا لا يمرض ولا يبلى.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ آية (١٦٩) آل عمران.

وقال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ آية (٩٦) النحل. =

* **كيمياء الخواص:** تخليص القلب عن الكون، باستثار المكوّن.

* **الحُجُب:** هو انطباع الصور الكونية فى القلب، المانعة من قبول تجلى الحق، فمتى [كان فى قلب][(١)] السالك غير الله فهو محجوب عن تجلــى الحق، وقد تكثر الأغيار فتصير حُجُبًا ظلمانية، وقد تقل فيتكون حجابًا نورانيًا.

فلذلك اختار المحققون للسالك ترك الأسباب والخلوة، لئلا تنطبع الصور الكونية فى قلبه فتــمنعه عن تجلى الحق له، والدليل على أن المانع هو الصــور أنك ترى العابد الذى ليس سالكًا طريق المحققين، يعبد الله ســبعين سنة، فلم يحصل فى قلبه شيء مما يحصل للسالكين، لأن العابد الذى هو ليس بسالك [لهذا الطريق][(٢)] قلبه مملــوء من الأغيار، ولا يسعى فى إذهابها من قلبه، ولا يريد ما أراده السالكون، بل يطلب ما وعده الله فى الجنة.

[فهذا إن قبل الله عباداته أعطاه ما وعده به فى الجنة، وهو لا يخلف الميعاد][(٣)].

والعابد السالك يعطيه الله تعالى التجلى فى الدنيا، وله فى الآخرة أعلى المقامات.

* **الجمع**[(٤)]: هو شهود الأشياء بالله، والتبرى عن الحول والقوة إلا بالله.

= انظر القاشانى: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية بتحقيقنا ٢/ ٢٥٢.
بتحقيقنا. طبعة دار الكتب المصرية ١٩٩٦م.

(١) ما بينها سقط من نسخة المخطوط ومستدرك بالهامش أعلى الصفحة.

(٢) ما بين المعقوفتين مستدرك من الهامش.

(٣) ما بين المعقوفتين مستدرك من الهامش.

(٤) (الجمع) يطلق فى اصطلاح القوم على عدّة معان: منها: أنهم يشيرون بالجمع إلى حق بلا خلق، وبالتفرقة العكس، وقيل: الجمع الاشتغال بالحق بحيث يجــتمع الهم ويتفرغ الخاطر للتوجه إلى حضرة قدسه تعالى، وأن الفرق هو تفرقة الخــاطر عن ذلك، وقيل: الجمع: الاشتغال بشهود الله عما سواه، والتفرقة هى الاشتغال عن الله بما سواه.

والجمع هو أحد المــنازل العشرة التى عدها أبو إسمــاعيل الأنصارى من قسم النهــايات فى كتاب منازل السائرين إلى الحــق فقال: الجمع مــا أسقط التفــرقة، وقطع الإشارة، وشــخص عن الماء والطين، بعــد صحة التــمكين، والبراءة من التلوين، والخــلاص من شهــود التنوية، والتنافى من إحساس الاعتدال والتنافى عن شهود شهودها.

وهو على ثلاث درجات: جمع علم، جمع وجود، جمع عين.

* فأمّا جمع العلم: فهو تلاشى علوم الشواهد فى العلم اللدنى صرفًا.

* أمّا جمع الوجود: فهو تلاشى نهاية الاتصال فى عين الوجود محقًا.

* وأمّا جمع العَيْن: فهو تلاشى كل ما تقله الإشارة فى ذات الحق.

والجمع غاية مقامات السالكين وهو طرف بحر التوحيد. =

* جمع الجمع: الاستهلاك بالكلية، والفناء عما سوى الله تعالى، وهو مرتبة الأحدية.

* الفرق الأول[١]: هو أن يحتجب السالك بالخلق عن الحق، فلا يرى إلا الخلق، وهو حال المبتدئ من السالكين والعوام.

* الفرق الثاني: وهو شهود قيام الخلق بالحق، ورؤية الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة من غير انحجاب بأحدهما عن الآخر.

* التجريد: هو إزالة السوى والكون عن القلب والسير.

* الكون[٢]: هو العالم، أعني ما سوى الله.

* الجَرَس[٣]: إجمال الخطاب الإلهي الوارد على القلب، بضرب من القهر.

* الطوالع[٤]: هو أول ما يبدأ من تجليات الأسماء على باطن السالك فتحسُن أخلاقه بها، لأنها تنور باطنه.

= انظر: الهروي: منازل السائرين ص ١٣٤ رقم ٩٩، .القاشاني: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية ١/ ٣٩٢.

(١) (الفرق الأول) انظر ما قيل في الجمع، وقلنا إنه بقاء العبد بأحكام خلقيته، وهو البقاء الذي يكون قبيل الفناء. انظر: القاشاني: معجم المصطلحات الصوفية ٢/ ٢٠٥.

(٢) (الكون) يعنون به كل أمرٍ وجودي تحقق في الخارج علي مقتضى مرتبته ويقول عبد الكريم الجيلي: اعلم أن الكون عبارة عمًّا سوى الله تعالى، فكلٌ ما في الوجود مما سوى الله تعالى، يسمى كونًا.

يتجلى الله تعالى من حيث اسمه الظاهر للعبد في هذا المنظر فيشهد الأكوان جميعا: عين الحق، ولا يفرق بين شيء منها، قد أسمعه الله تعالى حقيقة قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ آية (١١٥) البقرة، آفة هذا المنظر: احتجابه بالحق عن الحق.

انظر: القاشاني: (رشح الزلال) بتحقيقنا ١٤٦، انظر: القاشاني: معجم المصطلحات الصوفية ١٢. انظر عبد الكريم الجيلي (المناظر الإلهية) المنظر الثاني والتسعون (منظر الكون) ص ٢٥١.

(٣) هذا المصطلح غير واضح في نسخة المخطوط.

ولذلك شبَّه رسول الله ﷺ نزول الوحي بصلصلة الجرس، وقال: إنه أشد عليه ﷺ منه فإن كشف تفصيل الإحكام في بطائن غموض الإجمال في غاية الصعوبة.

انظر: القاشاني: (رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال) بتحقيقنا ص ١٣٧، وانظر القاشاني أيضًا: اصطلاحات الصوفية بتحقيق دكتور محمد كمال جعفر ص ٢٩ وحول حديث الرسول ﷺ عن الوحي وأنه أشبه بصلصلة الجرس انظر: البخاري: بدء الوحي (٢) وبدء الخلق (٦) ومسلم: باب الفضائل ٨٧، والترمذي في المناقب (٧) والنسائي: في الافتتاح ٣٣٧، والموطأ: في القرآن: (٧) وأحمد بن حنبل في مسنده: ٦/ ١٥٨، ١٦٣، ٢٥٧.

(٤) الطوالع: أنوار التوحيد، يريد بها الأنوار الشهودية التي تنكشف بها صرافة التوحيد عندما يطلع =

* **الطهارة:** هى حفظ الله العبد من المخالفات.

طاهر الظاهر: من حفظه الله من المعاصى.

طاهر الباطن: من حفظه الله من الوسواس.

طاهر السر: من لا يذهل عن الله تعالى طرفة عين.

طاهر السر والعلانية: من قام بتوفية حقوق الحق والخلق جميعًا لسعته برعاية الجانبين.

* **الهمة**(١): توجه القلب بجميع قواه الروحانية إلى الحق، لحصول الكمال له أو لغيره.

= أهل المعرفة الذين أدركوا الشىء بعينه، فيطمس سائر الأنوار، يعنى: أنوار الأدلة النظرية، ولذلك يعود العارف إلى حال يعطى صحو المعلومات، فيثبت كشفا، ما كان ينفيه عقله المجرّد، يقول «ابن عربى»:

لا تنظرن إلى طوالع نُوره
فطوالع التوحيد ما لا تُبْصَرُ
لو أبصرتَها كان شركُكَ ثابتا
فيه المحنَّك ذو الحجى يتَحيَّرُ
إن المجرَّبَ للأمور هو الذى
بمجنة(*) يلقى فلا يتأثَّرُ
ومجنّة نصر الإله فعينه
فَبِه يراه وعينه لا تبصرُ
الطمْسُ رَفْعُ الحكم ليس ذهابه
فهى الوجود وما سواها مظهرُ

(*) مَجنَّة: موضع على بعد أميال من مكة.

انظر: ابن عربى: الفتوحات المكية ٢/ ٣٨٨، القاشانى: رشح الزلال ١٠٨.

(١) **الهمّة:** يطلقها القوم بإزاء تجريد القلب بالمنى، ويطلقونها بإزاء أول صدق المريد، ويطلقونها بإزاء جمع الهمم بصفاء الإلهام.

فيقولون: الهمَّة على ثلاث مراتب:

- همّة تُنَبه.
- وهمة إرادة.
- وهمة حقيقة.

١- فهمّةُ التنبيه: تيقُّظ القلب لما تعطيه حقيقة الإنسان، مما يتعلق به التمنى سواء كان محالاً أو ممكنًا، فهى تجرد القلب للمُنى فتجعله هذه الهمَّة أن ينظر فيما يتمناه ما حكمه، فيكون بحسب ما يعطيه العلم بحكمه، فإن أعطاه الرجوع عن ذلك رجع، وإن أعطاه العزيمة فيه عزم، فيحتاج صاحب هذه الهمة إلى علم ما تمناه. =

* **التقوى**[١]: هى التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك، وهى تقوى العوام، وأمَّا تقوى الخواص: فهى تنزيه القلب عما يشغل عن الحق.

* **الظل**: هو الوجود الإضافى المبسوط على الممكنات وأحكامها التى هى معدومات فى نفسها، وهو النفس الرحمانى، وتسمِّيه الحكماء بالطبيعة، وتسمية الوجود بالظل لقوله

٢- وأمَّا همة الإرادة: وهى أول صدق المريد، فهى همّة جمعية لا يقوم لها شىء، وهذه الهمّة توجد كثيرًا فى قوم يُسمَّون بإفريقية العزابية يقتلون بها من يشاءون، فإن النفس إذا اجتمعت أثَّرت فى أجرام العالم وأحواله، ويعتاض عليها شىء حتى أدّى من علم ذلك ممن ليس عنده كشف ولا قوة إيمان.

إن الآيات الظاهرة فى العالم على أيدى بعض الناس إنما ذلك راجع إلى هذه الهمّة، ولها من القوة بحيث أن لها، إذا قامت بالمريد، أثرًا فى الشيوخ الكُمَّل فيتصرفون فيهم بها، وقد يُفتح على الشيخ فى علم ليس عنده، ولا هو مُرادٌ به بهمة هذا المريد، الذى يرى أن ذلك عند هذا الشيخ، فيحصل ذلك العلم فى الوقت للشيخ، بحكم العرض ليوصله إلى هذا الطالب صاحب الهمة، إذ لا يقبله إلاَّ منه، وذلك لأن هذا المريد جمع همَّته على هذا الشيخ فى هذه المسألة.

٣- وأمَّا همَّةُ الحقيقة: التى هى جمع الهمم بصفاء الإلهام فتلك همم الشيوخ الأكابر، من أهل الله، الذين جمعوا هممهم على الحق، وصيَّروها واحدة، لأحدية المتعلق، هربًا من الكثرة وطلبا للتوحيد ـ فإن العارفين أنِفُوا من الكثرة لا من أحديتها فى الصفات كانت، أو فى النسب، أو فى الاسماء، وهم متميزون فى ذلك، أى: هم على طبقات مختلفة وإن الله يعاملهم بما هم عليه لا يردّهم عن ذلك، إذ لكل مقام وجه إلى الحق، وإنما يفعل ذلك ليتميز الكثير، فلا بد لكل مرتبة من عامر يكون حُكمه بسحب مرتبتَه.

انظر: ابن عربى: الفتوحات المكية ٢/ ٥٢٦.

القاشانى: (رشح الزلال. . .) ص١١٦.

(١) التقوى: قال ابن عربى: اعلم أن مقام التقوى مكتسب للعبد ولهذا أمر به، وهكذا كل مأمور به فهو مقام يُكتسب، ولهذا قالت الطائفة:

إن المقامات مكاسب والأحوال مواهب.

والتقوى الإلهية على قسمين فى الحكم فينا، أى: انقسم الأمر قسمين:

ـ قسمًا: أمرنا الله أن نتقيه حق تُقاته من كوننا مؤمنين.

ـ وقسمًا: أمرنا فيه أن نتّقيه على قدور الاستطاعة، وما عيَّن فى هذا التكليف صفة تخص بها طائفة من الطوائف مثل ما عيَّنها فى حق تقاته.

ويقول الزارى: للتقوى ثلاث مراتب:

١- مرتبة العوام: وهى التحرز عن المخالفات بتعرض الموافقات والتجنب عن الشبهات بتوقى المتورعات، والتطهر عن السيئات بماء الحسنات.

=

تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾[١] أى بسط الوجود على الممكنات، وتسميته بالنفس الرحمانى تشبيهًا له بنفس الإنسانى المختلف بصور الحروف مع كونه هواء سارحًا فى نفسه، وتشبيهًا لأعيان الموجودات بالكلمات الإنسانية، لأنه كما تدل كلمات الإنسان على المعانى، كذلك تدل أعيان الموجودات على موجدها وعلى أسمائه وصفاته، قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾[٢].

فالمراد من الكلمات فى الآية الكريمة أعيان الموجودات، فكما أن لكل كلمة من كلمات الإنسان معنى غير المعنى الذى للكلمة الأخرى، فكذلك فى كل عين من أعيان الموجودات سر غير السر الذى فى العين الأخرى، يُطلع الله تعالى عليه خواص عباده، ويحجبه عن غير الخواص.

وذلك كالكلمات المكتوبة فى رق مثلاً، فإذا نظر فيها القارئ قرأها وفهم معناها، وإذا رآها غير القارئ لم يفهم منها شيئًا، ولم يرها إلا خطوطًا متداخلاً بعضها فى بعض، فسبحان المعطى المانع جل جلاله.

* **النفس الشهوانية:** هى البُخار اللطيف الحامل للحياة والحس والحركة والإرادية، هى التى تسميها الحكماء: الروح الحيوانى وهى جوهر مشرق على البدن، فإن أشرف على

٢- مرتبة الخواص: المجانبة عن الشهوات بملازمة الرياضات والتخفظ عن الفترات بمراقبة الخطرات، والاحتراز عن الوقفات بترقب المشاهدات.

٣- مرتبة أخص الخواص: الإعراض عن وفق هواه ببذل الروح لما يهواه، والخروج عن حظوظ دنياه وعقباه برعاية حقوق مولاه، والاتقاء بالله عما سواه، فحينئذ يكون هو الذى اتقى الله حق تقواه.

ويقول القشيرى: يُستدل على تقوى الرجل بثلاث:

ـ حُسْنُ التوكل فيما لم ينل.

ـ وحُسْنُ الرضا فيما قد نال.

ـ وحُسْنُ الصبر على ما قد فات.

انظر: ابن عربى: الفتوحات المكية ٢/ ١٥٧.

أبو بكر الرازى: منارات السائرين بتحقيقنا الطبعة الثانية ص ١٩١.

الإمام القشيرى: الرسالة ص ٥٦.

(١) الآية رقم (٤٥) من سورة الفرقان.

(٢) الآية رقم (١٠٩) من سورة الكهف.

ظاهر البدن وباطنه حصلت اليقظة، فإن أشرق على باطن البدن لا على ظاهرة، حصل النوم، وإن انقطع إشراقه بالكلية حصل الموت، فسبحان الصانع الحكيم.

* **النفس الناطقة**: هى جوهر مجرد عن الماديات فى ذاته، مقارن لها فى أفعاله، وهذه التى تسمى بالأمارة، واللوّامة، والملهمة، والمطمئنة، والراضية، والمرضية، والكاملة.

فكُلَّما اتصفت بصفات، سميت لأجل اتصافها بها باسم من هذه الأسماء.

* فإن صادفت النفس الشهوانية، المذكورة آنفًا، ووافقها وصارت تحت حكمها سميت «أمارة».

* وإن سكنت تحت الأمر التكليفى، وأذعنت لاتباع الحق لكن يقى فيها ميل الشهوات سميت «لوّامة».

* فإن زال هذا الميل وقويت على معارضة النفس الشهوانية، وزاد ميلها إلى عالم القدس، وتلقت الإلهامات سميت «ملهمة» وهى محل العشق والهيمان.

لكن يبقى فيها بعض اضطراب، لقربها من النفس الأمارة.

* فإن سكن اضطرابها، ولم يبق للنفس الشهوانية حكم أصلاً، ونسيت الشهوات بالكلية فتسمى «مطمئنة».

* فإن ترقت عن هذا وسقطت المقامات من عينها وفنيت من جميع مراداتها سميت «راضية».

* فإن زاد هذا الحال عليها صارت «مرضية» عند الحق والخلق.

* فإن أمرت بالرجوع إلى العباد، لإرشادهم وتكميلهم سميت «كاملة».

وسنذكر أوصاف كل نفس فى بابها، ونذكر علاماتها وصفاتها، وأحوالها، وعالمها ومحاسنها، وقبائحها، وما يحصل للسالك من خوارق العادات حالة اتصافه بواحدة منهن، وما يخص كل نفس من الأذكار وغير ذلك مما سيرد عليك مفصلاً فى محله إن شاء الله تعالى.

واعلم أن الجوهر المذكور المسمى بالنفس الناطقة له الأسماء فيقال له القلب، ويقال له: اللطيفة الإنسانية، ويقال له: حقيقة الإنسان، وهو المدرك العالم المخاطب بالأوامر الشرعية، والمطالب بها.

وإن لهذا الجوهر ظاهرًا ومركبًا، وهو النفس الشهوانية المذكورة أيضًا، وإن له باطنًا

وهو الروح، وللباطن باطن، وهو السر، والسر له باطن وهو سر السر، ولسر السر باطن وهو الخفى، والخفى له باطن، وهو الأخفى، وباطن الشىء حقيقته ومادته(١).

ويتضح لك أمر الباطن وباطن الباطن فى مثال أضربه لك، وهو أن السرير مثلاً شىء باطنه قطع الخشب، وقطع الخشب باطنها الشجر والشجر باطنه العناصر الأربع، والعناصر الأربع باطنها الهيولى الأول فافهم هذا التحقيق، فإنك لا تراه على هذه الكيفية فى كتاب آخر، لأنك تسمعهم يقولون للشىء الفلانى، باطن الشىء الفلانى، ولكن لا تعلم ما حقيقة الباطن.

فإذا عرفت هذا عرفت أن هذا الأمر الواحد الربانى حال كونه فى غاية اللطافة، والخفى يسمى بلا خفى، وحال تنزله درجة واحدة، والكاثف يسمى بالخفى، وحال تنزله درجة ثانية وتكاثفه تكاثفًا أقوى من الأول يسمى بسر السِّر، ثم كذلك فيسمى بالسر، ثم كذلك فيسمى بالروح، ثم كذلك فيسمى بالقلب، وبالنفس الناطقة وباللطيفة الإنسانية وبالإنسان، ففى هذه الدرجة يسمى بأربعة أسماء، فإن تنزل درجة أخرى فيسمى حينئذ بالإنسان الحيوانى، وبالنفس الأمَّارة.

واعلم أن المراد من سلوك طريق التقوى ترقى هذا الأمر الربانى شيئًا فشيئًا إلى مقامه الأول بالعلاجات وبالأدوية التى وضعها أكمل الكاملين، وروح المرشدين، وحبيب رب العالمين، محمد عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم، وهى الصيام والقيام، وقلة الكلام والشفقة على الأنام، والذكر والفكر، وأكل الحلال وترك الحرام، وغير ذلك مما يذكر مفصلاً إن شاء الله تعالى، من غير خروج عن دائرة الشرع ولا مقدار ذرة، لأن كل من تداوى بغير دواء الشرع لا يشفى مرضه بل يزداد مرضًا إلى مرضه.

فإذا كان السالك الطالب للكمال فى الدرجة الأخيرة، أعنى فى درجة الإنسان الحيوانى، وكانت نفسه أمارة بالسوء، فدواؤه الذى يترقى به إلى درجة القلب «لا إله إلا الله» لكن ينبغى أن يكون ذكره فى جميع أوقاته، ويكون بالجهر والشدة والقوة لينبه أعضاءه من الغفلة.

وإن كان السالك فى درجة القلب، وأراد الترقى إلى مقام الروح، فدواؤه تقليل الطعام والمنام، والذكر بلفظة: الله الله الله، مع الإكثار، وسنذكر فى الأبواب الآتية جميع ما يحتاج إليه السالك فى سفره من الأدوية التى يترقى بها درجة، إلى أن يصل إلى تنزل منه، وهو الصورة الآدمية التى كانت قبلةً للملكية.

(١) انظر ما قلناه فى شرح مصطلح (السر) بالهامش من كلام خاتم الأولياء سيدى أحمد التجانى، فهو كلام هام فى هذا الباب أيضًا.


الباب الأول :
فى ذم الدنيا ولذاتها وبيان
حقيقتها

اعلم أن الدنيا عبارة عن كل ما قبل الموت، خيرًا كان أو شرًا، ولذلك استثنى منها النبي ﷺ، حين ذمها ما هو خير فقال: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان منها لله عز وجل»[١] وفي رواية أخرى: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا أو متعلمًا»[٢].

وفي رواية أخرى: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر وذكر الله»[٣] وفي رواية أخرى «إلا ما يبتغى به وجه الله عز وجل»[٤].

فهذه الأشياء التي استثناها المصطفى ﷺ هي من الدنيا أيضًا، لأنها وجدت في هذا العالم، وإنما أخرجها لأنها تصحب العبد بعد الموت، كما قال ﷺ «حبّب إليّ من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة»[٥] فعدّ الصلاة من الدنيا ولذاتها لدخول حركاتها في الحس والمشاهدة الظاهرة، فعلم من هذا، أن كل لذة لها ثمرة بعد الموت فهي ليست من الدنيا الملعونة، بل هي آخرة.

---

(١) حديث (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلاّ ما كان منها لله).
رواه أبو نعيم في الحلية، والضياء المقدسي في المختارة عن جابر رضي الله عنه.
انظر جامع الأحاديث ٤/ ١٥٩ حديث رقم (١٢١٨٦).

(٢) حديث (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلاّ ذكر الله...).
رواه ابن ماجه في السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه الطبراني في الأوسط عن ابن مسعود رضي الله عنه
انظر السيوطي: جامع الأحاديث حديث رقم (١٢١٨٤) ٤/ ١٥٩ وهذا الحديث ورد على هامش المخطوط.

(٣) حديث (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلاّ أمرًا بمعروف أو نهيا...).
رواه البزار في كتابه عن ابن مسعود رضي الله عنه.
انظر السيوطي حديث رقم (١٢١٨٣) ٤/ ١٥٩.

(٤) حديث: (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلاّ ما ابتُغي به وجه الله...).
رواه الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء رضي الله عنه.
انظر جامع الأحاديث حديث رقم (١٢١٨٥) ٤/ ١٥٩.

(٥) حديث: (حُبِّب إليّ من دنياكم ثلاث...).
رواه أحمد بن حنبل في مسنده، والنسائي في السنن، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في السنن، كلهم عن أنس رضي الله عنه.
انظر: السيوطي: جامع الأحاديث حديث رقم (١١١٦٥) ٣/ ٧٤٧.
وفي الجامع الصغير قال: حديث حسن.

وأما الأشـياء التى فيهـا لذات عاجلة ولا ثمرة لها بـعد الموت، فهى الدنيـا الملعونة، كالمعاصى والمباحات الزائدة على الحاجات.

وبقى قسم ثالث متوسط بين القسمين المذكورين، وهو كل حظ فى العاجل يعين على أعمال الآخـرة، كقدر الحاجة من المـأكل والمشرب والملبس والمنكح، فـهذا من القسم الأول المحمود، وهو معدود من الآخرة أيضًا، لأنه يعين عليها.

فـعلى هذا إذا أكل الرجل فى نصف بطـن يكون قد التـذ بالطعـام، وأرضى مـولاه، فيحوز على حظ الدنيا وحظ الآخرة، ولذلك قال ﷺ «البسوا وكلوا واشربوا فى أنصاف البطون، فإنه جزء من النبوة»(١).

إذا عرفـت هذا، عرفت أن الدنيـا هى كل شىء يشغلك عن الله عـز وجل وكل شىء يعينك على التوجه إليه فهو آخرة، وإن كان من [حيث](٢) الصورة معدودًا من الدنيا، لأنه وجد فى هذا العالم.

وقد بين الله تعالى حقيقة الدنيا بقوله: ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾(٣) وجميع هذه الخبائث من سبـعة أشياء، ذكرها الله تعالى فى كتابه العزيز بقوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾(٤).

فهذه السبعة بها تكون الخبائث والقبائح، وليست هى فى نفسها أمورًا مذمومة، بل قد تكون معينة على الآخرة إذا صُرفت فى محلها.

قال ﷺ مـادحًا للمـال: «لا حسـد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فـهو ينفق منه آناء الليل وآناء النـهـار، ورجـل آتاه الله القرآن فـهـو يقـوم بـه آناء الليل وآناء النهـار»(٥)

---

(١) حديث: (البسوا وكلوا...) أورده السيوطى فى جامع الأحاديث بلفظ: (البسوا الصوف، وشمّروا، وكُلوا فى أنصاف البطون تدخلوا فى ملكوت السموات).

وقال السيوطى: رواه الديلمى عن أبى هريرة رضي الله عنه الحديث رقم (٤١١٧) ٢/ ٥٨.

(٢) مستدركة من الهامش بخط مختلف.

(٣) الآية رقم (٢٠) من سورة الحديد.

(٤) الآية رقم (١٤) من سورة آل عمران.

(٥) حديث: (لا حسد إلاّ فى اثنتين...).

متفق عليـه بين البخارى ومسلم فى صحيحـيهما، ورواه الإمام أحـمد بن حنبل فى مسنده، ورواه الترمذى فى السنن، ورواه ابن ماجه فى السنن، كلهم عن ابن عمر رضي الله عنهما.

انظر جامع الأحاديث حديث رقم (٢٦٠١١) ٧/ ٣٤٨.

وقال ﷺ : «إن الله يحب العبد الغنى الخفى»(١) فما ورد فى الأحاديث من الذم فهو فى حق الدنيا الملعونة التى هى بعيدة عن الله ورسوله، وهى اللهو واللعب والزينة والتفاخر والتكاثر، وغير ذلك مما يلهى القلب عن حضرة الرب.

[وقال ﷺ : «الدنيا لا تصفو للمؤمن، كيف وهى سجنه وبلاؤه»(٢)](٣) وقال ﷺ : «الدنيا لا تنبغى لمحمد، ولا لآل محمد»(٤)، وقال ﷺ : «من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فأثروا ما يبقى على ما يفنى»(٥)، وقال: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»(٦)، وقال: «يا عجبًا كل العجب للمصدق بدار الخلود، وهو يسعى لدار الغرور»(٧)، وقال ﷺ : «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، ينظر كيف

---

(١) حديث (إن الله يحب العبد التَّقىّ الغنى الخفىّ).
رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده، والإمام مسلم فى صحيحه عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه.
انظر: (جامع الأحاديث) حديث رقم (٥٥٦٩) ٢/ ٣٤٤.

(٢) حديث: (الدنيا لا تصفو لمؤمن كيف وهى سجنه وبلاؤه..).
رواه ابن لال عن عائشة رضي الله عنها، أورده السيوطى فى جامع الأحاديث تحت رقم (١٢١٨٧) ٤/ ١٦٠.

(٣) ما بين المعقوفتين مكرر على هامش المخطوط.

(٤) حديث: (الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد).
رواه أبو عبد الرحمن السلمى فى الزهد عن عائشة حديث رقم (١٢١٨٨) ٤/ ١٦٠.
ورواه الديلمى فى مسند الفردوس عن عائشة أيضًا حديث رقم (١٢٢٢٣) ٤/ ١٦٤.

(٥) حديث (من أحب دنياه أضرَّ بآخرته...).
رواه أحمد بن حنبل فى مسنده، والحاكم فى المستدرك، عن أبى موسى رضي الله عنه.
انظر: الحديث رقم (٢٠١٠٣) ٦/ ٧٧.
وقال السيوطى فى جامعه الصغير: حديث صحيح.
وانظر الحافظ العراقى: المغنى عن حمل الأسفار ٣/ ١٩٧.

(٦) حديث (حبُّ الدنيا رأس كل خطيئة..).
رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا، والبيهقى فى شعب الإيمان من طريقه من رواية الحسن مرسلاً.
انظر الحافظ العراقى: المغنى عن حمل الأسفار ٣/ ١٩٧ من هامش الإحياء.

(٧) حديث (يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود، وهو يسعى) رواه ابن أبى الدنيا من حديث بن جرير مرسلاً.
انظر الحافظ العراقى هامش الإحياء ٣/ ١٩٨.

تعملون، إن بنى إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا فى الحليّة والفساد والطيب والثياب»(١).

وقال عيسى، عليه الصلاة والسلام: «لا تتخذوا الدنيا ربًا فتتخذكم عبدًا، اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه، فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة، وصاحب كنز الله تعالى لا يخاف عليه الآفة»(٢).

وقال نبينا محمد ﷺ فى بعض خطبه: «المؤمن بين مخافتين، بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع به، وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاضٍ فيه، فليتزود العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن شبابه لهرمه، ومن حياته لموته، فإن الدنيا لكم خُلقت، وأنتم خُلقتم للآخرة، والذى نفسى بيده: ما بعد الموت مستعتب، ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار»(٣).

وقال زيد بن أرقم(٤):

---

(١) حديث (إن الدنيا خضرة حلوة، وإن الله مستخلفكم فيها...).
قال الحافظ العراقى: رواه الترمذى فى السنن، وابن ماجه فى السنن من حديث أبى سعيد رضي الله عنه دون قوله (إن بنى إسرائيل... إلخ) والشطر الأول من الحديث متفق عليه.
ورواه ابن أبى الدنيا من حديث الحسن مرسلاً بالزيادة التى فى آخره.
انظر: الحافظ العراقى: المغنى عن حمل الأسفار ٣/ ١٩٨.
وانظر السيوطى: جامع الأحاديث الحديث رقم (٧٠١١) ٢/ ٦٤٠.

(٢) أورده الإمام الغزالى فى الإحياء باب ذم الدنيا، انظر إحياء علوم الدنيا ٣/ ١٩٨.
ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب (ذم الدنيا) قال:
حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا جرير، عن شهر بن حوشب، قال: قال عيسى ابن مريم: انظر الحديث رقم (٣١) ص ٢٥.

(٣) حديث (المؤمن بين مخافتين: بين أجل قد مضى...).
الحديث أورده بنصه الإمام الغزالى فى كتاب (إحياء علوم الدين).
وقال الإمام الحافظ العراقى مخرّج الحديث:
رواه الإمام البيهقى فى شعب الإيمان من حديث الحسن عن رجل من أصحاب النبى ﷺ وفيه انقطاع.
انظر الإحياء ٣/ ٢٠٠، والمغنى عن حمل الأسفار نفس الصفحة بالهامش ٣/ ٢٠٠ أيضًا.

(٤) (زيد بن أرقم) بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك الخزرجى الأنصارى روى عن النبى ﷺ وغزا معه سبع عشرة غزوة، وروى عن علىّ بن أبى طالب، وروى عنه أنس بن مالك، وحبيب ابن يسار، وطاوس بن كيسان وعبد الرحمن بن أبى ليلى وغيرهم. =

«كنا مع أبى بكر الصديق[١] رضي الله عنه فدعى بشراب فأتى بماء وعسل، فلما أدناه من فيه بكى، حتى بكى أصحابه، فَسكَّتوه فسكت، ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرون على تسكيته، قال: ثم سكت ومسح عينيه، فقالوا: يا خليفه رسول الله، ما أبكاك هذا البكاء؟ قال: كنت مع رسول الله ﷺ فرأيته يدفع عن نفسه، ولم أر معه أحدًا، فقلت: يا رسول ما الذى تدفعه عن نفسك؟ قال: «هذه الدنيا تمثلت لى فقلت لها: إليك عنى، ثم رجعت فقالت: إنك إن أفلت منى لم يفلت منى من بعدك»[٢].

وعن جابر[٣]، أن رسول الله ﷺ مر بجدى أسك، يعنى صغير الأذن، وهو ميت

= هو الذى رفع إلى رسول الله ﷺ عن عبد الله بن أبىّ ابن سلول قوله [كما حكى القرآن الكريم]: ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ (المنافقون: ٨) فأكذبه عبد الله بن أُبَىٍّ، وحلف ما قال فأنزل الله تعالى تصديق زيد بن أرقم، قيل كان فى غزوة بنى المصطلق، وقيل: تبوك، قال ابن خياط: مات بالكوفة سنه ٦٦ هـ وقال ابن عدى: مات سنه ٦٨ هـ.

انظر: المزى: تهذيب الكمال ٦/ ٤٢٣، ترجمة رقم (٢٠٦٩).

وانظر: ابن حجر: الإصابة فى تمييز الصحابة ٢/ ٢١ ترجمة رقم (٢٨٦٧).

(١) (أبو بكر الصديق) هو: عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمى القرشى، أبو بكر، أوَّل مَنْ آمن منَ الرجال برسول الله ﷺ وأول الخلفاء الراشدين، ولد رضي الله عنه بمكة سنة ٥١ ق هـ، كان عالمًا بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكان من سادات قريش وموسريهم، خطيبا لسنا، وشجاعًا بطلا.

بويع بالخلافة يوم وفاة النبى ﷺ سنة ١١ هـ وفى أيامه افتتحت بلاد الشام، وقسم كبير من العراق.

أخباره كثيرة ومشهورة فى كل كتب السيرة والتواريخ وغيرها توفى رضي الله عنه سنة ١٣ هـ ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر.

انظر: ابن قنفد القسنطينى: كتاب الوفيات ص ٢٦.

العقاد: عبقرية الصديق، محمد حسين هيكل: أبو بكر الصديق.

(٢) حديث: (هذه الدنيا تمثلت لى...).

رواه البزار بسند ضعيف بنحوه، ورواه الحاكم وصحح إسناده، انظر العراقى: المغنى عن حمل الأسفار ٣/ ١٩٨، ورواه ابن أبى الدنيا فى كتابه ذم الدنيا عن زيد بن أرقم من طريق (أبو على الطائى) انظر الحديث رقم ١١ ص ١٧.

(٣) جابر بن عبد الله الأنصارى الصحابى أحد المكثرين فى رواية الحديث عن رسول الله ﷺ روى ١٥٤٠ حديثًا وروى عنه جماعة كبيرة من التابعين ومات رضي الله عنه سنة ٧٤ هـ وقيل سنة ٧٨ هـ.

انظر: أبو قنفد القسنطينى كتاب الوفيات ص ٨١، ابن حجر: الإصابة ١/ ٢١٢.

ابن العماد: شذرات الذهب / ٨٤.

فقال: «أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، فقال: «فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»[١].

وعن أبي سعيد الخدري[٢]، أن النبي ﷺ قال: «إن ما أخاف عليكم من بعدي، ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها، فقال رجل: يا رسول الله أويأتي الخير بالشر؟ يعني مما يفتح علينا من الغنائم والأموال خير، وهل يأتي الخير بالشر؟ فسكت رسول الله ﷺ حتى ظننا أنه ينزل عليه، يعني: الوحي، فقال: فمسح النبي ﷺ عنه العرق وقال: أين السائل؟ وكأنه وجده فقال: «إنه لا يأتي الخير بالشر، وإن مما ينبت الربيع يقتل حَبَطًا، أو يُلمُّ، إلا آكلة الخضر، أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتاها، استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت، ثم عادت فأكلت وإن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بحقه، ووضعه في حقه، فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع، ويكون شهيداً عليه يوم القيامة»[٣].

الحَبَط بالحاء «المهملة» أن تأكل الدابة، حتى ينتفخ بطنها وتهلك من كثرة أكلها.

---

(١) حديث (أيكم يُحبُّ أن هذا له بدرهم، والله للدنيا أهون...).
رواه أحمد بن حنبل في مسنده، والإمام مسلم في صحيحه، وأبو داود في السنن وأبو عوانة.
كلهم عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ مرَّ بجَدي أسَكّ (أي مصطلم الأذنين مقطوعهما...).
انظر السيوطي: جامع الأحاديث، حديث رقم (٢٤٥٦١) ٧/ ٩٧.

(٢) (أبو سعيد الخدري) هو: سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر من بني خدرة، وهو خدرة بن عوف الخزرجي الأنصاري، اشتهر بكُنيته، استصغره رسول الله ﷺ بأحُد، واستشهد أبوه بها ﷺ وغزا هو ما بعدها، روى عن النبي ﷺ الكثير وروى عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ وغيرهم من الصحابة ﷺ جميعا وروى عنه عدد من الصحابة والتابعين، كان من أفقه الناس ومن أفاضل الصحابة، توفي ﷺ سنة ٦٣ هـ وقيل سنة ٦٥ هـ هكذا في الإصابة، والثابت أنه توفي ﷺ سنة ٧٤ هـ.
انظر ترجمته في: ابن حجر: الإصابة ٢/ ٣/ ٨٥، ابن قتيبة: المعارف ٢٦٨.
الذهبي: الكاشف ١/ ٣٥٣ ترجمة رقم (١٨٦٠/ ٧٨).
الذهبي: مختصر دول الإسلام ١/ ٥٤، الديار بكرى: تاريخ الخميس ٢/ ٣٠٩.
المزّي: تهذيب الكمال: ٧/ ١٠٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١/ ١٩٢.
ابن كثير: البداية والنهاية ٥/ ٩/ ٤.
الشيخ محمود خطاب السبكي: مختصر أعذب المسالك، ص ١١٥ بتحقيقنا.

(٣) حديث (إنما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم...).
الحديث متفق عليه في الصحيحين البخاري ومسلم، ورواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، ورواه =

وقوله: يُلمُّ أي: يقرب من الهلاك.

ثلطت بالمثلثة: أي: تغوطت غائطًا رقيقًا.

فحاصل هذا الحديث الشريف: أن المال قد يكون سببًا لدمار صاحبه وهلاكه في الآخرة، وذلك إذا صُرف في المعاصي، وتوصل به إلى الشهوات النفسانية، مع أن المال خير، فينبغي أن يتوصل به إلى مرضاة الله عز وجل.

وقوله: «وإن مما ينبت الربيع» يعني مثال كثرة المال، كمثال ما ينبت في فصل الربيع، فإن بعض النَّبات حلو في فم الدابة، وهي حريصة على أكله، ولكن ربما تأكل كثيرًا، فيحصل بها داء من كثرة الأكل، فتموت أو تقرب من الموت، وإن لم تأكل الدابة إلا بقدر ما يسعه كرشها، فتأكل الأكل حتى تهضم ما أكلت، فلا يضرها الأكل.

فلذلك من حصل له مال كثير فإن توصل به إلى كثرة الأكل والشرب والتجميل بين الناس قسا قلبه، وكبرت نفسه، ورأى نفسه أفضل من غيره فحقّره وتعاظم عليه، ومن قسا قلبه منع ما أوجب الله عليه من الزكاة، وأداء الكفارات وغير ذلك.

ومن كانت هذه صفاته، كان المال شرّا له، ولا شك أنه يبعده من الجنة، ويقربه إلى النار، وإن أدى حقوق المال ولم يحتقر الناس، ولا يفخر عليهم، ولا يشتغل بجمع المال، بحيث تفوته من الطاعات، ويحسن إلى الناس، كان المال خيرًا له.

كما قال ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»[1].

فعلم مما تقرر أن المال في نفسه ليس خيرًا، وإنما الخير والشر في نفس الرجل، فإن أصرفه في الخير، كان خيرًا، وإن أصرفه في الشر كان شرّا له، وقال ﷺ: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة»[2].

وهذا دعاء منه ﷺ على مَنْ ترك عمل الآخرة واشتغل بجمع المال، والتلذذ بالملابس الحسنة، لأن الخميصة من الملبوس: الحسن.

= الإمام النسائي في السنن، ورواه الإمام ابن ماجه في السنن، كلهم عن أبي سعيد الخدري. انظر جامع الأحاديث للسيوطي حديث رقم (٦٣٤٥) ٢/ ٤٩٥، وانظر الحافظ العراقي: المغني عن حمل الأسفار ٣/ ٢٠١.

(١) حديث (نعم المال الصالح للرجل الصالح) رواه ابن أبي الدنيا في كتابه (إصلاح المال) عن عمرو ابن العاص رضي الله عنه، الحديث رقم (٤٣) ص ٣٢، وقال مخرجه: الحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٣٢) والإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٩٧، ٢٠٢).

(٢) حديث (تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم...) رواه البخاري، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأورده السيوطي في جامع الأحاديث ٣/ ٥٩٩ حديث (١٠٤٠٩).

وقال ﷺ : «حُجبت النار بالشهوات، وحُجبت الجنة بالمكاره»(١).

قوله: «حجبت» أى سُترت.

والمعنى أن من اتبع الشهوات، وقع فى النار بفعله، وهو لا يبصرها، بل يبصر مشتهاه، ومن تحمَّل المشقة الدنيوية، والمكاره الإسلامية فقد دخل الجنة، أى: عمل ما يؤديه إليها، وهو لا ينظر إلى الجنة، بل المكاره.

وقال ﷺ : «فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تُبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من قبلكم، فَتَنَافَسوها كما تَنَافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»(٢) يعنى: فترغبون فيها، فتكثر أشغالكم فى جمعها، فتقل طاعتكم، ويحصل بينكم العداء بسببها.

وقال ﷺ : «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا»(٣).

وقال: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا، وقنَّعه الله بما آتاه»(٤).

وعن مطرف(٥) عن أبيه قال: «أتيت النبى ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَاكُمُ

---

(١) حديث (حجبت النار بالشهوات وحجبت . .) رواه الإمام البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه .
انظر الحديث رقم (١١١٨٠) ٣/ ٧٥٠ من جامع الحديث.

(٢) الحديث (. . . فوالله ما الفقر أخشى عليكم . . .) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب (ذم الدنيا) تحت رقم (١٩٩) ص ٩٧، ٩٨، ورقم (٣٤٨) ١٤٧، ١٤٨.

(٣) حديث (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا).
أورده الإمام صلاح الدين التجانى فى كتاب (جوامع الكلم) وقال: متفق عليه من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وقال: حديث صحيح.
انظر جوامع الكلم الحديث رقم (٤٧٨).

(٤) حديث (قد أفلح من أسلم ورزق كفافا . . .).
رواه أحمد بن حنبل، والإمام مسلم، والترمذى، وابن ماجه، كلهم عن ابن عمرو رضي الله عنهما .
الحديث أورده السيوطى فى جامع الأحاديث رقم (١٥٢١٥) ٤/ ٧٢٨.

(٥) (مطرف) بن عبد الله بن الشِّخِّير، الحرشى، العامرى، أبو عبد الله البصرى، أخو يزيد، وهانى ابنا عبد الله بن الشخير.
روى عن أُبَىّ بن كعب، وأبيه عبد الله بن الشخير، وعثمان بن عفان، وروى عنه: ثابت البنانى، والحسن البصرى، وحُميد بن هلال، قال العجلى: ثقة.
كان بينه وبين رجل كلام فكذب عليه فقال مطرف: (اللهم إن كان كاذبًا فأمته) فخرَّ مكانه ميتا، فرفع ذلك إلى زياد، فقال: قتلت الرجل؟ قال: لا، ولكنها دعوة وافقت أجلاً.
روى له الجماعة، وتوفى سنة ٩٥هـ.
الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ٢٩، تهذيب التهذيب ١/ ١٧٣. =

التَّكَاثُرُ﴾(١) قال: يقول ابن آدم مالي مالي، فهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»(٢).

قال ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكن الغنى غنى النفس»(٣) يعني ليس الغنى مَنْ كثر متاعه وحطام دنياه، ولكن الغنى مَنْ قنع بما أعطاه الله.

وقال: إن الله يقول لابن آدم: «تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، [وإن لم تفعل ملأت يدك شغلاً](٤) ولم أسد فقرك»(٥).

وقال ﷺ لرجل وهو يعظه «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»(٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما ينتظر أحدكم إلا غنى مطغيًا أو فقرًا منسيًا، أو مرضًا مفسدًا، أو هرمًا مفندًا، أو موتًا مجهزًا، أو الدّجال، والدجال شر

= انظر: المزّي: تهذيب الكمال ١٨/ ١٤٣ ترجمة رقم (٦٥٩٣).
أبو نعيم: حلية الأولياء ٢/ ٩٨، المناوي: الكواكب الدرية ١/ ٢٩٩.
ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ٩٧، ابن العماد: شذرات الذهب ١/ ١١٠.

(١) الآية رقم (١) من سورة التكاثر.

(٢) حديث (يقول ابن آدم: مالي مالي، فهل لك من مالك...).
قال السيوطي في الدرّ المنثور: أخرج الطيالسي، وسعيد بن منصور، والإمام أحمد بن حنبل، وعبد بن حميد، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه كلهم رضي الله عنهم عن عبد الله ابن الشخّير رضي الله عنه.
انظر: الدر المنثور ٨/ ٦٠٩.

(٣) حديث (ليس الغنى عن كثرة العَرَض...).
رواه أحمد بن حنبل، وهو متفق عليه، ورواه الترمذي وابن ماجه، كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.
انظر: جامع الأحاديث: حديث رقم (١٧٩٨٠) ٥/ ٤٤٨.
وقال في الجامع الصغير: حديث صحيح.

(٤) ما بين المعقوفتين مستدرك من هامش المخطوط.

(٥) حديث (إن الله تعالى يقول لابن آدم: تفرغ لعبادتي أملأ صدرك..).
رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، والترمذي في السنن، وابن ماجه في السنن أيضًا.
والحاكم في المستدرك، كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.
انظر الجامع للسيوطي حديث رقم (٥٦٥٣) ٢/ ٣٥٨.

(٦) حديث (اغتنم خمسا قبل خمس...).
أورده السيوطي في جامع الأحاديث بتقديم وتأخير في جمله وقال: رواه أحمد بن حنبل في الزهد، والحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب أيضًا، عن عمرو بن ميمون مرسلاً الحديث رقم (٣٤٤٤) ١/ ٦٦٢.

غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر»[١]، يعنى أن أحدكم منتظر لهذه الأمور، فلِمَ لمْ يحصل الأعمال الصالحة، ويتوجه إلى الله بمجاهدة نفسه، قبل أن يأتيه شيء من هذه الأشياء المذكورة، فتشغله عن طاعة ربه، لأن الغنى يطغيه فيمتنع عن طاعة ربه، والفقر ينسيه الطاعات لما فيه من الجوع والعُرى، والمرض يفسد قواه، والهرم يضعفه ويعجزه، ويُكرِّه الناس فيه من كثرة كلامه، لأن معنى المفند الكلام: المنحرف عن الصحة.

ويقال: أفند الرجل، إذا كثر كلامه من الكبر والموت المجهز، أى: المسرع.

وقوله: أو الساعة، بالنصب عطف على غِنًا.

وقوله: والساعة بالرفع، مبتدأ خبره أدهى، يعنى أن الرجل فى الدنيا متعرض لهذه الأحوال المذكورة، وبعدها ما هو أشد وأمر، وهو الساعة الموعودة.

فالسعيد من اشتغل بما ينجيه، ويرفع قدره، ويترك ما يرديه ويحقّره فى الآخرة قبل نزول هذه الحالات.

وقال ﷺ «لا تتخذوا الضيعة فترغبوا فى الدنيا»[٢] نهى ﷺ عن اتخاذ الضيعة، وهى البساتين، والمزارع، لأن الخلق خُلقوا للعبادة، وسر العبادة فى الذكر، والفكر فى جلاله وجماله تعالى بالقلب الفارغ من جميع الأغيار، وصاحب الضيعة يمسى ويصبح متفكراً فى خصومة الفلاحين، والشركاء وأعوان السلطان، وخيانة المذكورين له، وسرقتهم ماله، وغير ذلك.

واعلم أن كل ما يشغل قلبك من أصناف الأموال فهو كالضيعة، فخصها ﷺ بالذكر، لأنها الأغلب، ويدخل فى هذا كل الصنائع والحرف، والتجارة، لأن الضيعة تقال على كل ما يكون منه معاش الرجل.

وقال ﷺ «من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى»[٣].

---

(١) حديث (ما ينتظر أحدكم إلاّ غِنىً مطغيا، أو فقراً مُنْسيا. . .).
رواه الترمذى، والنسائى، عن أبى هريرة رضي الله عنه.
وذكره الطيبى فى شرح مشكاة المصابيح ١٠/ ٣٢٨٣ حديث رقم (٥١٧٥).

(٢) حديث (لا تتخذوا الضيعة فترغبوا فى الدنيا. . .).
رواه الترمذي فى السنن، والحاكم فى المستدرك، وقال: صحيح إسناده.
انظر: الحافظ العراقى: المغنى عن حمل الأسفار ٣/ ٢٢٨.

(٣) حديث (من أحب دنياه أضر بآخرته. . .) تقدم تخريجه.

وقال ﷺ «ما ذئبـان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المـرء على المال والشرف لدينه»(١).

يعنى حرص المـرء على المال وعلى الشـرف، أفسـد لدينه من إفساد الذئبين للغنم، والمراد بالشرف الجاه، والعز والرئاسة والمناصب.

وعن سهل بن سعد(٢) قال «جـاء رجل فقـال: يا رسول الله، دُلّنى على عـمل إذا أنا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس فقـال: «ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»(٣).

وعن ابن مسعود(٤)، أن رسول الله ﷺ نام عـلى حصيـر فقـام وقد أثر فى جسده

---

(١) حديث (ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم...).

رواه الترمذى، والنسائى فى الكبرى، من حديث كعب بن مالك، وقال الترمذى: حديث صحيح، وللطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد رضي الله عنه (ما ذئبان ضاريان..) وللبزار من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وإسناد الطبرانى فيهما ضعيف.

انظر: المغنى عن حمل الأسفار ٣/ ٢٢٦.

(٢) (سهل بن سعد) ورد فى المخطوط (ابن سعيد) والصحيح ما أثبتناه، وهو: سهل بن سعد بن مالك الخزرجى، الأنصارى، الساعدى، المدنى، الصحابى الكبير؛ كان اسمه (حَزَنا) فسماه رسول الله ﷺ سهلا سمع من النبى ﷺ وكان له يوم وفاة النبى ﷺ ١٥ سنة وتوفى بالمدينة سنة ٨٨هـ وقيل سنة ٩١هـ، وهو آخر من مات من أصحاب النبى ﷺ روى (١٨٨ حديثا).

انظر ترجمته فى: ابن حجر: الإصابة ترجمة رقم (٣٥٢٦).

ابن قنفد القسنطينى: كتاب الوفيات ص ٨٥، ابن العماد: شذرات الذهب ١/ ٩٩، النووى: تهذيب الأسماء ١/ ٢٣٨.

(٣) حديث (ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد...).

رواه ابن ماجه، والطبرانى فى الكبير، والحاكم فى المستدرك، والبيهقى فى الشعب، كلهم عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

انظر جامع الأحاديث حديث رقم (٢٨٦٤) ١/ ٥٦١.

(٤) (عبد الله بن مسعود) بن غافل من بنى زهرة الصحابى الكبير، أسلم قديما وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد كلها ولازم النبى ﷺ وكان صاحب نعليه، وحدث عن النبى ﷺ بالأحاديث الكثيرة، وروى عن عمر، وسعد، ومعاذ وغيرهم، وروى عنه ابنه عبد الرحمن، وأبو عبيدة، وجابر وأنس، وأبو جحيفة وغيرهم، وآخى النبى ﷺ بينه وبين الزبير، وبعد الهجرة بينه وبين سعد بن معاذ، وقال عنه النبى ﷺ (من سرَّه أن يقرأ القرآن رطبًا كما أُنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد) يعنى ابن مسعود.

كان يقول: (ما دمت فى صلاة فأنت تقرع باب الملك، ومن يقرع بابه يوشك أن يفتح له). =

الشريف، فقال ابن مسعود: يا رسول الله لو أمرتنا أن نبسط لك، يعنى فراشًا، ونعمل لك يعنى بيتًا حسنًا، فقال: «ما لى وللدنيـا، وما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها»[1].

وعن أبى أمامة[2] عن النبى ﷺ قال: «أغبط الأولياء عندى لمـؤمن خفيف الحاذ، ذو حظ من صلاة وصيام، أحسن عبادة ربه، وأطاعه فى السر، وكان غامضًا فى الناس، لا يشار إليه بالأصابع، وكـان رزقه كفافًا فصبر على ذلك، ثم نقد ﷺ بـيده فقال: عجلت منيَّته، قلت بواكيه، قل تُراثُه»[3].

فقوله: أغبط الأولياء، أى أقربهم وأحقهم وأحـبهم، من كان موصوفًا بهذه الصفات، وقوله: خفيف الحاذ، بالذال المعجمة أو باللام، يعنى قليل المال.

= مات رضي الله عنه بالكوفة سنة ٣٢ هـ أو سنة ٣٣هـ.
انظر: ابن حجر الإصابة ٢/ ١٢٩ ترجمة (٤٩٤٥) أبو نعيم: حلية الأولياء ١/ ١٢٤، ابن قتيبة: المعارف ٢٤٩، ابن الجوزى: صفة الصفوة ١/ ١٥٤، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ١٢١.

(١) حديث (ما لى وللدنيا، ما أنا فى الدنيا إلا...).
رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده، والترمذى فى السنن، وابن ماجه فى السنن.
والحاكم فى مستدركه، والضياء فى المختارة، كلهم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
وقال فى الجامع الصغير: حديث صحيح.
انظر: السيوطى: جامع الأحاديث: حديث رقم (١٨٦٩٨) ٥/ ٥٦٥.
وانظر: الحافظ العراقى: المغنى عن حمل الأسفار ٣/ ٢١٠.

(٢) (أبو أمامة) هو: صدىّ بن عـجلان بن وهب، أبو أمامة الباهلى، صحابى، شـهد صفين مع على ابن أبى طالب، وروى عنه أنه قال: شهـدت صفين فكانوا لا يجهـزون على جريح، ولا يطلبون موليًا، ولا يسلبون قتيلاً.
سكن الشام، وتوفى فى أرض بحمص رضي الله عنه، له فى الصحيحين ٢٥٠ حديثا، مات سنة ٨١هـ.
انظر: ابن قنفد القسنطينى: كتاب الوفيات ص ٨٣.
ابن العماد: شذرات الذهب ١/ ٩٦.
ابن حجر: الإصابة الترجمة رقم (٤٠٥٤)، تهذيب التهذيب ٤/ ٤٢٠.

(٣) حديث (أغبط الأولياء عندى لمؤمن خفيف الحاذ...).
أورده السـيوطى فى جـامع الأحاديث بلفظ (أغـبط الناس...) وقـال: رواه أحمـد بن حنبل فى مسنده، ورواه الترمذى فى السنن، ورواه الحاكم فى مستدركه.
ورواه البيهقى فى شعب الإيمان، كلهم عن أبى أمامة رضي الله عنه.
وقال السيوطى حديث ضعيف، انظر الحديث رقم (٣٤٣٨) ١/ ٦٦١.

فقوله: نقد بيده، بالنون والقاف والدال المهملة، وفي رواية نقر بيده، بالراء أي صوّت بيده، يعني ثم ضرب رسول الله ﷺ إبهامه بوسطاه حتى سمع منه صوت، وهذا فعل من عجب من شيء، أو رأى شيئًا حسنًا، أو أظهر طربًا، يعني من كان هذه صفاته بمنزلة، أن يتعجب من حسن حاله، وقلة حزنه، وقلة مبالاته بالدنيا أو كثرة طربه.

وقال ﷺ «عرض عليَّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا فقلت: لا يا رب، ولكن أشبع يومًا، وأجوع يومًا فإن جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك»[١].

وعن المقداد بن معدي كرب[٢] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ آدميٌّ وعاءًا شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم أكيلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسه»[٣].

وعن ابن عمر[٤] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يتجشأ فقال:

---

(١) حديث (عرض عليَّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا...).
أورده السيوطي في جامع الأحاديث وقال: رواه أحمد بن حنبل في مسنده، والترمذي في السنن، عن أبي أمامة رضي الله عنه.
هو الحديث رقم (١٤١١٢) ٤/ ٥١٣.

(٢) (المقداد بن معد يكرب) بن عمرو بن يزيد بن معدي كرب بن سلمة أبو يحيى الكندي، صاحب رسول الله ﷺ نزل الشام، وسكن حمص.
روى عن النبي ﷺ وعن خالد بن الوليد ومعاذ بن جبل وأبي أيوب الأنصاري.
وروى عنه: الحسن بن جابر، وخالد بن معدان، وسعيد بن أبي المهاجر وعامر الشعبي وغيرهم.
ذكره محمد بن سعد في الطبقات (الطبقة الرابعة) وقال مات بالشام سنة ٨٧هـ وقيل غير ذلك روى له الجماعة سوى مسلم.
انظر ترجمته في: المزّي: تهذيب الكمال ١٨/ ٣٥٢ ترجمة رقم (٦٧٥٨).

(٣) حديث (ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًا من بطنه...).
أورده بالمخطوط (لطعام، وشراب، ونفس) وتم تصحيحه كما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، والترمذي في السنن، وابن ماجه في السنن، والحاكم في المستدرك، كلهم عن المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه.
الحديث أورده السيوطي في جامع الأحاديث تحت رقم (١٨٧٠٦) ٥/ ٥٦٧.

(٤) (ابن عمر) هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي، أبو عبد الرحمن، صاحب رسول الله ﷺ وابن وزيره رضي الله عنه ولد سنة ١٠ ق هـ، ونشأ في الإسلام، وهاجر به أبوه قبل احتلامه، واستُصغر يوم أُحُد، وشهد الخندق وما بعدها، وشهد فتح مصر، عاش ابن عمر إلى زمان ليس =

«أقصر من جشائك، فإن أطول الناس جوعًا يوم القيامة، أطولهم شبعًا فى الدنيا»[١].

وقال ابن عباس[٢] رضي الله عنهما أن الله عز وجل جعل الدنيا ثلاثة أجـزاء، جزء منها للمؤمن، وجزء للمنافق، وجزء للكافر، فالمؤمن يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع»[٣].

واعلم أيهـا الأخ أن الأحاديث الواردة فى ذم الدنيـا وأهلها لا تعـد ولا تحصـى، وما ذكرناه يكفى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

= فيه نظراء له، مات رضي الله عنه سنة ٧٣هـ فضائله كثيرة أكثر من أن تحصى، وكان إذا اشتد عجبه بشىء من ماله قرّبه إلى ربّه، أعـتق ألف إنسان أو أكثر، كان من البـالغين فى التواضع لا يأكل إلاّ مع المساكين، ولا يأكل طعامًا إلاّ ومعه يتيم.

انظر ترجمـته فى: ابن قنفذ القسنطينى: كتاب الوفـيات ص ٧٩، النووى: تهذيب الأسـماء ١/ ٢٨٧، ابن حجر: الإصابة ترجمة رقم (٤٨٢٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ٢٣٤، أبو نعيم: حلية الأوليـاء ١/ ٢٩٢، ابن العماد: شذرات الذهـب ١/ ٨١، ابن سعد: الطبقـات الكبرى ٤/ ١٠٥، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ١١٧.

(١) حديث (أقْصِر من جشائك، فإن أطول الناس...).

أورده السيـوطى فى جامع الأحاديث هو بلفظه عن أبى جحـيفة رضي الله عنه وقال رواه الحـاكم ولم أجده عن ابن عمر رضي الله عنهما.

انظر الحديث رقم (٣٧٤٦) ١/ ٧١١.

(٢) (ابن عباس) هو: عبد الله بن العـباس بن عبد المطلب القرشى الهاشمى الحبـر البحر، الصحابى الجليل، ابن عم رسول الله ﷺ أبو الخلفاء العباسيين، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ونشأ فى بدء عصر النبوة، فصحب النبى ﷺ وروى عنه الأحاديث الصـحيحة فله فى الصحيحين (١٦٦٠ حديثا) وحدهما.

دعا له رسـول الله ﷺ (اللهم فقهه فى الـدين، وعلمه التأويل) وينسب إليـه كتاب فى تفسـير القرآن جمعه بعض أهل العلم.

كان رضي الله عنه يقول: (أعول أهل بيت من المسلمين شهرًا أحبّ إلىّ من حجّة بعد حجّة).

مات رضي الله عنه بعد أن كف بصره بالطائف سنة ٦٨هـ.

انظر ترجمته فى: ابن قـنفذ القسنطينى: كتاب الوفيات ٧٦، أبو نـعيم: حلية الأولياء ١/ ٣١٤، ابن العماد: شذرات الذهب ١/ ٧٥، المناوى: الـكواكب الدرية: ١/ ١٢٤، ابن حجر: الإصابة ترجمـة رقم (٤٧٧٢) الديار بكرى: تاريخ الخـميس ١/ ١٦٧، ابن الجوزى: صـفة الصـفوة ١/ ٣١٤.

(٣) حديث (إن الله عز وجل جعل الدنيا ثلاثة أجزاء...).

أورده الإمام الغـزالى فى إحياء علوم الدين على لسـان ابن عباس، قول له ولم يورده حـديثا للنبى ﷺ.

انظر: الغزالى: إحياء علوم الدين ٣/ ٢٠٣.

وأما من كان محبًا للدنيا، راغبًا فى شهـواتها منهمكًا فى طلبها فلا تفيده الأحاديث ولا غيرها.

ومن أحب الله عادى عدوَّته، وهى الدنيا، لأنه تعالى لم ينظر إليها منذ خَلَقَها.

قال عيسى عليه الصلاة والسلام «من ذا الذى يبنى على موج البحر دارًا، ويلكم الدنيا لا تتخذوها قرارًا».

وقال أيضًا: «يا معشر الحواريين: ارضوا بدنىِّ الدنيا مع سلامة الدين، كما رضى أهل الدنيا بدنىِّ الدين مع سلامة الدنيا».

وقد قيل فى ذمها شعرًا:

يا خَـاطبَ الدُّنيـا إلـى نَفْسـهـا
تَنَحَّ عن خِطْبـتـهـا تَسْـلَمِ
إنّ الـتى تَـخْـطِـبُ غـدَّارة
قَـرِيبـة العـرس من الـمـأتم

وقيل فيها أيضًا:

إذا امـتـحـن بالدنيـا لبـيبٌ تكشْـ
ـشَفَت له عن عدوٌ فى ثياب صديق

وقيل فيها أيضًا:

يا راقـد الليـل مسـرورًا بأوله
إن الحـوادث قـد يطرقن أسـحـارا
أفنى القـرون التـى كـانت منعـمـة
كـر الجـديدين إقـبـالاً وإدبارا

وقال حجة الإسلام الغزالى(١): مثـال العبد فى نسيـانه نفسه وربه مـثل الحاج، الذى

(١) الإمام الغزالى: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، أبو حامد الغزالى الملقب بحجة الإسلام ولد سنة ٤٥٠هـ بمـدينة طوس من أعمال خـراسان وتلقى بهـا الفقـه ثم انتقل إلى جـرجان ثم إلى نيسابور، درس الفـقه على إمام الحرمين الـشريفين أبو المعالى الجـوينى، ولقى الوزير السلجوقى نظام الملك فعينه أستاذًا فى المدرسة النظامية سنة ٤٨٤هـ فظل فيها فترة ثم ترك كل ذلك وانقطع للعبادة والذكر وعاد إلى مسقط رأسه ومات سنة ٥٠٥هـ ترك عددًا كبيرًا من المؤلفات الهامة منها: إحياء علوم الدين وفيه جمع بين العلم والعمل، وللغزالى مناقب كثيرة.

انظر ترجمته فى: ابن قنفد القسـنطينى: كتاب الوفـيات ٢٦٦، مقدمة إحياء علوم الدين للدكتور =

يقف فى بعض منازل الطريق، ولا يزال يعلف ناقته ويتعهدها وينظفها، ويكسوها ألوان الثياب، ويحمل إليها أنواع الحشيش، ويبرد لها الماء حتى تفوته القافلة، وهو غافل عن الحج، وعن مرور القافلة، وعن بقائه فى البادية وحده، فريسة للسباع هو وناقته.

فكذلك الرجل إذا اشتغل فى تحسين أكله وملبسه ومشربه، ونسى ما خُلق من أجله، انقطع فى دار الوحشة والظلمة، وصار فريسة للشياطين والعياذ بالله.

فالعاقل لا يهمه أمر نفسه ودنياه، إلا بقدر ما يقوى به على سلوك طريق الآخرة، فالسعيد من عرف ما خلق له، فاستعد له، وعدل عما سواه، فلم يقدم على الدنيا إلا للحاجة والضرورة.

والشقى من غلبته الشهوة والغفلة، فيسعى ويكسب حتى يأكل ويلبس ويتنعم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم «اللهم إنك تسمع كلامى، وترى مكانى، وتعلم سرى وعلانيتى، لا يخفى عليك شىء من أمرى، وأنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، الوجل المشفق، المقر المعترف بذنبه، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، مَنْ خضعت لك رقبته، وفاضت لك عبرته، وذل لك جسمه، ورغم لك أنفه، لا تجعلنى بدعائك شقيًا، وكن بى رءوفًا رحيمًا، يا خير المسئولين، ويا خير المعطين»[1] نجنى وإخوانى مما يقطعنا عن جنابك، واجعلنا هادين مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، سلمًا لأوليائك، وعدوًا لأعدائك، نحب بحبك من أحببته، ونعادى بعداوتك من عاديته، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

= بدوى طبانة، ابن العماد: شذرات الذهب ٤/ ١٠ طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة ٢/ ١٩١، وفيات الأعيان ٣/ ٣٥٣، المناوى: الكواكب الدرية: ١/ ٧٠٣.

(١) حديث (اللهم إنك تسمع كلامى وترى مكانى...).

أورده السيوطى فى جامع الأحاديث وقال: رواه الإمام الطبرانى فى معجمه الكبير والخطيب فى كتابه عن ابن عباس ﷺ.

انظر الحديث رقم (٤٢٨٢) ٢/ ٨٩.

الباب الثانى :

فى الحث على سلوك هذه الطريق وبيان فضلها

اعلم أن طلب الكمال من أشرف الخصال، والكمال: هو التخلى عن الأوصاف الذميمة، والتحلى بالأوصاف [الحميدة.

والأوصاف الذميمة][(١)] هى: الجهل، والغضب، والحقد، والحسد، والبخل، والتعاظم، والكبر، والعجب، والغرور، والرياء، وحُبُّ الجاه، والرئاسة، وكثرة الكلام، والمِزَاح، والتزين للخلق، والتفاخر، والضحك، والتقاطع، والتهاجى، وتتبع العورات، والأمل، والحرص، وسوء الخلق.

والأوصاف الحميدة هى: العلم، والحلم، وصفاء الباطن، والإكرام، والتذلل، والرفق، والتواضع، والصبر، والشكر، والزهد والتوكل، والمحبة، والشوق، والحياء، والرضا، والإخلاص، والصدق، والمراقبة، والمحاسبة، والتفكر، والشفقة، والرحمة على الخلق، والحب فى الله، والتأنى فى الأمور، والبكاء، والحزن، وحب الخمول، وحب العزلة، وسلامة الصدر، والنصح وقلة الكلام، والخشوع، والخضوع، وانكسار القلب، وحسن الخلق.

والمراد من سلوك طريق التصوف: الاتصاف بالكمال، والخلاص من قبيح الخصال، وهذا شىء مطلوب، مأمور به.

* أمَّا الخلاص من الغضب:

فقال له ﷺ «ما غضب أحدٌ إلا أشفى على جهنم»[(٢)]، وروى عن أبى هريرة[(٣)]، أن رجلاً قال: يا رسول الله، مُرْنى بعمل وإن قلّ، قال له:

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط ويطلبه السياق.

(٢) حديث: (ما غضب أحد إلاَّ أشفى على جهنم...).

رواه البزّار، وابن عدى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

انظر: الحافظ العراقى: المغنى عن حمل الأسفار ٣/ ١٦١، وقال: إسناده ضعيف.

(٣) (أبو هريرة) عبد الرحمن بن صخر الدوسى اليمانى، واختُلف فى اسمه واسم أبيه، لكن كناه رسول الله ﷺ بأبى هريرة فغلب عليه، كان أحفظ الصحابة لحديث رسول الله ﷺ فقد بلغت مروياته (٥٣٧٤ حديثا) قال عنه الإمام الشافعى: (أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره) كان كثير العبادة، حسن الخلق، ولى إمرة المدينة فى عهد أبى بكر الصديق، ولما صارت الخلافة لعمر بن الخطاب استعمله على البحرين ثم عزله، توفى رضي الله عنه سنة ٥٧هـ وقيل غير ذلك.

انظر ترجمته فى: ابن قنفد القسنطينى: كتاب الوفيات ص ١٧، المزّى: تهذيب الكمال: =

«لا تغضب، [ثم أعاد الكلام، فقال له: لا تغضب](١)»(٢).

وعن ابن مسعود(٣) قال: قال رسول الله ﷺ «مـا تعدون القوى فيكم؟ قلنا الذى لا تصرعه الرجال، قال: ليس ذلك، ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب»(٤).

ويكفى من قبح الغضب، قبح صورة الغضبان الظاهرة، وصورته الباطنة أقبح.

وروى أن عائشة(٥) رضي الله عنها غضبت مرة، فقال لها ﷺ «جاء شيطانك، فقالت وما لك شيطان؟ فقال: بلى، ولكن دعوت الله فأعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير»(٦).

= ٢٢/ ٩٠. ابن كثير: البداية والنهاية ٤/ ٨/ ١١، ابن قتيبة: المعارف ص٧٧، أبو نعيم: حلية الأولياء ١/ ٣٧٦، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١/ ١٥١، ابن باطيش، المغنى فى الإنباء عن غريب الأسماء ٢/ ٥٢٢، الديار بكرى: تاريخ الخميس ٢/ ٢٩٦، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٨٤ الذهبى: مختصر دول الإسلام ١/ ٤٢.

(١) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط ومصحح بالهامش.

(٢) حديث (لا تغضب...).

رواه البخارى، وأحمد بن حنبل والترمذى، كلهم عن أبى هريرة رضي الله عنه.

انظر: الإمام صلاح الدّين التجانى وقال: حديث صحيح، الحديث رقم (٢٧٨٥) من جوامع الكلم، وفيه أيضًا: رواه أحمد بن حنبل والحاكم عن جارية بن قدامة.

وانظر الحافظ العراقى: المغنى عن حمل الأسفار ٣/ ١٦١.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) حديث (ما تعدون القوى فيكم...) رواه مسلم عن ابن مسعود.

انظر: الحافظ العراقى ٣/ ١٦١ المغنى عن حمل الأسفار.

(٥) (عائشة) بنت أبى بكر الصديق رضي الله عنه، زوج الحبيب وسيد الوجود سيدنا محمد ﷺ تزوجها بعد سيدتنا (سودة بنت زمعة) وسيدتنا (خديجة بنت خويلد) تزوجها بمكة ثم دخل بها فى المدينة وهى بنت تسع سنين ولم يتزوج بكرًا غيرها بعد سبعة أشهر من قدومه المدينة، قُبض رسول الله ﷺ وهى بنت ثمانى عشرة كناها بأم عبد الله، وكانت أقرب زوجاته إلى قلبه، بقيت رضي الله عنها إلى خلافة معاوية وتوفيت سنه ٥٨هـ، وقد قاربت السبعين.

انظر: د/ چيهان رفعت فوزى: السيدة عائشة وتوثيقها للسنّة.

ابن قتيبة: المعارف ١٣٤، ابن حزم: جوامع السيرة ص ٢٦، دحلان: السيرة النبوية ١/ ٢٦٩، الحلبى: السيرة الحلبية، النويرى: نهاية الأرب ١٨/ ١٧٤، ابن كثير: الفصول ص ١٧٨، ابن قنفد: كتاب الوفيات ص ٣٦، عبد الباسط الحنفى: غاية السول بتحقيقنا.

(٦) حديث (ما لك جاءك شيطانك، فقالت: وما لك شيطان؟...)

رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها

انظر: الحافظ العراقى: المغنى عن حمل الأسفار ٣/ ١٦٧.

فعلى الجملة، فالغضب خصلة ذميـمة، تحصل من غليان دم القلب، لطلب الانتقام، وضده الحلم، وابتداؤه بالتحلم، حتى يصير عادة.

وقال ﷺ «إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم، ومن يتخير الخير يعطه، ومن يتوقَّى الشر يوقه»(١).

قال ﷺ : «اطلبـوا العلم، واطلبوا مع العلم السكينة والحلم، ليـنوا لمن تُعلّمون، ولمن تتعلمون منه، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فيغلب جهلكم عليكم»(٢).

وقال ﷺ : «ابتغـوا الرفعة عند الله» قالوا: وما هـى يا رسول الله؟ قال: «تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وتحلم على مَنْ جهل عليك»(٣).

والأحـاديث فى ذم الغـضب، ومـدح الحلم كـثيـرة، ولا يتـوصل إلى الخـلاص من الغضب المذموم بالكلية، والاتصاف بالحلم المحـمود الذى يصير طبيعة، إلا بسلوك طريق التصوف، لأن به ينكسر قوه الغضب، ويدخل تحت سياسة العقل والشرع.

فحـينئذ يـصير فى قـبضـة يده مغلوبًا وهـو غالب، فإن غـضب فلا يغـضب إلا لله، والغضب لله مـقام عـال، لا يقدر عليـه إلا من ترقّى إلى المقـام الرابع، الذى تسمى فـيه النفس بالمطمئنة، ومن ادعاه وهو دون هذا المقام، فهو كاذب، تلبّس عليه الحق بالباطل.

---

(١) حديث (إنما العلم بالتعلُّم، والحلم بالتّحلم...).
رواه الطبـرانى فى الكبـيـر، والدارقطنى فى العلل من حـديث أبى الدرداء بسند ضـعـيف، ورواه الطبرانى فى الأوسط، والخطيب، وابن عساكر عن أبى الدرداء أيضًا.
والحديث فيه طول بعض الشيء.
انظر السيوطى جامع الأحاديث حديث رقم (٨١٤١) ٣/ ١٢٣، الحافظ العراقى: المغنى عن حمل الأسفار ٣/ ١٧٢.

(٢) حديث (اطلبوا العلم، واطلبوا مع العلم السكينة...).
رواه ابن السنّى فى رياضة المتعلمين بسند ضـعيف انظر المغنى ٣/ ١٧٢، ورواه الديلمى فى مسند الفردوس عن أبى هريرة رضي الله عنه.
انظر جامع الأحاديث للسيوطى حديث رقم (٣٢٤٣) ١/ ٦٢٤.

(٣) حديث (ابتغوا الرفعة عند الله...).
رواه ابن عدى عن ابن عمر رضي الله عنهما.
انظر السيوطى: جامع الأحاديث (٧٥) ١/ ٣٢.
وقال العراقى: رواه الحاكم والبيهقى.
انظر: المغنى عن حمل الأسفار ٣/ ١٧٢.

قال على[١] رضي الله عنه: «كان النبى ﷺ لا يغضب للدنيا» يعنى: بل يغضب لله تعالى، فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد[٢] يعنى من شدة غضبة على إظهار الحق وإخفاء الباطل.

* **وأما الحسد:** فهو من قبيح الخصال أيضًا، ولا يمكن قطع مادته من الباطن بالكلية إلا بسلوك طريق التصوف، كما سيأتى فى الأبواب الآتية.

قال ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[٣].

وحقيقة الحسد: أن يكره نعمة الله تعالى على أخيه، فيحب زوالها عنه، فإن كان لا يكره ذلك لأخيه، ولا يريد زوالها، ولكن يريد لنفسه مثلها، فيسمى هذا غبطة، وهو ليس مذمومًا.

قال ﷺ: «المؤمن يغبط، والمنافق يحسد»[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[٥] فالمراد به النهى عن

---

(١) (علىّ بن أبى طالب) بن عبد المطلب بن هاشم القرشى، أبو الحسن أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين، وابن عم النبى ﷺ وصهره وأول الناس إسلامًا بعد خديجة ولد بمكة سنة ٢٣ ق هـ وبويع بالخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان سنة ٣٥هـ طالب بعض الصحابة بالقبض على قتلة عثمان بن عفان فحدثت الفتنة فكانت وقعة الجمل سنة ٣٦هـ، وصفين سنة ٣٧هـ بين على ومعاوية ثم قتله عبد الرحمن بن ملجم غيلة فى مؤامرة رمضام المشهورة وما بين تاريخ الميلاد والوفاة أسرار عظيمة، وروح عالية كان لها عظيم الأثر، قال عنه النبى ﷺ (أنا مدينة العلم وعلىٌّ بابها) كرم الله وجهه.

انظر ترجمته فى: ابن قنفد القسنطينى: كتاب الوفيات ص ٢٨.

المحب الطبرانى: الرياض النضرة جـ ٤، العقاد: عبقرية الإمام على عبد الفتاح عبد المقصود (الإمام على)، أحمد زكى صفوت: ترجمة الإمام على.. ومصادر كثيرة جدًا.

(٢) حديث (كان النبى ﷺ لا يغضب للدنيا...).

رواه الترمذى فى شمائل النبى ﷺ وتقدم قبل فى هامش الغضب.

(٣) حديث (الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب).

رواه أبو داود من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وابن ماجه من حديث أنس رضي الله عنه.

انظر هامش (الحسد) الذى مضى فى هذا الكتاب.

وانظر العراقى: المغنى عن حمل الأسفار ٣/ ١٨٣.

(٤) حديث (المؤمن يغبط، والمنافق يحسد..).

قال الحافظ العراقى: لم أجد له أصلاً مرفوعًا وإنما هو من قول: الفضيل بن عياض.

كذلك رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الحسد، انظر: المغنى ٣/ ١٨٦

(٥) الآية رقم (٣٢) من سورة النساء.

التمنى، بانتقال تلك النعمة عنه إليه بعينها، لأن تمنى أن ينعم عليه بمثلها غير مذموم ولا محمود، هذا إذا كان فى الأمور الدنيوية، أما إذا كان ذلك فى الدين فهو محمود.

* **وأما الحقد:** فهو قبيح أيضًا، لأنه ينتج الحسد، والتهاجى والتباغض والتقاطع، وتتبع عورات من أنت حاقد عليه.

وقد قال النبى ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات، دخل النار»(١).

وقال: «لا تجسسوا ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا»(٢).

وقال ﷺ: «دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، وهى حالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»(٣).

وعن ابن عمر(٤) رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال: «يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يُفْضِ الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تُعيِّروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه، ولو فى جوف رحله»(٥).

---

(١) حديث (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه...).
رواه أبو داود بهذا اللفظ عن أبى هريرة رضي الله عنه.
انظر السيوطى: جامع الأحاديث حديث رقم (٢٦٤١٥) ٧/ ٤١١.

(٢) حديث (لا تجسَّسُوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا...).
أورده السيوطى بدون لفظ (لا تجسسوا) وبدأ بلفظ (لا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث).
انظر: جامع الأحاديث، وقال: رواه أحمد بن حنبل، ومتفق عليه، ورواه أبو داود والترمذى، كلهم عن أنس رضي الله عنه، الحديث رقم (٢٤٩٩٧) ٧/ ١٨٠.

(٣) حديث (دبّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسد...).
رواه أحمد بن حنبل والترمذى، والضياء عن الزبير بن العوام رضي الله عنه.
انظر جمع الأحاديث رقم (١٢٠٠١) ٤/ ١٢٩.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) حديث (يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يُفض...).
رواه الترمذى فى السنن عن ابن عمر رضي الله عنهما.
انظر جامع الأحاديث حديث رقم (٢٧٣٩٦) ٧/ ٥٨٧.

واعلم أن الهجر يجوز إذا كان لغرض شرعى، ولقد هجر النبى ﷺ زينب[١] أيامًا، وذلك أن النبى ﷺ أمر زينب أن تعطى لصفية بعيرًا، فقالت: أنا أعطى تلك اليهودية، فغضب ﷺ وهجرها، ذى القعدة، وذى الحجة، ومحرم، وبعض صفر.

* **وأما البخل:** فهو مما ذمه الله ورسوله، قال الله تعالى ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[٣].

وقال ﷺ «إياكم والشح، فإنه أهلك من كان قبلكم، وحملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[٤].

وقال ﷺ: «السخى لا يدخل النار، وأنا رفيقه، والبخيل لا يدخل الجنة، وإبليس رفيقه»[٥].

---

(١) (زينب) (أمُّ المؤمنين) هى: زينب بنت جحش بن رئاب من بنى خزيمة كان اسمها (بَرَّة) فسماها رسول الله ﷺ زينب، أمها: أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ تزوجها رسول الله ﷺ وقصتها معروفة حيث كانت قبلُ عند زيد بن حارثة وأراد الله أن يبطل التبنّى فقال ﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ﴾ الآية (٥) الأحزاب، فدُعى زيد يومئذ (زيدُ بن حارثة) ولدت سنة ٣٣ ق هـ وماتت سنة ٢٠هـ فكانت ﵂ تفخر على نساء رسول الله ﷺ وتقول لهن: (إن آباءكن أنكحوكن، وإن الله أنكحنى إياه من فوق سبع سموات).

قالت عنها السيدة عائشة ﵂: ما رأيت امرأة قط خيرًا فى الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة.

انظر: النويرى: نهاية الأرب ١٨/ ١٨٠ ابن قنفد القسنطينى: كتاب الوفيات ص ٣٣، أبو نعيم: حلية الأولياء ٢/ ٥١، ابن الجوزى: صفة الصفوة ٢/ ٢٤، ابن العماد: شذرات الذهب ١/ ٣١، الكامل فى التاريخ ٢/ ١٧٧.

(٢) الآية رقم (٩) من سورة الحشر. (٣) الآية رقم (١٨٠) من سورة آل عمران.

(٤) حديث: (إياكم والشح، فإنه أهلك...).

قال السيوطى: رواه أحمد بن حنبل، والحاكم عن أبى هريرة ﵁، وأوله: (إياكم والفُحش والتفحُّش فإن الله لا يُحب الفاحش والمتفحّش، وإياكم والظلم فإنه هو الظلمات يوم القيامة، وإيّاكم والشح...) بقية الحديث.

انظر: جامع الأحاديث رقم (٩٤٧٣) ٣/ ٤١٤.

وقال الحافظ العراقى: رواه الحاكم فى المستدرك وقال: صحيح على شرط مسلم.

انظر: المغنى ٣/ ٢٤٧.

(٥) حديث (السخىّ لا يدخل النار...) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما ورد فى الإحياء (السخاء =

وحقيقة السخاء: أن تجود بما فضل عن حاجتك والإيثار أعظم منه، لأنه أرفع درجات السخاء، وهو أن تجود بالمال مع الحاجة إليه.

* **وأما الكبر:** فهو أيضًا من الخصال المذمومة.

قال الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾(٣).

وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر»(٤).

وقال عز وجل «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني في واحد منهما ألقيته في النار»(٥) والكبر صفة في النفس، تنشأ من رؤية النفس.

* **وأما العجب:** فهو من الخصال المذمومة أيضًا، قال ﷺ: «ثلاث مهلكات شح مطاع، وهوًى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»(٦).

= شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة إلاّ سخيّ، والبخل شجرة تنبت في النار فلا يلج النار إلاّ بخيل).

قال الحافظ العراقي: رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث عائشة وابن عدي والدارقطني في المستجاد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأبو نعيم من حديث جابر وكلاهما ضعيف، ورواه ابن الجوزي في الموضوعات انظر المغني ٣/ ٢٣٨.

(١) الآية رقم (١٤٦) من سورة الأعراف. (٢) الآية رقم (٣٥) من سورة غافر.

(٣) الآية رقم (١٥) من سورة إبراهيم.

(٤) حديث (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) أورده السيوطي ولكن فيه (مثقال حبة من خردل) وقال: رواه أبو يعلى، والطبراني في الكبير، والحاكم، والبيهقي في الشعب، والضياء في المختارة عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، ورواه الطبراني عن ابن عباس وهناد رضي الله عنهما، ورواه أحمد بن حنبل، والطبراني أيضًا، عن ابن عمرو رضي الله عنه، الحديث رقم (٢٦٨٣٥) و (٢٦٨٣٤) ٧/ ٤٨٧.

(٥) حديث (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري. . .) رواه مسلم، وابن حبان، وأبو داود، وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعًا، والقضاعي عن أبي هريرة رضي الله عنه وصححه الحاكم.

انظر: العجلوني: كشف الخفاء ٢/ ١٠٦ حديث رقم (١٩١٢).

انظر الأحاديث القدسية الحديث رقم (٢٦٩) ص ٢٧٠.

(٦) حديث (ثلاث مهلكات: شُحّ مطاع، وهوى. . .).

رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عُمَر رضي الله عنهما جامع الأحاديث (١٠٧٩٨) ٣/ ٦٧٥، ورواه العسكري في الأمثال، وأبو إسحاق المراعي في كتاب: ثواب الأعمال، والخطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما.

انظر الحديث رقم (١٠٨٨٨) ٣/ ٦٩٤.

وحقيقة العجب: تكبر يحصل فى الباطن من تخيل كمال من علم أو عمل، وينبغى للسالك إذا دخل عليه العجب أن يتفكر فى حال من مات على الكفر، بعد أن كان عابداً لكونه أعجب بنفسه كبلعام(١)، ويتفكر فى حال إبليس، وأن يقول لنفسه: لا تعجبى بالعمل، حتى تتحققى أن الله تعالى قبله، لأن العمل الذى لم يتحقق [قبوله كيف يعجب به صاحبه ولا شك أن الله تعالى ذم العجب فقال](٢): ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا ﴾(٣).

* **وأما الغرور**: فهو من أسباب الإهلاك، قال الله تعالى: ﴿ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾(٤).

وقال عز من قائل: ﴿ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾(٥).

والغرور: هو اعتقاد الشىء على خلاف ما هو عليه، وسكون النفس إلى ما يوافق الهوى من الخيالات والشُّبه، فهو نوع من الجهل.

وأنواع المغترين كثير، فمنهم: من اغتر بأن الله، كريم رحيم، وخاض فى المعاصى، ولا شك أن الله تعالى، كريم رحيم، ولكن جميع القرآن دال على أن كرمه ورحمته تعالى بتوفيقه فى الدنيا للخيرات.

قال عز من قائل: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ﴾(٦).

ومنهم: من اغتر بتقوى آبائه وأجداده، وقربهم من الله تعالى، ولم يتفكروا فى قوله لنوح: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾(٧).

---

(١) (بلعم بن باعوراء) بن سنور بن وسيم بن ناب بن لوط بن هاران من قرية من قرى البلقاء من بلاد الشام، قيل: هى أريحا، وكان مستجاب الدعوة، فحمله قومه على الدعاء على يوشع بن نون، فلم يتأتّ له ذلك وعجز عنه، فأشار على بعض ملوك العماليق أن يبرزوا الحسان من النساء نحو عسكر يوشع بن نون ففعلوا، فتسرعوا إلى النساء فوقع فيهم الطاعون، فهلك منهم سبعون ألفًا، وقيل أكثر من ذلك، وبلعم هو الذى أخبر الله عنه، أنه آتاه الآيات فانسلخ منها، قيل: إن يوشع ابن نون قبض وهو ابن مائة وعشرين سنة.

انظر: المسعودى: مروج الذهب ١/ ٥٢، ابن قتيبة: المعارف ٤١، ٤٢.

(٢) ما بين المعقوفتين مستدرك من هامش المخطوط.

(٣) الآية رقم (٢٥) من سورة التوبة.

(٤) الآية رقم (٣٣) من سورة لقمان.

(٥) الآية رقم (١٤) من سورة الحديد.

(٦) الآية رقم (١٢٥) من سورة الأنعام.

(٧) الآية رقم (٤٦) من سورة هود.

ومنهم: من اغتر ورضى بمجرد زى الصالحين والصوفية، **فظن أن التصوف لبس** الصوف فقط.

ومنهم: من اغتر بخلع الفوارق وترك الأعمال.

ومنهم: من اغتر بحفظ كلام السادات واصطلاحاتهم.

ومنهم: من اغتر بما فتح عليه من المعرفة، فوقف عندها يظن **أنه قد وصل**.

وأحوال المغترّين كثيرة، فالذى يجب على السالك، أن لا **يغتر بشىء، ولا يقف عند** شىء، ولا يرضى بسفاسف **الأمور**، بل يطلب التحقيق واليقين، **ويترك الشبه والأهواء**، ولا يعتقد الشىء إلا على ما هو عليه، لأن الشيطان دسائسه كثيرة، **ولا تجوز حيلته إلا** على المغترين، وسأذكر جملة قليلة من حيله فى الخاتمة **إن شاء الله تعالى**.

* **وأما الرياء**: فهو حرام، لقوله تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ** ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾[2].

وقال ﷺ «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» **قالوا: وما الشرك الأصغر** يا رسول الله؟ قال: «الرياء» يقول الله تعالى يوم القيامة إذا **جازى العباد بأعمالهم: «اذهبوا** إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا لأجلهم، فانظروا، هل تجدون **عندهم الجزاء**»[3].

واعلم أن المرائى لا شك أنه يريد أن يكون له فى قلوب الناس منزلة، وهذا الذى يبعثه على الرياء، وطالب طريق الحق يجب عليه أن يسعى **على إسقاط منزلته من قلوب** الخلق، فحينئذ المرائى بعيد عن طريق الحق.

* **وأما حب الجاه والرئاسة**: فإنه مذموم قاطع عن الطريق الحق، **قال النبى ﷺ**: «حسب ابن آدم من الشر إلا من عصمه الله أن يشير الناس إليه **بالأصابع فى دينه أو** دنياه»[4].

---

(١) الآية رقم (٤ : ٦) من سورة الماعون. (٢) الآية رقم (١١٠) **من سورة الكهف**.

(٣) حديث (إن أخوف ما أخاف عليكم...).

رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده، عن محمود بن لبيد رضي الله عنه.

انظر جامع الأحاديث، حديث رقم (٤٩٢٠) ٢/ ٢٢٠.

(٤) حديث (حسبُ ابن آدم من الشر أن يشير...).

رواه البيهقى فى الشعب عن أبى هريرة رضي الله عنه، وقال العراقى: بسند ضعيف، **انظر: المغنى** ٣/ ٢٦٩، جامع الأحاديث حديث رقم (٩٨٩٢) ٣/ ٤٩٣ **وحديث جابر مثله وفيه زيادة**.

وقال على[١] ﷺ «تبذل ولا تشتهر، ولا ترفع شخصك، واكتم واصمت تسلم، تسر الأبرار وتغيظ الفجار»[٢].

وقال إبراهيم بن أدهم[٣]: «ما صدق من أحب الشهرة وانتشار الصيت».

واعلم أن حب الشهرة، هو المذموم، وأما نفس الشهرة وانتشار الصيت، فقد يكون محمودًا، وقد يكون مذمومًا، فإن قصد به تعظيم نفسه واحتقار غيره، فهو مذموم، وإن قصد به إرشاد الخلق ونفعهم فهو محمود ومثاب عليه.

ولا شك أن جاه الأنبياء والخلفاء الراشدين أوسع من كل جاه، وهم مثابون عليه، وعلامة الجاه المحمود، أن يكون صاحبه كالمكلف فى حمله، فإذا جاء من ينوب عنه، ويكفيه التعب فرح به واغتنمه، ولم يغتظ منه، بل يرى منته عليه.

وعلى كل حال متى ما مال قلب السالك إلى حب الجاه والرئاسة انقطع عن الطريق، فيجب عليه حب الخمول، وتعاطى أسبابه، وهى الأشياء التى تسقط منزلته عند الناس، حتى إذا دخل لم يعتنِ به أحد، ولا يرد عليه السلام، وهذا حال المريد الصادق.

* **وأما كثرة الكلام:** فهى مذمومة، لأنها يتولد منها أمور محرمة، وأمور مكروهة

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) (قول الإمام على) (تبذّل ولا تشتهر...).
ورد شطر من هذا القول عند ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت انظر ص ٣٣٣.

(٣) (إبراهيم بن أدهم) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم، من أهل بلخ، كان من أبناء الملوك المياسير، وخرج يصطاد ذات يوم فهتف به هاتف: ما لهذا خُلقت.
فأيقظه من غفلته، وترك الدنيا وطريق التزين فيها، ورجع إلى طريق أهل الزهد والورع.
صَحِبَ أبا سفيان الثورى، والفضيل بن عياض عندما ذهب إلى مكة، ولما دخل الشام أسند الحديث، وعمل عملاً يتقوّت به، ومات بها سنة ١٦٢هـ.
كان يقول: (من أكثر من الأكل لم يجد لطاعة الله لذّة، ومن أكثر من النوم لم يجد فى عمره بركة، ومن أكثر مخالطة الناس لم تقم له عند الله حجة، ومن أكثر من الوقوع فى أعراض الناس لم يخرج من الدنيا على التوحيد).
انظر ترجمته فى: السلمى: طبقات الصوفية ٢٧، الإمام القشيرى: الرسالة ص ٨، الجامى: نفحات الأنس: ١٠٤، أبو نعيم: حلية الأولياء ٧/ ٣٦٧، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٢/ ٢١، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ١٤٢، ابن الجوزى: صفة الصفوة ٢/ ٧٨٧، الشعرانى: الطبقات الكبرى: ١/ ٥٩، الهجويرى: كشف المحجوب ١٢٩، الذهبى: مختصر دول الإسلام ١/ ١١٠، الكلاباذى: التعرف لمذهب أهل التصوف ١٦٦، الشيخ محمود خطاب السبكى: مختصر أعذب المسالك ٦٠ بتحقيقنا.

مثل: ذكر المعاصى السَّالفة، وذكر أقوال الخنا، والمجادلة التى هى المراء، والخصومة والتشدق فى الكلام بتكلف السجع والتصنع، والسب والفحش، واللعن والمزاح الزائد على الشرع، والسخرية والاستهزاء، وإفشاء السر والكذب، واليمين، والغيبة والنميمة، وأمثال هذه المحرمات من الخوض فيما لا يعنى.

وآفة اللسان آفة مهلكة، لم يكن أخطر منها، وجميع القبائح متفرعة منها. فلذلك مدح النبى ﷺ الصمت وحث عليه، وأمر به أصحابه فقال: «الصمت حكمة، وقليل فاعله»[1]، وقال: «من صمت نجا»[2].

وقال ﷺ لمعاذ بن جبل[3]: «وهل يكب الناس فى النار على مناخيرهم إلا حصائد ألسنتهم»[4].

---

(١) حديث (الصمت حكمة، وقليل فاعله) أورده السيوطى فى جامع الأحاديث بلفظ (حِكَمٌ) وقال: رواه القضاعى عن أنس رضي الله عنه والديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عمر رضي الله عنه حديث رقم (١٣٧٥١) ٤/ ٤٥٠ انظر الحافظ العراقى، المغنى وفيه: والصحيح عن أنس (أن لقمان قال) ورواه كذلك هو وابن حبان فى كتاب روضة العقلاء بسند صحيح إلى أنس انظر ٣/ ١٠٥.

(٢) حديث (من صَمَتَ نجا) رواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف وقال: غريب، وهو عند الطبرانى بسند جيد، انظر المغنى / ١٠٥.
وفى جوامع الكلم للإمام (صلاح الدين التجانى) كذلك رواه الترمذى عن ابن عمرو وقال: حسن وفى كشف الخفاء للعجلونى: رواه الترمذى وقال غريب، والدارمى، وأحمد، وآخرون عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه مرفوعا، وقال فى سنده ابن لهيعة، ومن ثم قال النووى فى الأذكار بعدما عزاه للترمذى: إسناده ضعيف.
وذكر العجلونى شواهد كثيرة انظر الحديث رقم (٢٥٢١) ٢/ ٢٥٨ من كشف الخفاء.

(٣) (معاذ بن جبل) بن عمرو بن أوس بن عائذ الأنصارى الخزرجى، أبو عبد الرحمن، صحابى جليل، آخى النبى ﷺ بينه وبين جعفر بن أبى طالب، شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها، وبعثه رسول الله ﷺ قاضيا ومرشداً لأهل اليمن وجعل إليه قبض الصدقات من العمال، وأرسل معه كتابا إليهم يقول فيه (إنى بعثت لكم خير أهلى) فبقى فى اليمن إلى أن توفى النبى ﷺ وولى أبو بكر فعاد إلى المدينة واستعمله عمر بن الخطاب على الشام، فمات من عامه فى طاعون عمواس كان ذلك سنة ١٨هـ.
انظر: ابن قنفد القسنطينى: كتاب الوفيات ص ٤٦، ابن حجر: الإصابة ترجمة رقم (٨٠٤٩) أبو نعيم: حلية الأولياء ١/ ٢٢٨ وفى الحديث: (يأتى معاذ بن جبل يوم القيامة إمام العلماء).

(٤) حديث (وهل يكبّ الناس فى النار إلاّ . . .).
رواه الترمذى وصحّحه، وابن ماجه، والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين.
انظر: الحافظ العراقى: المغنى عن حمل الأسفار ٣/ ١٠٥.

وكان أبو بكر الصديق[١] ﷺ، يخاف من فلتات اللسان، فيضع فى فيه حصاة، لتمنعه من الكلام، وكان يقول: «هذا الذى أوردنى الموارد القبيحة، ويشير إلى لسانه»[٢].

ومن عِظَم ما رأى ابن مسعود[٣] من آفة اللسان كان يقول: «الله أكبر ما من شىء أحق بالسجن من اللسان».

وقال ﷺ: «مررت ليلة أسرى بى على قوم يخمشون وجوههم بأظافيرهم، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ فقال: الذين يغتابون الناس، ويقعون فى أعراضهم»[٤].

والغيبة: أن تذكر أخاك بما فيه، وتعلم أنه لو سمعه لكرهه، سواء كان فى بدنه أو نفسه أو فعله أو قوله أو دينه أو دنياه، أو ثوبه أو داره، أو دابته، وغير ذلك.

فمتى ذكرته بشىء من هذه الأشياء، وكان ذلك الشىء فيه كان بهتانًا، وهو أمر من الغيبة، ولا فرق بين أن المستغاب حاضر أو غائب.

والأحاديث الواردة فى النهى، عما ذكرناه من آفات اللسان كثيرة، ومن لم يؤثر فيه سماع القليل، لا ينفعه الكثير، وبالله التوفيق.

* **وأما المزاح:** فإنه يميت القلب، ويعقبه ظلمة، لو عرف السالك ما نقص من حاله بسبب المزاح لما فعله مرة أخرى، ويعرفها مَنْ كان باطنه منور.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) قول أبى بكر الصديق (هذا الذى أوردنى الموارد القبيحة...). رُوى أن عمر بن الخطاب ﷺ رأى أبا بكر الصديق ﷺ وهو يمدُّ لسانه بيده، فقال له: ما تصنع يا خليفة رسول الله ﷺ. قال: هذا أوردنى الموارد... إلخ، ثم قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ قال: (ليس شىء من الجسد إلاّ يشكو اللسان على حدّته).

انظر: الحافظ العراقى: المغنى عن حمل الأسفار ٣/ ١٠٦، وفيه رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت، وأبو يعلى فى مسنده، والدارقطنى فى العلل، والبيهقى فى الشُّعب، من رواية أسلم مولى عمر، وقال الدارقطنى: إن المرفوع وهم على الدراوردى، قال: ورُوى هذا الحديث عن قيس ابن أبى حازم عن أبى بكر ﷺ ولا علّة له.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) حديث (مررت ليلة أسرى بى على قوم...).

رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الغيبة حديث (٢٦) ص ٤٨ عن أنس ﷺ، وانظر: السيوطى: جامع الأحاديث حديث رقم (١٩٨٥٥) ٦/ ٣٧، وأخرجه أبو داود فى السنن ٤٨٧٨ كتاب الأدب ٤/ ٢٦٩، والإمام أحمد فى المسند ٣/ ١٨٠، ٢٢٩، ٢٣١، والقرطبى فى تفسيره ١٦/ ٣٣٦، والبغوى ٦/ ٢٢٩، والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٣/ ٥١٠، والسيوطى فى الدرّ المنثور ٤/ ١٥٠، ٦/ ٩٦. انظر هامش ص ٤٨ من كتاب «الغيبة» لابن أبى الدنيا.

وأما أصحاب الظلمة فلا يحسون بآفة المزاح، قال النبى ﷺ «لا تمارِ أخاك ولا تمازحه»[١] فإن قلت: إن النبى ﷺ، كان يمزح، فأقول لك: صدقت، ولكنه يقول حقا وأنت لا تقدر على هذا المزاح، فالأولى لك تركه إلا فى بعض الأوقات، وذلك عند ازدياد القبض وضيق الصدر.

* **وأما التزين للخلق:** فإنه يشغل السالك، ويقصيه عن مطالبه، لأنه يحتاج إلى تحصيل ما يتزين به من اللباس، والتطيب وتسوية العمامة، وغير ذلك مما يلهيه عن ذكر ربه، وعن الحضور.

والمطلوب من السالك أن يكون مسقوطًا فى نظر الخلق، ليس له فى قلوبهم منزلة، والتزين لهم ينافى ذلك، هذا حال السالك.

وأما المرشد: وهو الذى أقامه الله تعالى لدعوة الخلق للحق، فالواجب عليه أنه لا يفعل ما يسقطه من أعين الخلق، لأنه يفسد حالهم.

كان ﷺ إذا أراد الخروج على أصحابه، ينظر فى المرآة، ويسوّى عمامته وشعره، فسألته عائشة ﵂ عن ذلك فقال: «إن الله تعالى يحب العبد أن يتزين لإخوانه إذا خرج إليهم»[٢].

* **وأما التفاخر:** فهو مذموم، منهى عنه، لقوله ﷺ «إن الله تعالى أوحى إلىّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد، أى: لا يظلم أحدٌ أحدًا»[٣].

---

(١) حديث (لا تُمار أخاك ولا تمازحه) وبقية الحديث (ولا تَعِدْه موعدًا فتخْلفَه).
رواه الترمذى عن ابن عباس ﵄، انظر جامع الأحاديث حديث رقم (٢٥٣٣٢) ٧/ ٢٣١.

(٢) (حديث) (كان ﷺ إذا أراد الخروج على أصحابه ينظر فى المرآة...).
أثر عنه ﷺ أنه (كان إذا نظر وجهه فى المرآة قال: الحمد لله الذى سوّى خَلْقى فعدّله، وكرّم صورة وجهى فحَسّنها وجعلنى من المسلمين).
انظر ابن السُّنّى عن أنس ﵁، الحديث رقم (١٦٤٤٠) ٥/ ١٨٦ جامع الأحاديث.

(٣) حديث (إن الله تعالى أوحى إلىّ أن تواضَعوا حتى...).
قال السيوطى فى جامع الأحاديث: رواه الإمام مسلم فى صحيحه، وأبو داود فى السنن، وابن ماجه فى السنن، كلهم عن عيّاض بن حمار ﵁، الحديث رقم (٥٢٨٤) ورواه البخارى فى الأدب، وابن ماجه عن أنس ﵁ ببعض تغيير انظر الحديث (٥٢٨٥) ٢/ ٢٩٢ وعياض بن حمار المجاشعى التميمى، عداده من أهل البصرة، وفد على النبى ﷺ ومعه نجيبة يهديها إليه فقال له: أسلمت؟ قال: لا قال: إن الله نهانى أن أقبل زبد المشركين، فأسلم، فقبلها ﷺ منه، انظر المزّى: تهذيب الكمال: ١٤/ ٥٢٠ ترجمة رقم (٥١٩٠).

والتفاخر قد يكون بالمال، وقد يكون بالآباء، وقد يكون بالعبادة، وكله مذموم قبيح، على الخصوص بالنسبة إلى السالك، لأنه طلب لأن يتحقق بالعبودية، ولا ينازع فى الربوبية وهذه الأشياء كلها مناقضة للعبودية.

* **وأما الضحك:** فهو من الخصال المميتة للقلب، ولذلك لم يضحك ﷺ، لكنه كان يتبسم، قال جرير[١]: «ما رأيت النبى ﷺ منذ أسلمت إلا وقد تبسم»[٢] فالتبسم مقبول، محمود عند الله ورسوله وعند الناس، والضحك يميت القلب، فلا يناسب السالك.

* **وأما الأمل والحرص:** فهما من الخصال القبيحة، والاتصاف بهما من شأن المبعودين عن حضرة ذى الجلال.

وعن ابن عمر[٣] رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدى فقال: «كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعد نفسك من أهل القبور»[٤].

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: مرّ بنا رسول الله ﷺ وأنا وأمى نطين شيئًا

---

(١) (جرير) بن عبد الله بن جابر وقيل: جرير بن عبد الله بن مالك بن نصر من يعرب قحطان، البجلى، القسرى، صاحب النبى ﷺ روى عن النبى ﷺ وعن عمر بن الخطاب، ومعاوية ابن أبى سفيان، وروى عنه ابنه إبراهيم، وأنس بن مالك، وزيد بن وهب الجهنى أسلم حوالى سنة ١٠هـ لما جاء إلى النبى ﷺ وكان سيدًا فى قومه فقال النبى ﷺ (إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه) وألقى إلىّ كساءه وجّهه رسول الله ﷺ إلى ذى الخلصة بيت خثعم وهو صنم كان يُعبد فى الجاهلية قال: فخرّبناه وحرقناه وتركناه كالجمل الأجرب، مات رضي الله عنه سنة ٥١هـ.
انظر: المزى: تهذيب الكمال ٣/ ٣٥١ ترجمة رقم (٩٠٠).
ابن حجر: الإصابة ١/ ٢٤٢ ترجمة رقم (١١٣٢).

(٢) حديث (ما رأيت النبى ﷺ إلاّ وقد تبسم...).
رواه البخارى عن إسحاق بن شاهين، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، من حديث إسماعيل بن خالد، عن قيس بن أبى حازم، وأورده المزى أثناء ترجمة جرير والحديث بلفظ قال جرير: [ما حجبنى رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآنى ﷺ إلا ضحك].
انظر ترجمة جرير الإشارة السابقه مباشرة.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) حديث (كن فى الدُّنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل...).
أورده السيوطى فى جامع الأحاديث وقال: رواه البخارى بدون (وعد نفسك من أهل القبور) ورواه أحمد بن حنبل فى مسنده والترمذى فى سننه، وابن ماجه فى السنن أيضًا كلهم عن ابن عمر، انظر السيوطى حديث رقم (١٥٩٨٣) ٥/ ١١٥.

فقال: «ما هذا يا عبد الله؟» قلت: شيء نصلحه، فقال ﷺ: «الأمر أسرع من ذلك» يعني الموت أقرب منه[١].

* **وأما سوء الخلق:** فإنه من الطباع المذمومة عند الله والناس، وحسن الخلق محمود عند الله والناس، قال النبي ﷺ: «والذى نفسى بيده لا يدخل الجنه إلا حَسَن الخلق»[٢].

وكان ﷺ يقول فى دعائه: «اللهم حَسِّن خُلُقى وخَلْقى»[٣].

وعن معاذ بن جبل[٤] (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله حفَّ الإسلام بمكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال»[٥] ومن ذلك حسن المعاشرة، مع من أنت ملتزم بمعاشرته، وكرم الطبيعة، ولين الجانب، وبذل المعروف وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وعيادة المريض المسلم، بَرًّا كان أو فاجرًا.

وتوقير ذى الشيبة المسلم، وحسن الجوار لمن جاورت، مسلمًا كان أو كافرًا، والعفو عن المسيء، وكظم الغيظ، والإصلاح، والجود، والكرم، والسماح، والابتداء بالسلام، والعفو عن الناس.

---

(١) حديث (ما هذا يا عبد الله؟ الأمر أسرع من ذلك. . .).
رواه أبو داود فى السنن، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.
انظر السيوطى: جامع الأحاديث حديث رقم (٩٧١٦) ٣/ ٤٦٠.

(٢) حديث (والذى نفسى بيده لا يدخُل الجنة إلاّ حَسَنُ الخُلُق).
رواه الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول من أحاديث الرسول ﷺ بإسناد ضعيف، انظر الحافظ العراقى: المغنى ٢/ ٣٥٣.

(٣) حديث (اللهم حسّن خَلْقى وخُلُقى. . .).
رواه أحمد بن حنبل فى مسنده، عن السيدة عائشة رضي الله عنها.
حديث صحيح أورده الإمام (صلاح الدين التجانى) فى (جوامع الكلم من أحاديث سيد العرب والعجم) الحديث رقم (٤٦٣) ص ٦٧.
وعند العجلونى بلفظ [اللهم كما حسنت خلقى فحسنت خُلُقى] وقال: رواه أحمد بن حنبل فى مسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه الحديث رقم (٥٦٦) ١/ ١٨٩، وانظر المغنى عن حمل الأسفار للحافظ العراقى ٣/ ٤٩.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) حديث (إن الله حفّ الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال).
قال الحافظ العراقى فى المغنى أثناء تخريجه لهذا الحديث لم أقف له على أصل.
انظر ٢/ ٣٥٣ المغنى هامش الإحياء.

وأذهب الإسلام اللهو، والباطل، والغنى والمعازف كلها، وكل ذى وتر، والبخل والشح، والطيرة والكذب، والغيبه والنميمة والجفاء، والمكر والخديعة، وسوء ذات البين وقطيعة الأرحام، وسوء الخلق والتكبر والاحتيال، والحسد والحقد، والمزاح والفحش، والظلم والبغى، والعداوة أو كما قال ﷺ، ثم قال أنس رضي الله عنه: «لم يدع ﷺ نصيحة جميلة إلا دعانا إليها، وأمرنا بها، ولم يدع غشا أو عيبًا، إلا وحذرنا منه ونهانا عنه»(١) ويغنى عن هذا كله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾(٢).

واعلم أن ما ذكرناه من الأوصاف المذمومة هو بعض القبائح التى ينطوى عليها الإنسان، وأما ذكر جميعها فلا يمكن، لكن من سلك الطريق على ما سنُبيِّنُهُ فى الأبواب الآتية خَلُص من جميع الرذائل والآفات الباطنة والظاهرة، لأن السالك الصادق فى سلوكه يقطعها من أصلها، فلا يبقى لها أثر أصلاً، ويستعين بالعلاجات التى نذكرها إن شاء الله تعالى.

وأمَّا من أراد أن يخلص منها بغير سلوك الطريق المذكور، فقد طلب المحال، ولذلك ترى الأبرار، وإن سعوا فى الخلاص من صفة من الصفات، وتيسر لهم ذلك، وقعوا فى صفة أخرى، وخصلة أقبح من الأولى، وذلك أنهم لم يسلكوا طريق المقربين، المنجى من جميع الآفات، فهم على خطر وإن أخلصوا، لقوله ﷺ: «المخلصون على خطر عظيم»(٣).

إذا عرفت هذا وعرفت فائدة سلوك طريق المقربين، وهذا الذى ذُكر أولى فوائده، وأمّا الفائدة المقصودة بالذات من هذا الطريق فهى: الوصال إلى منازل القرب من حضرات الرب والتجليات الأسمائية والصفاتية، والخلافة الكبرى، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

---

(١) حديث (لم يَدَع رسول الله ﷺ نصيحة إلا . . .).

أورده السيوطى فى جامع الأحاديث: [ليس من عمل يُقَرِّبُ إلى الجنة إلاّ قد أمرتكم به، ولا عمل يُقرّب إلى النار إلاّ وقد نهيتكم عنه، فلا يستبطئن أحدكم رزقه. . .].

رواه الحاكم فى المستدرك عن ابن مسعود رضي الله عنه الحديث رقم (١٨٢٩١) ٥/ ٥٠١.

(٢) الآية رقم (٩٠) من سورة النحل.

(٣) حديث (المخلصون على خطر عظيم).

لم أقف عليه، انظر أحاديث الإخلاص وهو جزء منها.

الباب الثالث:

فى بيان الحجب[1] التى بين العبد وربه وبيان ما يحتاج إليه السالك لرفعها عن اللطيفة الإنسانية، من التوبة والإنابة والتجرد عن الأسباب وغير ذلك، مما لا بد للروح منه

---

(١) (الحُجُب) جمعُ حجاب، والحجاب فى اللغة: الستر، وحَجَبَ الشىء يحجُبه حجبًا وحجابًا، والجمع: حُجُب لا غير وفى القرآن الكريم: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ﴾ (٤٦ الأعراف) وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ (٥٣ الأحزاب) وفى الآيتين لفظ الحجاب: الساتر فيما بين شيئين ظاهرين، وكذلك الحجاب الظاهر ,قد يأتى فى القرآن الحجاب المعنوى، كما فى قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ (آية ٤٥ الإسراء) أى: صيانة منهم ووقاية، وهيبة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ (آية ٥١ الشورى) والحجاب هنا أيضًا معنوى.

وفى المصطلح الصوفى، الحجاب: الذى يحتجب به الإنسان عن قرب الله، إمَّا نورانى وهو للروح، وإمَّا ظلمانى وهو للجسد.

والمدركات الباطنة من النفس، والعقل، والروح، والسِّر، والخفى كل واحد له حجاب.

* **فحجاب النفس:** الشهوات، واللذّات، واللاهويَّة.
* **وحجاب القلب:** الملاحظة فى غير الحق.
* **وحجاب العقل:** وقوفه مع المعانى المعقولة فقط.

فكُلُّ من يغترُّ بالشهوات واللذّات يبتعد عن معرفة النفس، وكل من يبتعد عن معرفة النفس يبتعد عن معرفة الله، وكلُّ من راقب غير الحق وابتعد عن الحق فلا جرم أن يحرم من الوصول إلى القلب.

=

= وكل من كان له وقوف على المعـانى المعقولة فقط ابتعد عن كمال الـعقل، لأن كمال العقل هو: أن يكون النظر فى ذات الله سبـحانه وصفاته، لا أن يكون الإنسـان مطلعًا على المعانى المـعقولة مثل الفلاسـفة، فقد قالوا: إن عين العـقل تفتح للسالك بقدر رفع الحجاب وصـفاء العقل الأول، فتظهر مـعانى المعقولات ويـطلع على أسرار المعقولات، ويسـمون هذا الكشف النظرى، وهذا لا ينبغى الاعتماد عليه.

* **وحجاب السِّر:** الوقوف مع الأسرار، فإذا انكشف للسـالك أسرار الخلق وحكمة وجود كل شىء يسـمون هذا الكشـف الإلهى، فإذا ظل فى هذا أيـضًا وظن أن هذا هو المـقـصد الأصلى فـإن الحجاب يقطع طريقه، فيجب أن يخطو خطوة إلى الأمام.
* **وحجاب الروح:** المكاشفـة، ويسمون هذا الكشف الروحـانى، وفى هذا المقام يرتفع حـجاب المكان والزمان والجهة، ويصـير الماضى والمستقبل زمنا واحدًا وتظهـر أكثر الكرامات فى هذا المقام، ويجب على السالك ـ فى هذا المقام ـ ألاّ يأخذه العُجْب، لأنها جميعا حجاب الروح.
* **وحجاب الخفى:** العظمة والكبرياء، وهذا المقام مقام الكشـف الصفاتى فينبغى التقدم خطوة إلى الأمام أيضـًـا حتى يصل إلى مقام تـجلى الذات، والنور الحقيـقى، فإن الواصل هو من ليس له التفات إلى هذه الأشياء.

وقيل: **الحجاب الظلمانى:** هو مثل البطون، والقهر، والجلال، وجملة الصفات الذميمة لأخلاق وشهوات النفس.

والحجاب النورانى: يعنى ظهور اللطف والجمال، وجميع الصفات الحميدة.

ويقال: الحجاب: الرَّان.

والمراد به: انطباع الصور الكونيـة فى القلب على سبيل الاستيعاب له، والرسـوخ فيه، بحيث لا يبقى مع ذلك مطمع لتجلى الحقائق فيه، لعدم نورانيته، وتراكم ظلم الحجب المختلفة عليه، فلهذا يسمى عموم حصول صور الأكوان فى القلب ورسوخها فيه حجابًا، ورينْا.

وقد يُطلق الحجاب، ويراد به رؤية الأغيار بأى صفة كان.

انظر إلى حديث النبى ﷺ: «إن لله سـبعين ألف حجـاب من نور وظلمة لو كشفـها لأحرقت سبُحاتُ وَجهه ما امتد إليه بصره من خلقه».

انظر: التهانوى: كشاف اصطلاحات الفنون مادة حجب.

ابن منظور: لسان العرب مادة (حجب).

ابن فارس: معجم مقاييس اللغة نفس المادة.

القاشانى: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية (حجاب) ١/ ٤٠٥.

واعلم أن الروح الأعظم[١]، وهو الروح الإنسانى، الذى من أمر ربى، سر عظيم، ولطيفة ربانية، لا يعلم كنهها إلا الله تعالى، وله فى العالم الكبير أسماء ومظاهر، وله فى العالم الصغير أعنى: عالم الإنسان، أسماء ومظاهر أيضًا.

* فأسماؤه ومظاهره فى العالم الكبير: العقل الأول[٢]،

---

(١) (الروح الأعظم) يعنون به العقل الأول، والقلم الأعلى، وذلك لأن العقل الأول له ثلاثة وجوه معنوية كلية:

ـ فالوجه الأول: أخذه الوجود والعلم مجملاً بلا واسطة، وإدراكه وضبطه ما يصل إليه من حضرة غيب موجده، فباعتبار هذا الوجه سُمّى بالعقل الأول، لأنه أول من عقل عن ربه، وأول قابل لفيض وجوده.

ـ والوجه الثانى: هو تفصيله لما أخذه مجملاً فى اللوح المحفوظ بحكم: (اكتب علمى فى خلقى، واكتب ما هو كائن...) الحديث، ويسمى هذا الوجه بالقلم الأعلى، الذى به يحصل نقش العلوم فى ألواح الذات القابلة، قال تعالى: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ (آية ٤ العلق) وبهذا الوجه هو نفس سيدنا محمد ﷺ.

ـ الوجه الثالث: كونه حاملاً حكم التجلى الأول، ومنسوبًا إلى مظهريته فى نفسه لغلبة حكم الوحدة والبساطة عليه، وبهذا الاعتبار هو حقيقة الروح الأعظم المحمدى، ونوره لكونه جامعًا للتجليات الإلهية جميعها ومنشأ لجميع أرواح الكائنات.

وقال الإمام عبد الكريم الجيلى: اعلم أن العقل الأول والقلم الأعلى نور واحد فنسبته إلى العبد يسمى العقل الأول، ونسبته إلى الحق يسمى القلم الأعلى ثم إن العقل الأول المنسوب إلى سيدنا محمد ﷺ خلق الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام منه فى الأزل، فكان سيدنا محمد ﷺ أبًا لجبريل، وأصلاً لجميع العالم، فاعلم إن كنت ممّن يعلم فديت، من يعقل فديت، من يفهم، ولهذا وقف عنه جبريل عليه السلام فى إسرائه ﷺ وتقدم وحده، وسمى العقل الأول بالروح الأمين لأنه خزانة علم الله وأمينه، ويسمى بهذا الاسم جبريل من باب تسمية الفرع باسم أصله.

انظر: القاشانى: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية ١/ ٤٩٨.

عبد الكريم الجيلى: الإنسان الكامل ٢/ ٢٩.

(٢) (العقل الأول) هو: محل الشكل العلمى الإلهى فى الوجود، لأنه القلم الأعلى ثم ينزل منه العلم إلى اللوح المحفوظ، فهو إجمال اللوح، واللوح تفصيله، بل هو تفصيل علم الإجمال الإلهى، واللوح هو محل تعيّنه وتنزّله، ثم فى العقل الأول من الأسرار الإلهية ما لا يسعه اللوح، كما أن فى العلم الإلهى ما لا يكون العقل الأول محلاً له.

فالعلم الإلهى: هو أُمّ الكتاب. =

والقلم الأعلى(١)، واللوح المحفوظ(٢)،

= والعقل الأول: هو الإمام المبين.
واللوح المحفوظ: هو الكتاب المبين.
فاللوح مأموم بالقلم تابع له، والقلم هو العقل الأول حاكم على اللوح مفصل للقضايا المجملة فى دواة العلم الإلهى المعبّر عنها بالنون.
* والفرق بين العقل الأول، والعقل الكُلّى، وعقل المعاش أن:
- العقل الأول: هو نور علم إلهى ظهر فى أول تنزلاته التعينية الخلقية.
- والعقل الكلى: هو المدركة النورية التى ظهر صور العلوم المودعة فى العقل الأول وهو شمول أفراد الجنس للعقل من كل ذى عاقلة.
- وعقل المعاش: هو النور الموزون بالقانون الفكرى، فهو لا يدرك إلاّ بآلة الفكر، ثم إدراكه بوجه من وجوه العقل الكلى فقط، ولا طريق له إلى العقل الأول، وليس له إلاّ معيار الفكر فقط، وليست له إلاّ كفّة واحدة وهى العادة، وليس له إلاّ طرف واحد وهو المعلوم، وليس له إلاّ شوكة واحدة وهى الطبيعة.
بخلاف العقل الكلى فإن له كفتين إحداهما: الحكمة، والثانية: القدرة.
وله طرفان: أحدهما: الاقتضاءات الإلهية، والثانى: القوابل الطبيعية وله شوكتان: أحدهما: الإرادة الإلهية، والثانية المقتضيات الخلقية، وله معايير شتى، ومن جمله معاييره أن لا معيار.
انظر: عبد الكريم الجيلى: الإنسان الكامل ٢/ ٢٧.

(١) (القلم الأعلى) هو أول تعينات الحق فى المظاهر الخلقية على التميز، وقوله: على التميز، لأن الخلق له تعين إبهامى أولاً فى العلم الإلهى، ثم له وجود هو مجمل حكمى فى العرش، ثم له ظهور تفصيلى فى الكرسى، ثم له ظهور على التميز فى القلم الأعلى، لأن ظهوره فى تلك المجالى الأوَل جميعها غيب، ووجوده فى القلم وجود عينى مميز عن الحق.
والقلم الأعلى، أنموذج ينتقش ما يقتضيه فى اللوح المحفوظ.
كالعقل فإنه أنموذج ينتقش ما يقتضيه في النفس.
وانظر ما قيل فى الهوامش السابقة الروح الأعظم، والعقل الأول.
انظر: عبد الكريم الجبلى: الإنسان الكامل ٢/ ٨.

(٢) (اللوح المحفوظ) نور إلهى حقّى متجلّ فى مشهد خلقى، انطبعت الموجودات فيه انطباعًا أصليًا، لأن القلم الأعلى جرى فى اللوح المحفوظ بإيجادها، ثم اعلم أن علم اللوح المحفوظ نبذة من علم الله تعالى، أجراه على قانون الحكمة الإلهية، حسب ما اقتضته حقائق الموجودات الخلقية، ولله علم وراء ذلك هو حسب ما تقتضيه الحقائق الحقية، برز على نمط اختراع القدرة فى الوجود لا تكون مثبتة فى اللوح المحفوظ، بل قد تظهر فيه عند ظهورها فى العالم العينى وقد لا تظهر فيه بعد ظهورها أيضًا.
وجميع ما فى اللوح المحفوظ هو علم مبتدأ الوجود الحسّى إلى يوم القيامة وما فيه من علم الجنة والنار وأهلهما على شىء من التفصيل. =

والحقيقة المحمدية[(١)]، والروح المحمدى[(٢)]،

= ثم اعلم أن المقتضى به المقدّر فى اللوح على نوعين:

ـ مُقدَّر لا يمكن التغيير فيه ولا التبديل. ـ ومقدَّر يمكن التغيير فيه والتبديل.

فالذى لا يمكن التغيير فيه ولا التبديل هى الأمور التى اقتضتها الصفات الإلهية فى العالم وأمّا الأمور التى يمكن فيها التغيير فهى الأشياء التى اقتضتها قوابل العالم على قانون الحكمة المعتادة، فقد يجريها الحق ـ سبحانه وتعالى ـ على ذلك الترتيب، فيقع المقضىّ به فى اللوح المحفوظ.

انظر: عبد الكريم الجيلى: الإنسان الكامل ٢/ ٩.

وانظر الروح المضاف: القاشانى: معجم اصطلاحات الصوفية ٢/ ٥٠١ بتحقيقنا.

(١) (الحقيقة المحمدية) هى صورة لحقيقة الحقائق، لأن الحقيقة المحمدية ثبوتها فى حاق الوسطية والبرزخية والعدالة: بحيث لم يغلب عليه ﷺ حكم اسم أو صفة أصلا، فكانت هذه البرزخية الوسطية هى عين النور الأحمدى المشار إليه بقوله ﷺ: «أول ما خلق الله نورى».

أى: قدّر على أصل الوضع اللغوى، فهو ﷺ أول ما خلق الله تعالى، وبهذا الاعتبار سُمى ﷺ بنور الأنوار، وبأبى الأرواح، ثم إنه ﷺ آخر كل كامل خلق الله، إذ لا يخلق الله بعده مثله فى الكمال، كما قال تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (آية ٤٠ الأحزاب) والإشارة منه ﷺ إلى أوليته بمعنى نوره، وآخريته بمعنى ظهوره وهو قوله ﷺ: (نحن الأولون الآخرون) وهذه الحقيقة الكلية هى أصل جميع الأسماء الإلهية المضاف إليها الربوبية، ومعنى كون هذه الحقيقة هى الحقيقة المحمدية أى: أن الصورة العنصرية المحمدية صورة لمعنى، ولحقيقة ذلك المعنى، وتلك الحقيقة هى حقيقة الحقائق.

انظر ما قيل فى الحقيقة المحمدية فى كتاب عبد الكريم الجيلى:

ـ الكمالات الإلهية فى الصفات المحمدية، فهو تفصيل هذه الحقيقة.

ـ الإنسان الكامل ٢/ ٤٦، ٧١. ـ الكهف والرقيم فى تفسير بسم الله الرحمن الرحيم.

وللقاشانى انظره بتحقيقنا:

ـ معجم المصطلحات والإشارات الصوفية ٢/ ٤٢٦.

ـ رشح الزلال فى شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال ص ١٢٩.

ـ اصطلاحات الصوفية ص ٦٠ بتحقيق أ. د محمد كمال جعفر.

(٢) (الروح المحمدى) عبارة عن جهة وحدة القلم الأعلى المختصة بالمظهرية الروحانية المنسوبة إلى التجلى الأول لغلبة حكم الإجمال والوحدة عليها، وكان الروح المحمدى هو مظهر هذا الروح لأجل كمال طهارة مرآة قابلية قلبه التقى النّقى ﷺ ومضاهاته فى التبعية لحضرة الحق تعالى، طهارة وتبعية يقضيان ببقاء ما قَبِلَهُ قَلْبُه الطاهر من حقائق اسم الحق اسم الحق الظاهر فيه، فصار جميع ما يظهر فيه منَ الحقاق الكونية الروحانية والعوالم القدسية العقلية تبعًا لظهورات الحقائق والأسماء الإلهية، فظهر الكل فيه كذلك، أى: على ما هو عليه من غير تبديل ولا تغيير بوجه، فكان ظهور أسماء الحق وحقيقة الروح إنما هو مجرد تعيّن غير قادح فى النزاهة والطهارة الثابتة للروح الأول. انظر: القاشانى: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية ١/ ٥٠١ بتحقيقنا.

والنور، والنفس الكلية[١] التى قال تبارك وتعالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾[٢].

* وأسماؤه ومظاهره[٣] فى العالم الصغير، أعنى: الإنسان الأخفى والخفى، وسر السر، والسر والروح، والقلب والنفس الناطقة[٤]، واللطيفة الإنسانية.

وهو: أعنى الروح الأعظم، أول موجود أبدعه الله تعالى وأوجده، وهو الخليفة الأكبر، والسر الأعظم، وأول تنزلاته من المقام الأخفى الخفى، وآخرها القلب فافهم.

واعلم أن القلب هو بعينه الروح الأعظم، والخليفة الأكبر، المتنزل إلى هذه المرتبة وهو المدبر للجسم الإنسانى المتعلق به تعلق العاشق بالمعشوق، وذلك بواسطة الروح الحيوانى، أعنى: النفس الشهوانية المذكورة فى المقدمة، لأن الروح المذكورة فى غاية اللطافة والجسم فى غاية الكثافة.

والروح الحيوانى بين اللطافة والكثافة، فلذلك صلح أن يكون واسطة بين الروح الأعظم بعد تنزله، وبين الجسم، ولتعانق الروح مع النفس الشهوانية سمى قلبًا، وكان ذا جهتين، جهة لعالم الحس والشهادة، وجهة لعالم القدس والغَيْب، فصارت النفس الشهوانية لكثافتها كالشيء الكثيف الحسى، الذى يُطلى به وجه الزجاجة الواحدة، لترى فيها الصورة فى وجهها الآخر.

فلذلك كان القلب أشرف الأشياء وأعظمها، ومحل التجليات وخزينة أسرار الله تعالى، ومحل انتقاش الحقائق الحقية والخلقية، وقد وصفه الله تعالى بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾[٥] إذ ليس المراد من القلب فى الآية القطعة اللحم، التى هى فى جوف الإنسان، لأن تلك يشترك فيها كل الحيوانات.

---

(١) (النفس الكلّية) يُسَمونها: الزُمرّدة، تسمية إشارية.
ويقول القاشانى: فلما تضاعفت فيها الإمكانيات من حيث العقل، الذى هو سبب وجودها من حيثية نفسها أيضًا سُميت باسم جوهر، ووُصِف باللون الممتزج بين الصفرة والسواد.
وانظر ما قيل فى الهوامش السابقة: الروح المحمدى، الحقيقة المحمدية، اللوح المحفوظ، القلم الأعلى، العقل الأول، وانظر أيضًا: القاشانى: رشح الزلال... ص ١٣٠، بتحقيقنا، اصطلاحات الصوفية بتحقيق د/ جعفر ص ٥٥.

(٢) الآية رقم (١) من سورة النساء. (٣) أى: الروح الأعظم.

(٤) انظر الكلام عن ذلك أثناء الحديث عن مصطلح (السر) فى مقدمة هذا الكتاب وتفصيل خاتم الأولياء سيدى أحمد التجانى ﷺ عن ذلك.

(٥) الآية رقم (٣٧) من سورة ق.

واعلم أن الذى قال الله تعالى عنه له قلب هو: المرشد الكامل، وقوله: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[١] يعنى: المريد المسترشد الطالب للكمال، لأن هذا ليس ميسراً لكل إنسان، لأنه إن توجه إلى عالم الشهادة، بحيث ينسى عالم القدس والتنزيه، حُجب عنه ما فيه من الخواص العلوية، وصار حيوانًا، وإن توجه إلى عالم الغيب بحيث ينسى عالم الشهادة والتشبيه حجب عنه أيضًا ما عرض له من الخواص السفلية، وصار ملكًا وإن توجه إلى أحد العالمين، ولم يَذْهَل عن الآخر، كان إنسانًا كاملاً.

وهذا مقام عال، لا يتيسر لأحد إلا لمن سلك طريق المقربين، بعد مجاهدة النفس الجهاد الأكبر، ومتى كان القلب متوجهًا إلى الجسد بالتنعمات واللذات الدنيوية، والشهوات النفسانية، كان محجوبًا بسبعين حجاب، ويسمى القلب فى هذه المرتبة بالنفس الأمّارة، لأنه حينئذ يتصف بالغضب المذموم، وبالحقد والحسد والكبر، والتعاظم، والعجب، والغرور، وسوء الخلق وغير ذلك من الأوصاف المذمومة المذكورة فى الباب الثانى، المبعدة له عن حضرة ربه.

لا تستغرب هذا الأمر، لأن اتباع الشهوات يجعل العزيز ذليلاً، وروى أن امرأة العزيز قالت ليوسف الصديق عليه الصلاة والسلام: يا يوسف إن الحرص والشهوة صيّر الملوك عبيدًا، وإن الصبر والتقوى صيّر العبيد ملوكًا، فقال لها: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢].

وذلك لأن القلب حقه أن يكون أميرًا على البدن، والبدن مطيعًا لأوامره ونواهيه، فإذا غلبت الشهوات عليه صار الأمير مأمورًا، وانعكس الأمر، فيصير الملك أسيرًا ومسخرًا فى يد كلب أو يد عدو قاهر.

ولهذا كان الرجل إذا أطاع داعية الشَّرَه والشَّهوة، يرى نفسه فى النوم، ساجدًا بين يدى خنزير، أو حمار، وإن أطاع الغضب يرى نفسه ساجدًا بين يدى كلب.

واعلم أن القلب إن نسى نفسه فى هذه المرتبة الملعونة، وطال وقوفه فيها كان ذلك سببًا فى إبطال خاصيته، وهى القدرة على التوجه إلى عالم الغيب، وإبطال خاصيته هو المعبر عنه بسواد القلب، وبالطبع وبالدين، لأن القلب كالمرآة فمتى كانت صافية عن الصدأ والكدر، يشاهد الإنسان فيها الأشياء وإذا غلب عليها الصدأ، ولم يكن لها ما

(١) الآية السابقة.

(٢) الآية رقم (٩٠) من سورة يوسف.

يصقلها، ويدفع الصدأ عنها فتمكن منها الصدأ وغاص فى جوهرها، وصارت بحيث لا يقدر الأستاذ على إزالته.

وقد أشار ﷺ إلى هذه بقوله: «إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد» قيل: وما جلاؤها يا رسول الله؟ فقال: «ذكر الموت، وتلاوة القرآن»(١).

روى الغزالى(٢) فى مختصر الإحياء(٣) عن النبى ﷺ أنه قال: «القلوب أربعة، قلب أجرد، فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن، وقلب أسود منكوس، فذلك قلب الكافر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، فذلك قلب المنافق، وقلب المصفح فيه إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه، أى فى القلب المصفح مثل البقلة يمدها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد، فأى المادتين غلبت عليه، حكم له بها»(٤).

فالمراد من القلب الأول: قلب المؤمن الكامل العارف.

---

(١) حديث: (إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد...).
رواه الحكيم فى نوادر الأصول، وابن عدى فى الكامل عن أنس ﷺ، وأورده بلفظ (إن للقلوب صدأ كصدإ الحديد وجلاؤها الاستغفار) الحديث رقم (٦١٣٢) ٢/ ٤٥٤.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) (مختصر الإحياء) لم يختصر الغزالى كتابه، وإنما حلّ بعض مشكلات كتاب الإحياء لما كثر فيه الأخذ والردّ وسماه (الإملاء على مشكل الإحياء) كما ذكر، وقيل سماه أيضًا: (الأجوبة المسْكتة عن الأسئلة المبهتة) ولكتاب: إحياء علوم الدين مختصرات كثيرة منها مختصر (لباب الإحياء) لأخيه أحمد بن محمد الغزالى المتوفى سنة ٥٢٠ هـ وربما كان هذا الكتاب هو الذى يقصده المؤلف.
انظر: حاجى خليفة: كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ص ٢٤.

(٤) حديث: (القلوب أربعة: قلب أجرد، فيه سراج يُزْهر...).
الحديث أورده السيوطى فى جامع الأحاديث ولكن بهذا الترتيب وهو أصح: (القلوبُ أرْبَعَةٌ): فقلبٌ أجْرَدٌ فيه مثلُ السراج يُـزْهر، وقلبٌ أغْلَفُ مَرْبوطٌ على غلافه، وقلبٌ منكوسٌ، وقَلْبٌ مصفَّحٌ، فأمَّا القلبُ الأجرد: فقلبُ المؤمن سِرَاجُهُ فيه نُورُهُ، وأما القلبَ الأغلف: فقلب الكافر، وأمَّا القَلْبُ المنكوس: فَقَلْبُ المنافق عَرَفَ ثُمَّ انكر، وأمَّا القلب المصَفَّح: فقلْبٌ فيه إيمان ونفاق، وَمَثَلُ الإيمان فيه كَمَثَلِ البقلة يمدُّها الماءُ الطّيّب، وَمَثَلُ النفاق فيه كمثل القرحة يَمدُّها القيح والدَّم، فأيُّ المدَّتَيْن غَلَبت على الأخرى غَلَبت عليه).
رواه أحمد بن حنبل فى مسنده، والطبرانى فى الأوسط، عن أبى سعيد ﷺ ورواه ابن أبى شيبة فى المسند عن حذيفة ﷺ موقوفًا، ابن أبى حاتم عن سليمان موقوفًا.
انظر جامع الأحاديث حديث رقم (١٥٥٣٠) ٥/ ٢٤.

والمراد من القلب الرابع: قلب السالك حال سلوكه، فإن تتبع الشهوات ومال إلى المخالفات هلك، وهى فى سجِّين الطبيعة ومتى كان القلب متوجهًا إلى عالمه، عالم الغيب سعى على كشف الحجب المذكورة شيئًا فشيئًا، فيذهب عنه الكدورات الحاصلة، من المعاصى وكثرة الشهوات، واستعد للتجليات، وانتقشت فيه حقائق الأشياء.

وكلما زالت عنه الشهوات قرب من مقامه الأول المتنزل منه، وهذا معنى كشف الحجب، فإن لم يبق فيه شىء من الشهوات وصل إلى مطلوبه، لأنه لم يبق بينه وبين الله حجاب.

روى الغزالى فى كتابه المذكور، أنه قيل لرسول الله ﷺ، أين الله فى الأرض؟ قال: «فى قلوب عباده المؤمنين» وأنه قال تعالى: «لم يسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن، اللين الورع»(١).

بمعنى أنه لا يراه إلا قلوب المؤمنين، لا بمعنى أنه تعالى يحل فى قلوبهم، لأنه لا محل، ولكن قلب المؤمن لما صقل، حتى صار كالمرأة، فكما أن المرآة يرى فيها صورة المحسوسات التى فى عالم الملك، كذلك القلب، صار يرى فيه ما فى عالم الغيب، وهنا هو العلم المفسر بحصول صورة الشىء فى الذهن، لأنه المراد من الذهن النفس الناطقة، وهى القلب كما عرفت.

---

(١) حديث: (لم يسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى...).

قال الحافظ السخاوى: ذكره الغزالى فى الإحياء ٣/ ١٥ وقال مخرجه الحافظ العراقى: لم أر له أصلاً. وكذلك قال ابن تيمية، وهو مذكور فى الإسرائيليات، وليس له إسناد معروف.

وأخرجه «أحمد بن زهد» عن «وهب بن منبه» قال: إن الله فتح السموات لحزقيل حتى نظر إلى العرش، فقال حزقيل: سبحانك ما أعظمك يا رب، فقال الله تعالى: «إن السموات والعرش صعقن عن أن يسعننى، وأظنها (ضعفن) ووسعنى قلب عبدى المؤمن الوادع الليّن، ورأيت بخط الزركشى (الكلام على لسان مخرج الحديث) حديثًا باطلاً وله شاهد عند الطبرانى عن أبى عتبة الخولانى رفعه: «إن لله آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليها ألينها وأرقّها» وفى سنده «بقية بن الوليد» وهو مدلّس.

انظر: السخاوى: المقاصد الحسنة، د/ سعاد الحكيم: المعجم الصوفى ص ١٢٦٥ رقم ٣٠، القاشانى: رشح الزلال هامش ص ٧١ بتحقيقنا، وانظر السيوطى: جامع الأحاديث: حديث رقم (٦٠٩٠) ٢/ ٤٤٤ وقال: رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى عنبة ﷺ وقال فى الجامع الصغير: حديث ضعيف ١/ ٩٥.

وقال عمر(١) رضي الله عنه: «رأى قلبى ربى» فمن أراد الوصول إلى هذه السعادات والترقى إلى أعلى الدرجات فليدخل أولاً من باب الأبواب وهو التوبة(٢).

وإنما سميت التوبة بباب الأبواب، لأنها أول باب يدخل منه العبد حضرات القرب من جنات الرب.

اعلم أن التوبة واجبة، لقوله عز وجل: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾(٣)، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾(٤) وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾(٥).

وقد أجمعت الآية على وجوب التوبة، وقد قال صلى الله عليه وسلم ترغيبًا فيها: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»(٦) و «التوبة تجب ما قبلها»(٧).

وقال: «التائب حبيب الله»(٨) وقال صلى الله عليه وسلم: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه،

---

(١) (عمر بن الخطاب) بن زيد بن نفيل القرشى العدوى، أبو حفص رضي الله عنه الصحابى الكبير، وأحد وزراء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد العمرين اللذين كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو ربه أن يعز الإسلام بهما، وأول من لُقّب بأمير المؤمنين، وهو ثانى الخلفاء الراشدين المهديين قال عكرمة عنه (لم يزل الإسلام فى اختفاء حتى أسلم عمر رضي الله عنه) أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وبويع بالخلافة سنة ١٣ هـ يوم وفاة أبى بكر بعهد منه رضي الله عنه فى أيامه تم فتح الشام والعراق ومصر والقدس والمدائن والجزيرة، ومناقبه أشهر من أن تُذكر وأكثر من أن تحصى، قتله (أبو لؤلؤة) المجوسى غلام المغيرة بن شعبة ـ غيلة ـ أثناء صلاة الصبح وعاش بعد الطعنة ثلاث ليال، وهو صاحب فكرة جماعة أهل الحل والعقد، قتل رضي الله عنه سنة ٢٣ هـ وعمره (٦٣ سنة).
انظر: ابن حجر: الإصابة الترجمة رقم (٥٧٣٨) ابن الجوزى عمر بن الخطاب، ومحمد حسين هيكل: الفاروق عمر، العقاد: عبقرية عُمر، ابن قنفد القسنطينى: كتاب الوفيات ص ٢٦.

(٢) انظر الباب الأول من كتاب (حدائق الحقائق) لأبى بكر الرازى بتحقيقنا ففيه تفصيل لأمر التوبة.

(٣) الآية رقم (٣١) من سورة النور. (٤) الآية رقم (٨) من سورة التحريم.

(٥) الآية رقم (٢٢٢) من سورة البقرة.

(٦) حديث (التائب من الذنب كمن لا ذنب له)
رواه ابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه، والحكيم عن أبى سعيد رضي الله عنه.
انظر السيوطى حديث رقم (١٠٦٦٧) ٣/ ٦٥١.

(٧) حديث (التوبة تجب ما قبلها) أورده المناوى فى كنوز الحقائق بلفظ (التوبة تهدم الحوبة) وقال: رواه الثعلبى على هامش الجامع الصغير ١/ ١١٢.

(٨) حديث: (التائب حبيب الله).
قال الحافظ العراقى: وشطره الثانى: (والتائب من الذنب كمن لا ذنب له) ثم تحدث عن الشطر الثانى ولم يرد الشطر الأول فى التخريج.
انظر تخريج الحديث قبل السابق، وانظر المغنى ٤/ ٥.

من أحدكم كانت راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس من راحلته، فبينما هو كذلك، إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة فرحه: اللهم أنت عبدى وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»(١).

وقال ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»(٢) والآيات والأحاديث فى حق التوبة كثيرة، لا تكاد تنحصر.

واعلم أن التوبة واجبة على الفور، وترك المعاصى واجب على الدوام، وطاعة الله واجبة على الدوام، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾(٣).

وقد نقل السنوسى(٤) الإجماع، على أن التوبة واجبة على الفور، فإذا كانت التوبة واجبة على الفور، فحينئذ يلزم من تأخيرها تضاعف الذنوب، على من لم يتب.

---

(١) حديث: (لله أشد فرحا بتوبة عبده...).

الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس ﷺ وزاد أنس (اللهم أنت عبدى وأنا ربك) أخطأ من شدة الفرح ورواه مسلم بهذه الزيادة من حديث النعمان بن بشير ومن حديث أبى هريرة ﷺ مختصراً.

انظر المغنى عن حمل الأسفار ٤/ ٥.

(٢) حديث: (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر..).

رواه أحمد بن حنبل فى مسنده، والترمذى فى السنن، وابن حبان فى صحيحه، وابن ماجه فى سننه، والحاكم فى المستدرك، والبيهقى فى الشعب، عن ابن عمر ﷺ الحديث رقم (٥٦٣٦) من جامع الأحاديث ٢/ ٣٥٤.

وانظر: العجلونى: كشف الخفاء ٢/ ٢٤٧ حديث رقم (٧٥٥).

(٣) الآية رقم (٣١) من سورة النور.

(٤) (السنوسى) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر الشريف الحسنى السنوسى، الإمام، التلمسانى المتوفى سنة ٨٩٥ هـ وقيل سنة ٨٩٢ هـ وهو العالم الصالح الزاهد أثنى عليه علماء عصره، وما بعده ترك المصنفات الهامة الكثيرة منها: عقيدة أهل التوحيد الكبرى وعقيدة أهل التوحيد الصغرى المعروفة بأم البراهين وكل واحدة منها عليها شروح كثيرة، وشرح هو لامية الجزائرى وسماه العقد الفريد فى حل مشكلات التوحيد، وشرح آخر لكفاية المريد سمّاه: المنهج السديد فى شرح كفاية المريد.

جمع تلميذه الملالى فى أحواله وسيره وفوائده تأليفًا كبيرًا سماه (المواهب القدسية فى المناقب السنوسية).

انظر ترجمته فى: محمد الحفناوى: تعريف الخلف ١/ ١٧٩، بروكلمان: تاريخ الأدب العربى ٧/ ٤٦٩، التنبكتى: نيل الابتهاج، عبد الحى الكتانى: فهرس الفهارس ٢/ ٣٤٣، البغدادى: هدية العارفين ٢/ ٢١٦، كحالة: معجم المؤلفين ١٢/ ١٣٢.

وليس هذا كتضاعف الحسنات، بل لأن ترك التوبة ذنب فإذا لم يتب صار صاحب ذنبين:

الأول: ذنب الفعل القبيح.

والثانى: الذنب الحاصل من ترك التوبة، وهذان الذنبان أيضًا، تجب منهما التوبة، فإن لم يتب منهما على الفور صار صاحب أربعة.

وعلى هذا القياس، فهذا تضاعف، لكنه ليس كتضاعف الحسنات، لأن السيئات لا تتضاعف تضاعف الحسنات لقوله تعالى: ﴿ **مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا** ﴾[(١)].

وإذا نظرت بعين الإنصاف والشفقة على نفسك رأيت احتياجك إلى التوبة أشد من احتياجك إلى المأكل والمشرب والمسكن، لأن الذنوب قد حجبتك عن مطالعة الغيوب، وحالت بينك وبين كل محبوب.

وأعظم الحجب التى بين العبد وربه حُجب الذنوب، لأنها ظلمانية وغيرها من الحجب، وإن كان لا بد للسالك من السعى فى دفعها، لأنها نورانية، لا تحجب العبد بالكلية، لأن مثال الحجاب الحاصل من الذنوب، مثال الجدار الحائل بينك وبين مطلوبك، فإنك لا ترى مع حيلولته ذاتًا ولا أثرًا، ولا شبحًا، بخلاف الحجب النورانية، فإنها كالزجاجة يُرى ما وراءها، ولكن يخفى ويظهر بكثرتها وقلتها، فإن تكاثرت الزجاجات تكاثرًا عظيمًا، يخفى المطلوب الذى وراءها، لكن يخفى خفاء ما وراء الجدار، بل لا بد أن يرى له شبحًا، وهذا فيما يُرى بالعين من المحسوسات.

وكذلك القلب، فمتى كانت عينه التى تسمى بالبصيرة مستورة بظلمات المعاصى، المسمى بالرَّين والطبع والخَتم، كان لا يرى شيئًا من أنوار الغيوب، فلا يبالى بما يفعله من الآثام والذنوب.

فإذا تاب مما هو فيه انكشف عن عين قلبه حجب الذنوب ورأى ما عند الله، فصار يخاف عقابه، ويرجو ثوابه، ويداوم على الطاعات، ويجتنب السيئات، فينحجب حينئذ بحجب نورانية، وهى اعتماده على هذه الأعمال، لأنه يعتقد حينئذ أنه هو الذى أوجدها.

ثم بعد ذلك يكشف الله تعالى عنه هذا الحجاب، ببركة الطاعات، فيرى أن المنة لله عليه، حيث وفّقه إلى هذه الأعمال، وأنه مقصر فى الشكر عليها، وأن المعطى المانع هو

---

(١) الآية رقم (١٦٠) من سورة الأنعام.

الله تعالى، وإن الله إذا أراد بعبد خيرًا ألبسه لباس التقوى ليصلح للعرض على حضرته، وليس بيدى العبد شىء من الخير والشر، بل الكل بيد الله تعالى.

فإذا انكشف عن عين قلبه هذا الحجاب، ظن أنه وصل إلى الله، لما فى هذا المقام من اللذة الروحانية، فإن حفته الألطاف الخفية كشف عنه هذا الحجاب، وما يزل يقطع الحجب شيئًا فشيئًا على ما هو مرتب فى هذا الكتاب من المقامات، والأبواب إلى أن يصل إلى مقعد صدق، ومنازل الأحباب فافهم.

ولا تعتقد من تشبيهنا الحجب بالزجاجات، أن الله تعالى شىء يُرى بالعين الباصرة، فإنه متنزه عن ذلك، والله يتولّى هداك.

إذا فهمت هذه الإشارة عرفت أن التوبة من الذنوب واجبة نقلاً وعقلاً، وأن لا وصول إلى الله إلا بها، وعرفت أيضًا معنى قوله: إن لله تعالى له سبعين حجابًا، وفى رواية أخرى سبعين ألف حجاب، من نور وظلمة، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه، ما انتهى إليه بصره من خلقه[1].

وفى رواية: ما أدركه بصره من خلقه، يدلى حجابه النور، وفى رواية: النار، لأن المراد من الظلمة الذنوب والخطايا والمراد من النور التفات السالك إلى اللذات الأخروية الجنانية، وإلى الكرامات والتجليات والوصال، وغير ذلك من المقامات والأحوال، لأن السالك ما دام فى قلبه شىء من الأشياء فهو محجوب بذلك الشىء عن الحق.

---

(١) حديث (إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة. . .).

قال الحافظ العراقى فى المغنى: رواه ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه بلفظ (بين الملائكة وبين الله سبعون ألف حجاب من نور) وإسناده ضعيف.

وفيه أيضًا من حديث أنس، قال رسول الله ﷺ لجبريل: هل ترى ربك؟ قال: إن بينى وبينه سبعين حجابا من نور.

وفى الطبرانى من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه (دون الله تعالى ألف حجاب من نور وظلمة) ولمسلم من حديث أبى موسى رضي الله عنه: (حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه).

ولابن ماجه: شىء أدركه بصره.

انظر هامش منارات السائرين بتحقيقنا ٦٤٥، وانظر أبو الشيخ الأصبهانى الأحاديث الواردة فى باب (ذكر حُجُب ربنا تبارك وتعالى) وهى أرقام (٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤) وانظر ما بعدها من (٢٧٥ إلى ٣٠٧) فكلها فى الحجاب.

ولذلك يطول السلوك على السالكين، ويرجع بعضهم من ربع الطريق، وبعضهم من نصفه.

والسُّبُحات، جمع سُبُحة، وهى فى الحديث ما يسبح به، استعارة عن أشعة أنوار ذاته تعالى، وههنا أربعة ضمائر: الأول: فى وجهه، والثانى: فى اليد، والثالث: فى بصره، والرابع: فى خلقه، فإن أرجعت الأول والثالث والرابع إلى الله، وأرجعت الثانى إلى «ما» الموصولة، كان معنى الحديث: لو كشف الله الحجب لأحرقت أشعة أنوار ذاته تعالى الأشياء التى ينتهى إليها بصر الله تعالى من خلقه.

وإن أرجعت الأول والثانى والرابع، إلى الله، وأرجعت الثالث إلى «ما» الموصولة، كان المعنى: لو كشف الله الحجب، لأحرقت أشعة أنوار ذاته تعالى كل خلق انتهى بصره إلى الله تعالى عز وجل.

وعلى الوجه الثانى فالمراد من الخلق الذى انتهى بصره إلى الله هو السالك، الذى قطع عقبات النفوس، وأطلق من قيد الأنانية، وتخلص من مقتضيات البشرية، وتهيأ لقبول تجليات الأنوار الوجهية.

والمعنى: لو كشف الحجاب المذكور عما بين السالك وبين الأنوار الوجهية، لأحرقت أشعة هذه الأنوار البقية التى بقيت فى السالك، ولم يقدر يحرقها بنار المجاهدة.

وذلك لأن السالك يصل إلى المقام السادس بالمجاهدة والرياضة، وأما الوصول إلى المقام السابع، فلا يكون إلا بجذبة من جذبات الحق تعالى، وهذه الجذبة هى مقام حق اليقين، وقد مر بيانه فى المقدمة، فراجعه وحققه، وقابل بينه وبين هذا الكلام، تراه هو بعينه، فتصل إلى التحقيق، ويظهر لك غلط الموحدين، بالتوحيد التالى، المدنسين بأدناس الطبيعة، المحجوبين بالحجب المنيعة.

وذلك لأنهم ظنوا أن كل من عرف وحدة الوجود كان موحدًا، بل واصلاً، بل هو فى أرقى درجات الكمال، وليس كذلك، لأن معرفة وحدة الوجود لا تفيد صاحبها فائدة يعتد بها، بل قد يقع بها فى الزندقة، و ويهبط إلى سجين الطبيعة، أعنى المقام الأول، الذى تسمى النفس فيه بالأمارة.

بل الذى يفيد السالك فى سلوكه، شهود وحدة الوجود لا معرفتها، والشهود حالة اضطرارية حاصلة عن المجاهدة والمكابدة والرياضة المتعبة، والذل والافتقار والمسكنة، ولا تفيد السالك هذه الحالة، إلا إذا كان معها اتباع الشريعة، فإن لم يكن معها اتباع الشريعة، فهى الزندقة المهلكة.

فمن أراد سلوك طريق المقربين، الموصل إلى حق اليقين، فعليه بالتوبة أولاً، ليرتفع عن القلب الحجب الظلمانية، أعنى: حجب الذنوب، ثم يسعى على دفع الحجب النورانية بالترقى فى المقامات الآتى ذكرها فى الأبواب التى بعد هذا، إن شاء الله تعالى.

فإن قيل: التوبة ثمرتها الندم، والندم حال فى القلب، والأحوال لا تدخل تحت الاختيار، فكيف تكون واجبة، مع أنها ليست من الأفعال الاختيارية.

أُجيب بأن أسباب الندم تدخل تحت الاختيار، وهى سماع المواعظ وتعلم العلم النافع، وذكر الله تعالى ببعض العبادات، ومعرفة ضرر الذنوب، وكونها حجابًا.

وأعظم أسباب الندم المداومة على الذكر، بلا إله إلا الله، لأنه إذا داوم عليه، أوقد الله تعالى فى قلبه مصباحًا ملكوتيًا، فتزول به ظلمة الباطن، فيظهر ما فيه من النجاسات والآفات القاطعة له من نيل السعادة، وهو وإن كان يعلمها من قبل، لكن ذلك العلم، ليس معه نور، فلا يفيد.

وأما مع تلاوة الاسم فيحصل النور ويحصل الندم، الذى هو التوبة، وقد روى عن الشيخ عبد القادر[١]، قدّس الله سره: أنه كان يأتيه الرجل، فيشكو إليه ترك الصلاة، أو التهاون فى أدائها، فيقول له: أكثر من ذكر لا إله إلا الله ويأتيه آخر، ويشكو له الزنا مثلاً أو شرب الخمر وغيرها من القبائح، فيأمره بالذكر، فما جاء أحد يشتكى من ترك مأمور، أو فعل منهى إلا أمره بالذكر.

(١) (الشيخ عبد القادر) هو: عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيى بن محمد الكيلانى، أو الجيلانى أو الجيلى، الحسنى، محى الدين الصوفى، الشهير، تنسب إليه الطريقة القادرية ولد سنة ٤٧٠ هـ، ودخل بغداد فسمع الحديث والفقه فى ٨ ربيع سنة ٥٦١ هـ ترك عددًا من المؤلفات منها: جلاء الخاطر فى الباطن والظاهر، آداب السلوك والتوصل إلى منازل الملوك، وغير ذلك من المؤلفات الهامة، صرّح بالقطبانية العظمى وظهر برهانها عليه، كان يقول: (من عرف من أين جاء عرف إلى أين يصير وهنا أسرار لا تُفشى) ويقول: (المدد الإلهى موزع على المعانى: فما فى القلب يظهر على الوجه، وما فى النفس يظهر على الملبوس، وما فى العقل يظهر فى العين، وما فى السر يظهر فى القول، وما فى الروح يظهر فى الأدب، وما فى الصورة يظهر فى الحركة).
انظر ترجمته فى: الزركلى: الأعلام ٤/ ٤٧، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٥/ ٣٧١.
الشبلنجى: نور الأبصار ٢٢٤، ابن العماد: شذرات الذهب ٤/ ١٩٨.
الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ١٠٨، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٦٧٦.
الصفدى: فوات الوفيات ٢/ ٢، كحالة: معجم المؤلفين ٥/ ٣٠٧.
البغدادى: هدية العارفين ١/ ٥٩٦، ابن كثير: البداية والنهاية: ٦/ ١٢/ ٢٥٢.
محمود خطاب السبكى: مختصر أعذب المسالك ٢٢٣ بتحقيقنا.

واعلم أن التوبة: هى الندم على ما فات من الذنوب، لقوله ﷺ «الندم توبة»(١) وأما قولهم: والعزم [على أن لا يعود، وتلافى الماضى](٢)، فأنه لازم للندم، لأنه من ندم نَدَمًا صحيحًا عزم على أن لا يعود لا محالة، وعلى تلافى ما مضى [على قدر ما يمكنه، وهذه التوبة، أعنى: الندم](٣) على ما فات من الذنوب، هى توبة العوام، وهى مقبولة لا محال.

وأما توبة الخواص: فهى التوبة عن جميع ما يشغل القلب عن الله عز وجل.

وأما توبة خَوَاصِّ الخواص: فهى التوبة من الذهول والغفلة عن الحضور مع الله عز وجل، وهذه توبة الصديقين الأذكياء، الذين علموا قيمة أنفسهم، وعرفوا أن كل نفس من أنفاسهم خير من الدنيا وما فيها.

وقد بينت التوبة بيانًا أوضح من هذا البيان، فى شرحى لقصيدة الشيخ أبى العباس الجزائرى(٤)، وأوضحت جميع المسائل التى يتعلق بها، فمن أرادها فليراجعه.

---

(١) حديث: (الندم توبة) رواه أحمد بن حنبل فى مسنده والبخارى فى التاريخ وابن ماجه فى السنن والحاكم فى المستدرك عن ابن مسعود ﷺ ورواه الحاكم فى المستدرك والبيهقى فى شعب الإيمان عن أنس ﷺ انظر: الإمام صلاح الدين التجانى (جوامع الكلم) حديث رقم (٢٦٠٩) ص ٣٥٥ وانظر: العجلونى: كشف الخفاء حديث رقم (٢٨٠١) ٢/ ٣١٥.
وانظر السيوطى جامع الأحاديث حديث رقم (٢٣٩٩٤) ٧/ ٣ بنفس الرواة كلهم.
والحديث رقم (٢٣٩٩٥) ٧/ ٤ وفيه زيادة (والتائب من الذنب كمن لا ذنب له) وقال: رواه الطبرانى فى الكبير، وأبو نعيم فى حلية الأولياء عن أبى سعيد الأنصارى ﷺ.

(٢) ما بين المعقوفتين مستدرك من هامش المخطوط.

(٣) ما بين المعقوفتين مستدرك من هامش المخطوط.

(٤) (الشيخ أبو العباس الجزائرى) هو: أحمد بن عبد الله (بن محمد) الجزائرى، شهاب الدين أبو العباس، الزواوى، الفقيه المتكلم، له تصانيف هامة منها:
ـ كفاية المريد فى علم الكلام ـ والقصيد فى علم التوحيد، وعليها شروح كثيرة منها شرح الإمام السنوسى الذى أثنى عليها وعلى ناظمها وهى فى حوالى أربعمائة بيت.
قال عنه الشيخ زروق: كان من أعظم العلماء اتّباعًا للسنَّة توفى رحمه الله سنة ٨٨٤ هـ، وقيل غير ذلك.
انظر ترجمته فى: الشيخ محمد الحفناوى: تعريف الخلف ١/ ٣٨، التنبكتى: نيل الابتهاج ٨٢، ٨٣، البغدادى: هدية العارفين ١/ ١٣٦، كحالة: معجم المؤلفين ١/ ٢٨٦، بروكلمان: تاريخ الأدب العربى ٧/ ٤٨٢.

الباب الرابع :

فى بيان النفس الأمارة ...

فى بيـان النفس الأمّارة، وسـيرها وعـالمهـا، ومحلهـا وحالهـا، ووارداها، وصفاتها، وقـبائحها، وكيفيـة الخلاص منها، والترقى عنها إلى المقام الثانى، الذى تكون فيه النفس لوّامة، فسيرها إلى الله، وعالمـها عالم الشـهادة، ومحلهـا الصدق، وحالهـا الميل، ووارداها الشريعة

وقد عـرفت مما سـبق أن النفوس السبـعة، واحدة وتسمى بـاعتبار صـفاتها المـتكثرة بالأسـماء المـتخلّقـة من الأمَّارة واللوَّامـة والملهمـة والمطمئنـة، والراضيـة والمرضـية، والكاملة.

وقد عرفـت أيضًا أن هذه النفس هى النفس الناطقة، وهى القلب الذى قـال الله تعالى فيه: ﴿ ذَٰلِكَ لَذِكْـرَىٰ لِمَن كَـانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾[1] إذ ليس المـراد من القلب قطعـة اللحم، كمـا عرفت، وإنمـا هى اللطيفة الربانيـة، لكنها لمّا تدنست بالمـيل إلى الطبيعـة، والركون إلى الشـهـوات وصادفت النـفس الشهـوانيـة، أعنى: الروح الحـيـوانى، انخـرطت فى سلك الحيـوانات، وتبدلت أوصـافها الحـميـدة بأوصافهم الـذميمـة، وصارت لا تميـز عنهم إلا بالصورة، وصار الشيطان من جندها.

ومن أوصافها: الجهل، والبخل، والحرص، والكبـر، والغضب، والشَّرَه، والشهوة، والحسد، والغفلة، وسـوء الخلق، والخوض فيما لا يعنى من الكلام وغيـره، والاستهزاء والبغض، والإيذاء باليد واللسان، وغير ذلك من القبائح التى مَر ذكرها.

فهى نفس خـبيثـة، وهى التى قال عنها يـوسف الصديق عليه الصـلاة والسلام: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾[2].

وقال نبينا محمد ﷺ «أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك»[3].

---

(١) الآية رقم (٣٧) من سورة ق. (٢) الآية رقم (٥٣) من سورة يوسف.

(٣) حديث: (أعدى عدوّك: نفسك التى بين جنبيك)

رواه البيهقى فى الزهد بسند ضعـيف بلفظ: أعدائك بدلا من: عدوك، وله شاهد من حديث أنس رضي الله عنه.

انظر: العجلونى: كشف الخفاء حـديث رقم (٤١٢) ١/ ١٤٣ وأورده السيوطى بلفظ (ليس عدوك الذى يقتلك فيدخلك الله به الجنة وإن قتلته كان لك نورًا، ولكن أعدى الأعداء لك نفسُك التى =

وقال النبى ﷺ: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»(١) فسمّى جهاد الكفار الجهاد الأصغر، وسمى جهاد النفس الجهاد الأكبر.

وذلك لأنها واقعة فى ظلمة الطبيعة، فلا فرق لها بين الحق والباطل، فلا تميز بين الخير والشر، ولا يقدر الشيطان اللعين على الدخول على الإنسان إلا بواسطتها.

فكن أيها الأخ فيها على حذر، ولا تأمن لها ولا تساعدها، ولا تنتصر لها إن أحد أذاها، بل كن معينًا له عليها، لأنك إذا تحققت عداوتها لزمك جميع ما ذكر، ولزمك تقليل الطعام، والشراب والمنام، لتضعف النفس الشهوانية الحيوانية، لأنها إذا ضعفت حان خلاص هذه النفس الشريفة العزيزة العلوية التى سميت بالأمارة من شبكتها.

وليكون ذكرك فى هذا المقام «لا إله إلا الله» بمد لفظة «لا» وتحقيق همزة «إله» وفتحها فتحة خفيفة، وسكّن آخر لفظ الجلالة، ولا تفصل بين «إله» وقولك «إلا الله» وإياك أن تتهاون فى تحقيق همزة «إله» فإنك إن لم تحققها قلبت «ياء» وصار ذكرك «لايلاه إلا الله» وهذه ليست كلمة التوحيد، فلا ثواب بتكرارها، ولا تأثير، وغالب الذاكرين، واقعون فى هذا، ولا يدرون.

وأكثر من هذا، الذاكر فى القيام والقعود، والاضطجاع فى جميع الأوقات، وذلك بالجهر، فإن التأثير المطلوب من هذا الاسم، لا يحصل إلا بالإكثار والإجهار آناء الليل وآناء النهار، قال الله تعالى فى الحديث القدسى: «لا إله إلا الله حصنى، فمن دخل حصنى أَمِنَ مِنْ عذابى»(٢).

= بين جنبيك) وقال: رواه العسكرى فى الأمثال عن سعيد بن أبى هلال مرسلا، انظر الحديث رقم (١٨٢٣٠) ٥/ ٤٨٩، وانظر مثله أيضًا ما رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن أبى مالك الأشعرى ﷺ الحديث رقم (١٨٢٥٣) ٥/ ٤٩٤.

(١) حديث: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر).
قال الحافظ العراقى: رواه البيهقى بسند ضعيف عن جابر ﷺ ورواه الخطيب فى تاريخه عن جابر أيضًا قال: (قَدِم النبى ﷺ من غزاة فقال: قدمتم خير مقدم، وقَدِمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: مجاهدة العبد هواه).
انظر أيضًا: العجلونى: كشف الخفاء ١/ ٤٢٥ حديث رقم (١٣٦٢) وأورده السيوطى فى جامع الأحاديث بلفظ (قدمتم خير مَقْدَم...) نفس الرواة، وقال: رواه الخطيب أيضًا عن جابر ﷺ انظر الحديث رقم (١٥٢٣٣) ٤/ ٧٣٢.

(٢) حديث: (لا إله إلا الله حصنى، فمن دخل حصنى...).
أورده السيوطى فى جامع الأحاديث وقال: رواه ابن النجار عن أنس ﷺ بلفظ (قال الله تعالى: =

وقــال ﷺ : «لا إله إلا الله أفـضل الذكر، وهـى أفضل الحـسنات، أسـعـد الناس بشفاعتى من قـالها خالصًا من قلبه، ما من عبـد قالها ثم مات على ذلك، إلا دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق»(١).

وقال ﷺ : «جددوا إيمانكم» قيل: وكيف نجدد إيماننا يا رسول الله؟ قال: «أكثروا من قول لا إله إلا الله، قولهـا لا يترك ذنبًا، ولا يشبـهها عمل، ليس لهـا دون الله حجاب حتى تخلص إليه»(٢).

وقال الله تعـالى: «أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معـه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نـفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه»(٣).

وقال: «ما صدقة أفضل من ذكر الله»(٤) وقال: «ألا أخبركم بخيـر أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، تضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى، قال: «ذكر الله»(٥).

= لا إله إلا الله حـصنى...) انظر الحديـث رقم (١٥١٤٩) ٤/ ٧١٢، ورواه ابن النجار أيضًـا عن علىّ (كرم الله وجهه) انظر الحديث رقم (٢٨٧٥١) ٨/ ١٤٥

(١) حديث: (لا إله إلا الله أفضل الذكر...).

أورده العجلونى فى كـشف الخفاء بلفظ: (أفـضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحـمد لله) وقال: رواه الترمذى، والنسائى، وابن ماجه وابن حبان، والحاكم وصححاه عن جابر ﷺ.

انظر: كشف الخفـاء ١/ ١٥٢ حديث رقم (٤٥٢) وأورده السيوطى بنصه فى الجامع الـصغير ٢/ ٤١، وقال: رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة ﷺ، وقال السيوطى: ضعيف بهذا اللفظ.

(٢) حديث: (جدِّدُوا إيمانكم، قيل: وكيف...).

رواه أحمد، والحاكم، والنسائى والطبرانى فى الكبير بسند حسن عن أبى هريرة ﷺ

(٣) حديث: (أنا عند ظن عبدى بى...)

انظر الأحـاديث أرقـام (٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١) باب حـسن الظن بالله، كـتـاب الأحاديث القدسية طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة، البخارى كتاب التوحيد.

وأخرجه مسلم والترمذى كلهم عن أبى هريرة ﷺ انظر ١/ ٦٢، ٦٣، ٦٤.

(٤) حديث: (ما صدقة أفضل من ذكر الله...).

رواه الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس ﷺ

انظر السيوطى: جامع الأحاديث رقم (١٨٦١٨) ٥/ ٥٥٣.

(٥) حديث: (ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأزكاها...)

قال السيوطـى: رواه البيهقى فى الشعب عن ابن عمـر ﷺ انظر الحديث رقم (٩٠٧١) من جامع الأحاديث ٣/ ٣٢٩.

وقال ﷺ «مَثَلُ الذى يذكر ربه، والذى لا يذكر مثل الحى والميت»[١] وقال ﷺ «لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»[٢].

وقال ﷺ «ما عمل آدمى عملاً أنجى له من ذكر الله، قالوا: ولا الجهاد فى سبيل الله، قال: ولا الجهاد فى سبيل الله، إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع ثلاث مرات»[٣].

وقال ﷺ : «لو أن رجلاً فى حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله، لكان الذاكر أفضل»[٤].

وقال: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: «حلق الذكر»[٥].

وقال ﷺ : «ما من قوم جلسوا مجلسًا، وتفرقوا منه، ولم يذكروا الله فيه، إلا كأنما تفرقوا عن جيفة حمار، وكان عليهم حسرة يوم القيامة»[٦].

---

(١) حديث: (مَثَلُ الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه...) أورده الإمام السيوطى فى جامع الأحاديث بلفظ: (مثل البيت الذى يذكر الله فيه، والبيت الذى لا يُذكر الله فيه كمثل الحى والميت) وقال: متّفق عليه البخارى ومسلم من حديث أبى موسى رضي الله عنه الحديث رقم (١٩٦٩٣) ٦/ ٢
وانظر: العجلونى: كشف الخفاء حديث رقم (٢٢٦٥) ٢/ ١٩٧.

(٢) حديث: (لا يقعد قوم يذكرون الله...)
رواه بهذا اللفظ أحمد بن حنبل، والإمام مسلم عن أبى هريرة وأبى سعيد رضي الله عنهما.
انظر السيوطى: جامع الأحاديث حديث رقم (٢٦٥٤٢) ٧/ ٤٣٠.

(٣) حديث: (ما عمل آدمىٌّ عملا أنجى له من ذكر الله...).
رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده عن معاذ رضي الله عنه.
انظر السيوطى حديث رقم (١٨٦٥٥) ٥/ ٥٥٩.

(٤) حديث: (لو أنَّ رجلاً فى حجره دراهم يقسمها...) أورده السيوطى فى جامع الأحاديث وقال: رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة رضي الله عنه الحديث رقم (١٧٥٨٩) ٥/ ٣٨٢.

(٥) حديث: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا...)
رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه أحمد بن حنبل فى مسنده، والترمذى فى سننه، والبيهقى فى الشعب عن أنس رضي الله عنه، ورواه الترمذى عن أبى هريرة
انظر (جوامع الكلم من أحاديث سيد العرب والعجم).
الإمام صلاح الدين التجانى وقال: حديث صحيح انظر الحديث رقم (٢٣٧) ص ٤٧.

(٦) حديث: (ما من قوم جلسوا مجلسا، وتفرقوا...).
انظر الحديث رقم (١٨٨٦١) ٥/ ٥٩٥، وقال السيوطى: رواه أبو داود والحاكم عن أبى هريرة.

وقال: «ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم، ولم يذكروا الله فيها»(١).

وقال ﷺ: «أكثروا من ذكر الله، حتى يقولوا مجنون»(٢).

وقال ﷺ: «من صلَّى الصبح في جماعة ثم قعد يذكر الله، حتى تطلع الشمس، ثم يصلي ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة»(٣) وفي رواية أخرى: «انقلب بأجر حجة وعمرة».

وقال: «لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس، أحب إليَّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر حتى تغرب الشمس أحب إليّ من أعتق أربعة أيضًا من ولد إسماعيل)(٤).

وقال: «لأن أذكر الله مع قوم بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أحب إليّ من الدنيا وما فيها، ولأن أذكر الله مع قوم بعد صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس، أحب إليّ من الدنيا وما فيها»(٥).

وقال: «إن الله تعالى أمر يحيى ـ عليه السلام ـ أن يأمر بني إسرائيل، بخمس كلمات

---

(١) حديث: (ليس يتحسر أهل الجنة إلاّ على...).
أورده السيوطي في جامع الأحاديث وفيه (ليس يتحسَّر أهل الجنة على شيء إلاّ على ساعة...) الحديث رقم (١٨١٠٩) ٥/ ٤٦٧، وقال رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب عن معاذ رضي الله عنه.

(٢) حديث: (أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا مجنون...)
رواه أحمد بن حنبل في مسنده، وأبو يعلى، وابن حبان، والحاكم والبيهقي في الشعب، كلهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: حديث حسن.
انظر (جوامع الكلم) الإمام صلاح الدين التجاني حديث رقم (٤٣٤) ص ٦٥.

(٣) حديث: (من صلى الصبح في جماعة...).
رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه.
الحديث رقم (٢٠٨٠٨) ٦/ ١٨٤ من جامع الأحاديث.

(٤) حديث: (لأن أقعد مع قوم يذكرون الله...).
أورده السيوطي في جامع الأحاديث وقال: رواه الإمام أبو داود في السنن عن أنس رضي الله عنه انظر الحديث رقم (١٦٨٥٧) ٥/ ٢٣٨.

(٥) حديث: (لأن أذكر الله مع قوم بعد صلاة الفجر...)
أورده السيوطي في جامع الأحاديث وقال: رواه الإمام البيهقي في شعب الإيمان عن أنس رضي الله عنه.
الحديث رقم (١٦٨٥٢) ٥/ ٢٣٧.

منها ذكر الله، فإن مثل ذلك، كمثل رجل خرج العدو فى أثره سراعًا، حتى إذا أتى حصنًا حصينًا فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى»[١] صدق رسول الله ﷺ.

فادخل يا طالب الخلاص من الأعداء حصن مولاك، وهو قول: «لا إله إلا الله»[٢] وخلّص نفسك الشريفة من سجن الطبيعة لتنال المقامات الرفيعة.

قال أبو الحسن الشاذلى[٣]: لا يزال المريد يذكرها بلسانه حتى ينتقل معناها إلى جنانه، يعنى: لا يزال المريد يقول: لا إله إلا الله، من غير أن يلتذ بمعناها، وهو توحيد الأفعال، حتى ينكشفُ عن قلبه الحجب الظلمانية الحاصلة من الذنوب الماضية فيشاهد بعين البصيرة، أن لا محرّك ولا مسكّن، ولا معطى ولا مانع، ولا ضار ولا نافع إلا الله، شهود ذوق وحال، لا شهود اعتقاد ترى.

---

(١) حديث: (إن الله تعالى أمر يحيى عليه السلام أن يأمر بنى اسرائيل...) الحديث طويل جدًا يقربُ من صفحتين أورده السيوطى كاملا فى جامع الأحاديث وقال: رواه أحمد بن حنبل فى مسنده، والبخارى فى التاريخ الكبير، والترمذى فى السنن، والنسائى فى السنن، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم فى مستدركه، كلهم عن الحارث بن الحارث الأشعرى رضي الله عنه الحديث رقم (٥٢٧٨) ٢/ ٢٨٩.

(٢) انظر حديث: (لا إله إلاّ الله حصنى، ومن دخل حصنى أمن من عذابى) تقدم تخريجه.

(٣) (أبو الحسن الشاذلى) هو: أبو الحسن على بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز، الشاذلى، المغربى، رأس الطريقة الشاذلية، كان ضريرًا، قال عنه الصفدى: رجل كبير القدر، عالى المقام ولد سنة ٥٩١ هـ وتوفى رضي الله عنه سنة ٦٥٦ هـ بصحراء عيذاب قاصدًا الحج كان يقول: (كل علم تسبق إليك فيه الخواطر، وتميل النفس، وتلتذ به فارم به وخذ بالكتاب والسنة)

ويقول: (من علامة النفاق: ثقل الذكر على اللسان، فتُب إلى الله يخف الذكر على لسانك).

وكان يقول: (ليست الطريق بالرّهبانية، ولا بأكل الشعير والنخالة، إنما هى بالصبر، واليقين، والهداية).

وكان يقول: (إذا افتقرت فسلم، وإذا ظُلمت فاصبر، واسكن تحت جريان الأقدار فإنها سحابة سائرة)

انظر ترجمته فى: كحالة: معجم المؤلفين ٧/ ١٣٧، ابن عطاء الله السكندرى، لطائف المنن، الشعرانى: الطبقات الكبرى ٢/ ٥، الصفدى: نكت الهميان ٢١٣، الزركلى: الأعلام ٤/ ٣٠٥ المناوى: الكواكب الدرية ٢/ ١٢٦، البغدادى: هدية العارفين ١/ ٧٠٩، ابن قنفد القسنطينى: كتاب الوفيات ٣٢٣، ابن العماد: شذرات الذهب ٥/ ٢٧٨ أحمد بن محمد بن عبّاد: المفاخر العلية فى المآثر الشاذلية.

وقال: والشهود الذوقى لا يعرفه إلا من ذاقه، ومن علاماته أنك ترى نفسك لا تكره مخلوقًا أصلاً، ولا يحصل منك إيذاء لمسلم ولا لكافر، ولا لحيوان، ولا لعدوك.

ومن آثاره الاتصاف بالمذلة، والمسكنة والسرور الدائم فى القلب، والبشاشة فى الوجه، وغير ذلك من المحاسن الشرعية، فداوم ما دامت فيك أوصاف النفس الأمارة على هذا الذكر، لتظهر على أول السعادات، وهى توحيد الأفعال.

وإذا أنفيت بقولك: «لا إله» فأضمر فى قلبك كل معبود غير الله، وليكن قولك: «إلا الله» بقوة وشدّة، كأنك تضرب به الجانب الأيسر من صدرك بحضور وخشوع ومذلة، وغمض عينيك وألقِ سمعك إلى ذكرك، والزم[1] الطهارة من الحدث والخبث، وإياك وأكل الحرم، لأن جميع القبائح منشؤها وصدورها من البطن المملوءة من الحلال فكيف حال مَنْ ملأ بطنه من الحرام.

ولا بُدَّ لك من معرفة ما تحتاج إليه من الفقه، مثل معرفة طهارة الماء، ومعرفة الوضوء، ومعرفة إزالة النجاسة، وأركان الصلاة وغير ذلك مما لا بد منه.

وكذلك معرفة شيء من العقائد، مثل معرفة الواجب، وصفاته القديمة، وما يجب له تعالى، وما يمتنع، وما يجوز ولا تشتغل بغير ما ذكر من العلوم إلا بعد تزكية النفس، وتصفية القلب، لأنك قبل ذلك كثير الاحتياج إلى خلاص نفسك من سجن الطبيعة.

وأصقل مرآة قلبك ليزل عنها الرّين[2] المانع لها من إدراك حقائق الأشياء، وعن فهم دقائق العلوم، لأن مرآتك وأنت فى هذا المقام قد علاها صدأ الكبر والطمع، والحسد والعجب، والبغض والغضب، والشهوة والشره، والطمع والحقد وغير ذلك مما تعرفه من نفسك.

فمن الواجب الأهم من هذا المقام، الخلاص من هذه النجاسات التى منعت القلوب من مطالعة الغيوب، بالذكر القوى، وتقليل الطعام والمنام لتضيق مسالك الشيطان، ويقرب القلب من الأوطان بشهود شمس العيان، وظهور حقيقة الإيمان، لأن هذا المقام، أعنى: المقام الأول الذى تسمى فيه النفس بالأمارة، هو المشار إليه سجين، وأسفل السافلين فالخلاص منه، أهم من غيره.

وإنما أمر المشايخ بالذكر الجهرى لتتيقظ الأعضاء من الغفلة التى هى فيها، فعليك

---

(١) فى المخطوط (والاذم) وربما قصد الناسخ (ولازم) بمعنى (الزم) أيضا.

(٢) يقصد (الران) وهو تجمع الحجب على شفافية القلب.

بالذكر الكثير القوى، والوقوف على أبواب الشريعة، ومحاسبة النفس كل ساعة، وتخويفها بالموت وعذاب القبر وما بعده من الأهوال، وجهنم وعذابها وحيَّاتها وعقاربها، لأن فى هذا المقام تترادف عليك حالتان، خوف ورجاء.

ثم بعد نقلتك من هذا المقام يتبدل خوفك بالقبض، ورجاؤك بالبسط، ثم يتبدل القبض بالخشية، والبسط بالأنس، وإذا وصلت إلى درجات الكمال، يتبدل القبض بالجلال، والبسط بالجمال.

ففى هذا المقام أعنى: الأول الذى تسمى النفس فيه بالأمارة، يجب عليك تذكر أسباب الخوف، لأنه أنفع لك من الرجاء، إلا إذا أوصلك الخوف إلى درجة القنوط، فيجب حينئذ عليك تذكر أسباب الرجاء، وسعة الله تعالى وعفوه وكرمه.

وعليك بالتذلل والخضوع والتضرع له تعالى، واطلب الخلاص منه بلطفه وإحسانه، وأكثر من الدعاء، وابتهل إليه عز وجل، ولا تمل من الدعاء، ولا تقل: إن الله تعالى ما تقبل منى، لأن هذا مما يقطع المريد عن الحق.

قال النبى ﷺ: «الدعاء هو العبادة»[١] ثم تلا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٢].

وقال ﷺ: «الدعاء مخ العبادة»[٣].

وقال ﷺ: «من فتح له فى الدعاء منكم، فتحت له أبواب الإجابة»[٤].

---

(١) حديث: (الدعاء هو العبادة).

رواه أحمد بن حنبل، وابن أبى شيبة، والبخارى فى الأدب، والأربعة، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم فى المستدرك، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، ورواه أبو يعلى عن البراء، قال الإمام (صلاح الدين التجانى) حديث صحيح انظر (جوامع الكلم) حديث رقم (١٢٨٩) ص ١٧٦)، وكذا الإمام السيوطى، الحديث رقم (١٢١٦٤) ٤/ ١٥٦.

(٢) الآية رقم (٦٠) من سورة غافر.

(٣) حديث: (الدعاء مخ العبادة).

رواه الترمذى عن أنس رضي الله عنه

انظر السيوطى: جامع الأحاديث حديث رقم (١٢١٦١) ٤/ ١٥٦.

(٤) حديث: (من فُتح له فى الدعاء منكم، فُتحت له...).

رواه ابن أبى شيبة فى مُصنَّفِه، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

انظر السيوطى: جامع الأحاديث حديث رقم (٢٢٥١٩) ٦/ ٤٨٥.

وقال ﷺ : «لا يرد القضاء إلا الدعاء»[١].

وقال ﷺ : «الدعاء يرد القضاء، وإن البـر يزيد فى الرزق، وإن العبد ليحرم بالذنب الذى يصيبه»[٢].

وقال ﷺ : «الدعاء جند من أجناد الله مجند، يرد القضاء بعد أن يُبرم»[٣].

وقال ﷺ : «الدعاء يرد البلاء»[٤].

وقال ﷺ : «لا يغنى الحـذر من القدر[٥]، والدعاء ينفع مـما نزل وإن ينزل»[٦] وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة»[٧].

---

(١) حديث (لا يردُّ القضاء إلاَّ الدعاء).
رواه الترمذى عن سلمان رضي الله عنه وقال: حديث حسن.
انظر الإمام صلاح الدين التجانى: (جوامع الكلم) حديث رقم (٢٩٠٠) ص ٣٩٢.

(٢) حديث: (الدعاء يرد القضاء، وإن البر...).
رواه الحاكم عن ثوبان رضي الله عنه.
انظر السيوطى: جامع الأحاديث حديث رقم (١٢١٦٧) ٤/ ١٥٧.

(٣) حديث (الدعاء جند من أجناد الله...).
أورده السيوطى فى جامع الأحاديث وقال: رواه ابن عساكر عن نمير ين أوس مرسلاً.
انظر الحديث رقم (١٢١٥٨) ٤/ ١٥٦.

(٤) حديث: (الدعاء يردُّ البلاء).
رواه أبو الشيخ فى الثواب، عن أبى هريرة رضي الله عنه.
انظر جامع الأحاديث حديث رقم (١٢١٦٦) ٤/ ١٥٧.

(٥) حديث: (لا يغنى حذر من قدر)
رواه الحاكم فى المستدرك عن عائشة رضي الله عنها.
انظر جامع الأحاديث حديث رقم (٢٦٥١٦) ٧/ ٤٢٧.

(٦) مكرر حديث: (الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل).
رواه الحاكم فى مستدركه، عن ابن عمر رضي الله عنهما.
الحديث رقم (١٢١٦٨) ٤/ ١٥٧.

(٧) وهذه الرواية كلها كاملة كما وردت فى هذا النص رواها الطبرانى عن عائشة مرفوعًا
وروى أحمد والطبرانى أيضًا مثلها عن معاذ بن جبل مرفوعًا.
بلفظ: (لن ينفع حذر من قدر ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم بالدعاء عباد الله)
انظر الحديث رقم (١٢٩٧) ١/ ٤٠٣.
من كشف الخفاء للعجلونى.

To: www.al-mostafa.com

وقال ﷺ : «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء»(١).

وقال: «من لم يدع الله غضب عليه»(٢).

وقال: «من لم يسأل الله يغضب عليه»(٣).

وقال أيضًا: «لا تعجزوا في الدعاء، وإنه لن يهلك مع الدعاء أحد»(٤).

وقال ﷺ : «من سَرَّه أن يستجيب الله له عند الشدائد والكُرَب فليُكثر الدعاء في الرخاء»(٥).

وقال: «الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض»(٦).

وقال ﷺ : «ما من مؤمن مسلم ينصب وجهه لله في مسألة إلا أعطاه إياها، إما يعجلها له، وإما أن يدخرها له».

---

(١) حديث: (ليس شيء أكرم على الله من الدعاء).
رواه أحمد بن حنبل في المسند، والبخاري في الأدب المفرد، والترمذي في السنن، والحاكم في المستدرك، كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.
الحديث رقم (١٨٠٠٠) ٥/ ٤٥١ من جامع الأحاديث للسيوطي.

(٢) حديث (من لم يدع الله يغضب عليه).
رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، وابن ماجه في السنن، والحاكم في المستدرك، كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.
انظر جامع الأحاديث حديث رقم (٢٣٠٦٨) ٦/ ٦٠٣.

(٣) حديث (من لم يسأل الله يغضب عليه).
رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه وقال: حديث حسن، وورواه ابن ماجه حديث رقم (٣٨٢٧).
انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح حديث رقم (٢٢٣٨) ٥/ ١٧١٢.
والترمذي في صحيحه حديث رقم (٢٦٨٦).

(٤) حديث (لا تعجزوا في الدعاء، وإنه لن يهلك...).
رواه الحاكم في المستدرك، عن أنس رضي الله عنه.
انظر السيوطي: جامع الأحاديث حديث رقم (٢٥٢٢١) ٧/ ٢١٢.

(٥) حديث: (من سَرَّه أن يستجيب الله له...).
رواه الترمذي في السنن، والحاكم في مستدركه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
الحديث رقم (٢٠٧١٧) ٦/ ١٧٠.

(٦) حديث (الدعاء سلاح المؤمن...)
رواه أبو يعلى في مسنده، والحاكم في تاريخه، عن عليّ رضي الله عنه.
انظر جامع الأحاديث حديث رقم (١٢١٥٩) ٤/ ١٥٦.

فانظر ما أكرم الإنسان على ربه! كيف جعل دعاءه وتوجهه يؤثر فى قضائه المبرم؟ ويرد البلاء، وينفع مما نزل، ومما لم ينزل، من المصائب والبلايا، وكيف كان دعاء كريمًا على الله؟ حتى أنه إذا لم يدعه يغضب عليه، وكيف جعل دعاءه مخ العبادة؟.

كل ذلك محض تفضل ولطف وإكرام منه لهذا النوع الإنسانى، فهل يليق بك أن تعرض عن من أكرمك هذا الإكرام؟ وتقبل على أعدائه، وهم الشيطان والدنيا وشهواتها، وهل ترضى أن تمقت كما مقتوا، وتبعد كما أبعدوا؟.

بعد أن عرفت أن استعدادك خير الاستعدادات، وأنت قابل للخلافة الكبرى والسلطنة العظمى، وقد كان أبوك قبلة للملائكة، ومعلمهم الأسماء، وخليفة الله فى أرضه، فهل يساوى هذا الذى أقبلت عليه عشر معشار ما أدبرت عنه؟.

فانتبه يا حبيبى من غفلتك، التى أهلكتك، وأنزلت مقدارك وحقرتك، وأقبل على من لا غنى لك عنه بمعاملات الإحسان قبل أن تساق إليه بسلاسل الامتحان، وقال لك: «عبدى إن تقربت منى شبرًا تقربت منك ذراعًا، وإن تقربت منى ذراعًا تقربت منك باعًا، وإن أتيتنى تمشى أتيتك هرولة»(١).

فاترك التوانى، وأعرض عما يشغلك عن مولاك، واستغنَ بالقناعة بما فى يدك كثيرًا كان أم قليلاً، ودع اللذات الفانية لأهلها، واشتغل فيما يعنيك، ولا تُسوف التوبة والإقبال على الله تعالى، فإنك لا تدرى ما بقى من عمرك.

وقال ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإنك لن تجد فقد شيء تركته لله»(٢).

وقال ﷺ: «دعوا الدنيا لأهلها، من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه، أخذ حتفه، وهو لا يشعر»(٣) يعنى: من سعى وانهمك فى طلب الدنيا فوق ما يكفيه سعى فى هلاك نفسه، والحال أنه لا يشعر بالهلاك.

---

(١) الحديث: (إذا تقرَّب إلىَّ العبد شبرًا تقربت إليه ذراعًا...).
رواه البخارى عن أنس رضي الله عنه، وعن أبى هريرة رضي الله عنه، ورواه البيهقى فى الشعب عن سلمان رضي الله عنه الحديث رقم (١٥٠١١) ٤/ ٦٨٠.

(٢) حديث (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك).
رواه بهذا اللفظ الخطيب فى كتابه، وأبو نعيم فى حلية الأولياء عن ابن عمر رضي الله عنهما.
انظر الحديث رقم (١٢٠٥٠) ٤/ ١٣٨).

(٣) حديث (دعوا الدنيا لأهلها...).
رواه ابن لال عن أنس رضي الله عنه، الحديث رقم (١٢٠٦٢) ٤/ ١٤٠ من جامع الأحاديث.

ويجب عليك أيها الأخ وأنت فى هذا المقام الضيق القبيح أن يكون دعاؤك وتوجهك إلى الخلاص من ضيق النفس إلى فضاء الروح، وأن يكون همك ومطلبك التخلى من الأوصاف الذميمة، التى ذكرناها، والتحلى بأضدادها وهى من الصفات الحميدة، وتبديل أخلاقك القبيحة بأخلاق حميدة.

فتبدل ما فيك من الكبر بالتواضع، والبغض بالمحبة، والرياء بالإخلاص، والشهوة بالخمول، فإذا كان لك صيت بين الناس، فالبس ثياب الخمول حتى لا يبقى أحد يذكرك بمدح ولا ذم.

وقال على ﷺ: تبذّل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتُذكر، واكتم واصمت تسلم، وتسر الأبرار، وتغيظ الفجرة[١]، وسنذكر آفات الشهرة وانتشار الصيت فى الباب الذى بعد هذا الباب.

واعلم أنك إذا اشتغلت فى خلاص نفسك من هذه الآفات وبدّلت أوصافها، شاهدت بعض العجائب المكنونة، والأسرار المخزونة فى صدفة البشرية، وتفهم معنى قول المحقق ﷺ:

دَوَاؤُكَ فِيكَ، وَمَا تُبْصِرُ
وَدَاؤُكَ مِنْكَ وَمَا تَشْعُرُ[٢]
وَتَزْعُمُ أَنَّكَ جُرْمٌ صَغِيرٌ
وَفِيكَ انطوَى العَالَمُ الأكبرُ

(١) تقدمت إشارة الإمام علىّ (كرم الله وجهه).

(٢) وردت هذه الأبيات منثورة بالمخطوط.



الباب الخامس :

فى بيان النفس اللوامة ...

في بيان النفس اللوّامة، وبيان سيرها، وعالمها، ومحلها، وحالها وواردها، وصفاتها، وبيان العلاج في الخلاص منها، والترقي عنها إلى المقام الثالث.

أعني: المقام الذي تكون النفس فيه ملهمة.

فسَيْرُها: لله.

وعالمها: عالم البرزخ.

ومحلها: القلب.

وحالها: المحبة.

وواردها: الطريقة.

وصفاتها: اللوم، والكبر، والعُجْب، والاعتراض على الخلق، والرياء الخفي، وحب الشهوة والرياسة.

وقد يبقى معها بعض أوصاف النفس الأمارة.

لكنها مع هذه الأوصاف ترى الحق حقّا، وترى الباطل باطلاً، وتعلم أن هذه الصفات مذمومة، ولا تقدر على الخلاص منها، ولها رغبة: في المجاهدة وموافقة الشرع، ولها أعمال صالحة من قيام وصيام وصدقة وغير ذلك من أفعال البر.

لكن يدخل عليها العُجْبُ والرياء الخفي، فيحجب صاحب هذه النفس أن تطلع الناس على ما هو عليه من الأعمال الصالحة، مع أنه يخفيها عنهم، ولا يظهرهم عليها، ولا يعمل لهم، بل عمله لله، إلا أنه يحب أن يُحمد ويثنى عليه من جهة أعماله، ويكبر هذه الخصلة أيضًا، ولا يمكنه قلعها من قلبه بالكلية، لأنه لو قلعها لكان مخلصًا بلا خطر، والحال أن المخلصين على خطر عظيم.

قال النبي ﷺ «الناس كلهم هلكى إلا العالِمين، والعالمون هلكى إلا العاملين، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصين، والمخلصون على خطر عظيم»(١).

وذلك، لأن المخلص يحبّ أن يعرف الناس أنه مخلص، وهذا هو الرياء الخفي، لأن الرياء الجلي: هو العمل لأجل الناس، وهو الشرك الخفي المذموم بالكلية.

واعلم أنك إذا كنت متصفًا بهذه الأوصاف، فأنت في المقام الثاني، ويقال لنفسك:

(١) حديث (الناس كلهم هلكى إلاّ العالمين، والعالمون هلكى. . .) لم أقف عليه.

لوامة، وهو مقام لا يسلم صاحبه من الخطـر، ولو أخلص فى أعماله، كما مرَّ بيانه، وهو مقـام ثان بالنسبة إلى سلوك المـقربين الطالبين الفـناء عن نفوسهم، والبـقاء بربهم، الذين أمروا بالمعـروف قبل انقضاء آجالهم فـقال لهم سيدهم: مـوتوا قبل أن تموتوا[١]، فسعوا على موت نفوسهم.

وأما بالنسـبة إلى الأبرار، أهل اليمـين فهو آخـر منازلهم، وأعلى مقـاماتهم، ولذلك قيل: (حسنات الأبرار سيئات المقربين)[٢] لأن المقربين لا يقفـون عند هذا المقام الثانى، بل يترقون منه إلى غيره، إلى أن يصل إلى مقام سابع، فيكون لهم بعد المقام الثانى خمس مقامات أخر؛ ويأتى بيانها وتفصيل أحوالها فيما يرد عليك فى الأبواب التى بعد هذا الباب.

وإنما لم يقف المقربون فى هذا المقام، لمـا فيه من الخطر العظيم، والتعب المقيم، لأن أعلى درجـاته الإخـلاص، والمـخلصون عـلى الخطر، ولا يكون الخـلاص من هذا الخطر إلاَّ بالفناء عن شـهود الإخـلاص بشهود المـحرّك والمـسكّن، هو الله تعالى شـهود ذوق، وهذا الشهود متوقف على سلوك طريق المقربين.

ولا تشم الأبرار له رائحـة لأن المقـربين تيقنـوا بالدليل والكشف أن الله تعالى شـرع العبادات وجـعلها أبوابًا يدخل منها من يشاء إلى حضـرته، فدخلوا منها عليه مـتمثلين بين يديه، ناظرين بصائرهم إليـه، غير ناظرين إليهـا، ولا معتمدين عليـها، ولا معجـبين بها،

---

(١) حديث (موتوا قبل أن تموتوا..).
أورده العجلونى فى كشف الخفاء وقال: قال الحـافظ ابن حجر: هو غير ثابت، وقال القارى: هو من كلام الصوفية.
والمعنى: موتوا اختياراً بترك الشهوات قبل أن تموتوا اضطراراً بالموت الحقيقى.
انظر: الحديث رقم (٢٦٦٩) ٢/ ٢٩١ من كشف الخفاء للعجلونى.

(٢) حديث (حسنات الأبرار سيئات المقربين).
قال العجلونى فى كشف الخفاء: هو من كلام أبى سعيـد الخراز، كما رواه ابن عساكر فى ترجمته وهو من كبار الصوفية مات رحمه الله سنة ٢٨٠ هـ.
وعدّه بعضهم حديثا، وليس كذلك، وعزّاه الزركشى للجُنيد.
وقال شيخ الإسـلام فى شرحها: الفـرق بين الأبرار والمقربين أن المقـربين هم الذين أُخِذُوا عن حظوظهم وإرادتهم واستعملوا فى القيام بحقوق مولاهم عبودية وطلبًا لرضاه.
والأبرار: هم الذين بقوا مع حظوظـهم وإرادتهم وأقيموا فى الأعـمال الصالحـة ومقامات اليـقين ليجزوا على مجاهدتهم برفع الدرجات.
انظر الحديث رقم (١١٣٧) ١/ ٣٥٧ من كشف الخفاء.

شاهدين أن المنة لله عليهم، حيث فتح لهم أبواب العبادات ومكنهم من الدخول وأهَّلهم للقبول.

ومن كانت هذه أحواله، لا يحتاج إلى الإخلاص، بل لا يخطر بباله، لأنه لا يرى لنفسه عملاً حتى يخلص فيه، ولا يرى لغير الله فعلاً حتى يتضرر به، بخلاف السادة الأبرار، فإنهم لم يصلوا إلى هذا الشهود، فنظروا أنهم قد أوجدوا أعمالهم، فطولبوا بالإخلاص، ولم يشهدوا أن الله تعالى خالق الأفعال كلها، فتضرروا من بعضها، ووقعوا فى العناء والتعب، وصار أحدهم لو دخل فى جحر ضبٍّ لقيَّض الله له من يؤذيه[1].

وذلك لما فيهم من البشرية المقتضية للعجب، والتكبر، والحقد، والحسد، وسوء الخلق، والعداوة، والبغضاء، وانهماك فى طلب الرزق وما أشبه ذلك، وهذه الأشياء كلها مقتضيات للتعب والعناء وضيق الصدر.

ولا بد من مثال يوضح لك الفرق بين الأبرار والمقربين، ويبين لك تعب هؤلاء وراحة هؤلاء.

وذلك كشجرة خبيثة عظيمة، كثيرة الأغصان، كل غصن منها يثمر نوعًا من السم القاتل، فجاء أناس فاشتغلوا فى قطع تلك الأغصان، ولم يتعرضوا لقطع الشجرة من أصلها، ولا لقطع الماء عنها، لتيبس، ويتخلصوا منها، فلم يمكنهم الخلاص من السموم بالكلية، لأنهم كلما قطعوا شيئًا نبت غيره لبقاء أصل الشجرة.

وجاء أُناس آخرون قطعوا الماء عن الشجرة، فضعفت أغصانها فلم تثمر شيئًا من السموم، فتخلصوا منها وأراحوا أنفسهم عن الاشتغال بقطع الأغصان الكثيرة، التى لا يمكن الخلاص منها بالكلية، لأنها كلما قطعت نبت غيرها.

فالشجرة مثال لبطن الإنسان، والأغصان مثال للصفات الذميمة، مثل الكبر والحسد والعجب، وأمثال ذلك مما ذكر آنفًا.

والثمرة مثال لما يحصل من هذه الصفات من الآثار فى الخارج.

فالأبرار لما علموا بالدليل أن هذه الصفات مهلكة للإنسان فى الدنيا وفى الآخرة، سعوا فى إزالتها شيئًا فشيئًا، فلم يقدروا على الخلاص من شىء منها بالكلية، بل إذا

---

(١) انظر حديث النبى ﷺ: (لو كان المؤمن فى جُحْر ضبٍّ لقيَّض الله له من يؤذيه).
رواه الطبرانى فى الأوسط، والبيهقى فى الشعب عن أنس رضي الله عنه
انظر الحديث رقم (١٧٦٥٦) ٤/ ٣٩٢ من جامع الأحاديث.

خلصوا من صفة فى يوم، اتصفوا بهـا فى يوم آخر، ولم يزالوا كذلك حتى يموتوا، لأنهم يملئون بطونهم فتقوى بشريتهم، ويكثر دمُهُم، ويتمكن الشيطان منهم.

قال ﷺ: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطنه»(١).

وقال: «إن الشيطان ليجرى من أحدكم مجرى الدم، فضيقوا مجاريه بالجوع»(٢).

ولا شك أن من تمكَّن فيه الشيطان، وجرى منه مجرى الدم فى العروق، يتلبس بالصفات الذميمة، ولا يقدر على إزالة شىء منها بالكلية، وإن زالت فى بعض الأوقات بسبب خوف لحقه من سماع شىء من أحوال القبر، والملكين والزبانية، والمحشر، فإذا ذهب عنه الخوف، رجعت الصفة التى زالت.

وأما المقربون: فإنهم لما علموا بالدليل والتجربة، أن البطن: هو صنيع الفساد، والصفات الذميمة، سعوا على الخلاص من شره بتقليل الطعام، فتخلصوا من جميع الصفات الذميمة، وتخلقوا بالأوصاف الحميدة.

وذلك لأنهم لما قلَّ أكلهم فقل شرابهم، فقل نومهم، فقل كلامهم، لأن الجوعان

---

(١) حديث: (ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطنه)

رواه الترمذى بهذا اللفظ وفيه (حسب ابن آدم لقيمات يُقمن صلبه، فإن لم يفعل فثلث لطعامه وثلث للشراب وثلث للنفس).

وقال الترمذى: حديث حسن من حديث المقداد بن معدى كرب وله لفظ آخر (ما ملأ آدمى وعاءً شرًا من بطنه. . .) الحديث، وقال: رواه السيوطى فى الجامع الكبير عن ابن المبارك، وأحمد والترمذى وابن ماجه، وابن سعد، وابن جرير، والطبرانى والبيهقى أيضًا عن المقدام بن معدى كرب.

انظر: العجلونى: كشف الخفاء حديث رقم (٢٢٧٠) ٢/ ١٩٩

وانظر: السيوطى: جامع الأحاديث حديث رقم (١٨٧٠٦) ٥/ ٥٦٧.

(٢) حديث (إن الشيطان ليجرى من أحدكم مجرى الدم فضيِّقوا. . .)

أورده السيوطى بدون لفظ (فضيقوا عليه بالجوع) وقال: رواه أحمد بن حنبل، ومتفق عليه، ورواه أبو داود كلهم عن أنس رضي الله عنه

واتفق عليه البخارى ومسلم، ورواه أبو داود، وابن ماجه كلهم عن صفية رضي الله عنها

الحديث رقم (٥١٢٥) ٢/ ٢٥٨

وفى الحديث رقم (٧٠٨٨) ٢/ ٦٥٩ رواه البخارى ومسلم، وأبو داود، وأحمد بن حنبل عن على ابن الحسين، ورواه أحمد بن حنبل عن جابر ومحمد بن عثمان الأذرعى فى كتاب الوسوسة عن أبى هريرة رضي الله عنه.

السهوان لا يشتهى الكلام، فاعتزلوا عن الناس، فلم يبق فى قلوبهم شىء من الصفات الذميمة.

قال المحققون: من الرجال ما صارت الأبدال أبدالاً بالجوع والسهر والصمت والاعتزال، فإذا عرفت هذا المثال، عرفت الفرق بين الأبرار والمقربين، وعرفت أن المقربين قوم ليس لهم شىء من الأوصاف الذميمة، من العجب والكبر والحسد وأمثالها، لأنهم محوها من أصلها، حتى إنهم لم يخطر ببالهم شىء منها.

فلذلك تراهم خالين من الهم والغم، لا تضايقهم راحة القلب، وجميع الخلق يحبونهم، فلا يتأذون من أحد، لأ نهم لم يصدر منهم إلاّ فعال الخير، ومع هذا لا يخلون من الحاسدين، لكن لا يضرهم حسدهم، فكلما همَّ الحاسدون، أو أرادوا أن يؤذوهم، نجّاهم الله من كيدهم، وألقى كيدهم فى نحرهم، حتى إنهم لا يدرون أن الحاسدين قد سعوا فى إيذائهم، فالله تعالى أكفاهم هموم الدنيا والآخرة.

فإن قلت: هذا الكلام ينافى قوله «لو دخل المؤمن فى جحر ضبٍّ لقيض الله له فيه من يؤذيه»(١)، وقوله: «الدنيا سجن المؤمن»(٢)، وأمثال هذه الأحاديث.

فالجواب: أن هذا وأمثاله مقول فى حق الأبرار، وقد عرفت حالهم، وهم أناس مقبولون عند الله تعالى، وهم المتقون، إلا أنهم لم يتخلصوا من جميع أكدار النفوس، فلا يخلون من تعب فى الدنيا، وقد وعدهم الله تعالى أن يُعطيهم الثواب الجزيل فى الآخرة.

وأمَّا المقربون: فهم أفراد قليلون، استغرقوا فى شهود الحق فنسوا الخلق، ولم يخطر ببالهم لذات الدنيا، ولا نعيم الآخرة، فمن أين يأتيهم الأذى والسجن والأسر.

فإن أردت أيها الأخ الانتظام فى سلكهم، والخلاص من جميع الآلام والراحة على الدوام، فاسلك مسلكهم، واقتفى أثرهم بالترقى من مقام إلى مقام حتى تصل إلى المقام السابع، ففيه ترى العجائب والغرائب، بل فى كل مقام تشاهد ما يسرك ويُرغبك فى السلوك، والترقى يكون بالمجاهدة والاشتغال بالأسماء.

ففى كل مقام تشتغل فى اسم مخصوص بذلك المقام، وكلما أكثرت من الاشتغال باسم قرُب عليك الطريق، وكلما توانيت وأهملت بَعُد عليك الطريق، فلا تلومنَّ إلا نفسك، ولا بد من المجاهدة، وحقيقتها ترك العادات، والعادات لا تكاد تنحصر بالعد.

---

(١) انظر تخريج هذا الحديث قبل قليل.

(٢) تم تخريجه أيضًا.

لكن جعل المشايخ للطريق أركانًا، وهى ترك بعض العادات، فلا بد منها، هى ستة: تقليل الطعام، وتقليل المنام، وتقليل الكلام، والاعتزال عن الآثام، والذكر المدام، والفكر التمام، فهذه ستة، البعض منها يعينك على البعض الآخر.

وبقى عادات آخر لازم تركها أيضًا، مثل تغيير الحِلاس، وتبديل الأنفاس، وترك الجُلاّس، وما أشبه ذلك.

لكن هذه الستة المذكورة أهم من غيرها، لأن السالك إذا فعلها بصدق، فهى تنقله إلى ترك جميع العادات، والمطلوب من هذه الأشياء، الاعتدال، والحالة الوسطى بين الإفراط والتفريط، ولذلك قالوا: تقليل الطعام، ولم يقولوا: ترك الطعام.

فالنافع فى هذا الطريق أن لا يأكل حتى يجوع، وإذا أكل لم يشبع، فعلى هذا ينبغى أن يترك عادات الغداء والعشاء، فإن كان فى محل العشاء شبعانًا فلا يتعشّى، وكذلك الغداء.

وقد كان ﷺ إذا تغدَّى لم يتعش، وإذا تعشَّى لم يتغد.

والمطلوب أيضًا: ترك ألوان الطعام، وأن لا تجمع بين إدامين وقد تعسر الحالة المذكورة، أعنى: الحالة الوسطى على المبتدئ فلا تطاوعه نفسه أن يفعل ما ذكرناه، فيجب عليه حينئذ ظلمها والتعدى عليها، بأكل حقها، حتى ترضى بالذى ذكرناه، وذلك بأن يقلل الأكل بالكلية، ويُحملها ما لا تطيقه من الأعمال.

وإن كان هذا خارج الإنصاف، إلا أنه يفعل ذلك لأجل إصلاحها ورجوعها للحق وللأكل الشرعى، إلا إذا وجد فى مزاجه تغيرًا، فيجب عليه أن لا يأكل، ويجب عليه أن يريح نفسه، لأن تغير المزاج يفسد الأحوال والمقامات، خصوصًا إذا غلبت عليه السوداء بسبب الجوع أو الصفراء.

فحينئذ يجب على السالك إذا أحس بقليل المرض أن يترك المجاهدة بالكلية، ويشتغل فى إصلاح مزاجه، فإذا زال المرض يعود إلى المجاهدة، لأن المرض من أكبر القواطع.

قال سيدى عمر بن الفارض[1] ـ رحمه الله تعالى ـ مشيرًا إلى هذا المقام:

وَنَفْسِي كَانَتْ قَبلُ لَوَّامَةً مَتَى
أُطِعْهَا عَصَتْ أَوْ أَعْصَى كَانَتْ مُطِيعَتِى

---

(١) سيدى (عمر بن الفارض) هو: عمر بن على بن المرشد بن على الحموى الأصل، المصرى، المعروف بابن الفارض، شرف الدين، أبو حفص (سلطان العاشقين) الشاعر الصوفى الشهير صاحب التائية الكبرى والخمرية الجميلة، ولد بالقاهرة فى الرابع من ذى القعدة، ونشأ بها، =

فَـأَوْرَدْتُّهَـا مَـا المَـوْتُ أَيْسَـرُ بَعْـضِـهِ
وَأَتْعَـبْـتُـهَـا كَـيْـمَـا تَـكُونَ مُـرِيحَـتِي
فَـعَـادَتْ وَمَـهْـمَـا حُـمِّلَتْـهُ تحَـمَّلَتْـهُ
مِنِّـي وَإِنْ خَـفَّــفْتُ عَـنْهَـا تَأَذَّتِ

واشتغل فى هذا المقام بالاسم الثانى وهو «الله الله» وأكثر منه بسكون آخره، أعنى: «اللهْ» وكذا تفعل فى جميع الأسماء، فَتُسكّن آخرها.

هكذا قال المحققون، وأكثر منه، فإنه لا ينفع، ولا يظهر العجائب إلا الإكثار وذلك فى القيام والقعود، والاضطجاع آناء الليل وآناء النهار.

واجعل لك أوقاتًا تجلس فيها، متوجهًا إلى القبلة إن أمكنك، وغمض عينيك، واذكر بهذا الاسم الأعظم بقوة وشدة، ورفع صوت، وارفع رأسك إلى فوق واضرب به على صدرك، ولا تلتفت يمينًا وشمالاً بخلاف الاسم الأول، فإنك تلتفت به من اليمين إلى اليسار.

وحقّق همزة «الله» وسكّن «الهاء» ومد «الألف» التى قبل الهاء، وإياك أن تفضى بك العجلة إلى أن تقول «هلا هلا هلا» ولا يكون ذلك إلا إذا لم تحقق الهمزة، فإن حققتها لا يَصير شىء من ذلك.

= واشتغل بفقه الشافعية وأخذ الحديث عن ابن عساكر، وأخذ عنه الحافظ المنذرى وغيره، ثم حبّب إليه طريق السادة الصوفية فمضى فى الطريق، وتزهد، وتجرد وجعل يأوى إلى المساجد والأماكن المهجورة فى القرافة، وأطراف جبل المقطم، ثم ذهب إلى مكة فى غير أشهر الحج، فكان يصلى بالحرم، ويكثر العزلة فيه، وفى واد بعيد عن مكة، ثم عاد إلى مصر بعد خمسة عشر عاما فأقام بقاعة الخطابة بالأزهر، وقصده الناس بالزيارة، حتى أن الملك الكامل كان يقصده بالزيارة.

له كرامات وخوارق شهيرة، وترك ديوانًا من الشعر الصوفى الصافى الرّاقى، على مستوى اللغة والفكر الصوفى الشفاف، ومتانة الأسلوب، وقدرة فائقة فى الصياغة تبرز فى كل أبيات الديوان، فتربع على عرش القلوب كما تربع على عرش الأداء الصوفى الشعرى.

توفى بالقاهرة سنة ٦٣٢ هـ ودفن بالقرافة

انظر ترجمته فى: كحالة: معجم المؤلفين ٧/ ٣٠١، ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/ ٤٨٣، ابن حجر: لسان الميزان ٤/ ٣١٧، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٦/ ٢٨٨ ابن العماد: شذرات الذهب ٥/ ١٤٩، الخوانسارى: روضات الجنات ٥٠٥، محمد مصطفى حلمى: ابن الفارض والحب الإلهى، الزركلى: الأعلام ٥/ ٢١٦، البغدادى: هدية العارفين ١/ ٧٨٦، المناوى: الكواكب الدرية ٢/ ١٤٧، النبهانى: جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢١٨، ابن كثير: البداية والنهاية ١٣/ ١٤٣، ديوان ابن الفارض طبعة بيروت.

واعلم أنك فى هذا المقام كثير الخواطر، كثير الوسوسة، كثير الأفكار على الخصوص إذا ذكرت ذكرًا متوسطًا بين الجهر والخفاء، وأما إذا ذكرت بالجهر والقوة الشديدة، فَتَقِل الخواطر، وهذا الاسم نار تحرق جميع الخواطر والوساوس.

وأنت كن مشغولاً بذكرك، ولا تبال بالخواطر، ولا يمكنك الخلاص منها بالسرعة، لأن مرآة قلبك متوجهة إلى الخلق، ولا شك أن المرآة إذا توجهت إلى شىء انتقش ذلك الشىء فيها فينتقش فى مرآة قلبك صور الخلق وأفعالهم ومحاسنهم وقبائحهم وحركاتهم وسكناتهم وكلامهم، وأنت تكره ذلك، وتدفعه ولا يندفع إلا إذا أعرضت عن جميع الخلق، فلا ترى لهم صورة، ولا تسمع لهم كلامًا، وعن جميع اللذات فلا تشم منها رائحة، ولا تذوق منها طعمًا ولا تلمس منها شيئًا، فلا يبقى فى خيالك شىء.

وإذا لم تُعرض عن ما ذكر، فأنت متلبس بهذه الخواطر والوساوس ومعذب بها، ومحجوب بالخلق عن الحق، فإن كنت متعطشًا إلى زلال الوصال فاترك الخلق، وجميع اللذات وهذا هو المجاهدة التى تنتج المشاهدة.

واعلم أن هذا الطريق طريق جِدٍّ واجتهاد، فمن جد واجتهد نال كل ما يتمناه، ونال فوق ما يتمناه، ومن توانى وأهمل فهو مقطوع من هذا الطريق، لأن القواطع كثيرة، وأعظم القواطع: الركون إلى الخلق، والميل إليهم والجلوس معهم، ومن لم يقطع القواطع لم يصل إلى المطلوب، لأن القصد مخالفة ما هم عليه، فكيف يؤمل وصل من خالطهم ووافقهم على ما هم عليه من كلام ومزاح، وضحك وغير ذلك مما تشتمل عليه مجالسهم؟.

فإن أردت المقامات العلية، فاترك الخلق بالكلية، وانس جميع أصحابك وأهلك، واشتغل بربك، واستوحش من جميع الناس، حتى يقولوا: إنك مجنون، تستأنس حينئذ بالحق وترى العجائب إن شاء الله تعالى.

وإذا لم تفعل ما سمعت مضت أوقاتك فى العناء والتعب، ولم تنل من مطالبك شيئًا، فجد واجتهد واستخرج ما بقى فيك من آثار النفس الأمارة من الكبر والحسد والعداوة والعجب والرياء وسوء الظن فى عباد الله والاعتراض عليهم بالباطن والظاهر.

ولا تخلص من هذه الأشياء بالكلية إلا إذا تجنبت الخَلْق، وأعرضت عنهم بظاهرك وباطنك، حتى إنه لا يلزمك فى هذا المقام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لأن الأمر بالمعروف ينبغي أن يكون بلطف وتواضع للمأمور، فأنت فى هذا المقام لا تقدر على هذا.

قال النبى ﷺ «من أمر بمعـروف فليكن أمره بمعروف»[١]، ولأن الأهم فى حـقك خلاص نفسك من الهـلاك الأبدى وتنقية قلبك من الآفات المانعـة له عن مشاهدة الحق، لأن القلب محل نظر الحق، فتصفيته فرض عين ليشاهده ويخاطبه بغير حاسة.

واجعل دعاءك قبل تصفية قلبك: «يا مصرف القلوب اصرف قلبى إلى طاعتك»[٢].

وبعد تصفيتة «يا مقلب القلوب ثبِّت قلبى على دينك»[٣].

وذلك عند طلوع الشمس، وعند الغروب، يعنى تقليب الله تعـالى القلوب، هو تقليبه إياهم من الغفلة إلى التـذكر وبالعكس، ومن الضحك إلى الـبكاء وبالعكس، ومن الخوف إلى الأمن، ومن القبض إلى البسط، وأمثال ذلك.

والمراد من هذا الدعـاء: طلب الاستقـامة على هذا الطريق، وفى هذا المـقام أعنى: المقام الثانى يظهر لك سر قوله ﷺ : «قلوب العـباد بين أصبعين من أصابع الرحمن»[٤] فهو رازقك، ينسـيك ألم المجاهدة، ويرغبك فى السلوك، ويـكرهك فى كل ما سوى الله تعالى.

وذلك إذا فعلت ما سـمعت، وإن لم تفعل فما ترى إلا التـعب والعناء، فإن ظهر لك

---

(١) حديث (من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف).
رواه البيهقى فى الشعب عن ابن عمر رضي الله عنهما
انظر الحديث رقم (٢٠٣٨٥) ٦/ ١٢٠ من جامع الأحاديث للسيوطى.

(٢) حديث (يا مُصرِّف القلوب اصرف قلبى إلى طاعتك..).
رواه البيـهقى فى الدعـوات عن ابن عمـر رضي الله عنهما، وهو عند مسلم مـن حديث ابن عمـرو، ولفظه: (اللهم مصرف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك).
انظر: العجلونى: كشف الخفاء حديث رقم (٣٢١٤) ٢/ ٣٩٠.

(٣) حديث (يا مقلب القلوب ثبّت قلبى على دينك).
رواه ابن مـاجه والحـاكم عن النوّاس بن سمـعان رضي الله عنه بلفظ (يا مـثبِّت الـقلوب ثبِّت قلوبنا على دينك).
انظر: العجلونى: كشف الخفاء حديث رقم (٣٢٧٩) ٢/ ٤٠٠
وأورده بنفس لفظ الترجـمة هنا العجلونى وقـال: رواه الترمذى وحـسَّنه عن أنس رضي الله عنه، والحاكم وصححـه عن جابر رضي الله عنه وزاد فيه: (قـالوا: وتخاف يا رسول الله؟ قـال: وما يؤمنتى والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشـاء) وفى لفظ آخر (وإن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه) وعند البخارى: (لا ومقلب القلوب).
انظر: العجلونى حديث رقم (٣٢١٥) ٢/ ٣٩٠.

(٤) حديث (قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن). انظر تخريج الحديث السابق.

شيء من هذا السر بغير مجاهدة فهو ادعاء من النفس ما ليس فيها من الكمال، لأن من شأنها أنها متى سمعت بكمال ادّعته.

قال سيدى عمر بن الفارض[١]، العارف بالله تعالى:

فَجَاهِدْ تُشَاهِدُ فِيكَ وَمِنْكَ مَا
وَصَفْتَ سُكُونًا عَنْ وُجُودِ سكِينَتِى

فالمشاهدة لا تحصل إلا بالمجاهدة فجاهد نفسك واستخرج ما فيك من الكنوز، ولا ترضى بالسفساف ولَقْلَقَة اللسان من ادعى بما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان.

فامتحنْ نفسك ولا تصدقها، وكن أنت المحتسب عليها، وكلما يظهر منها ما يخالف الطريقة فازجرها وعادها، واحك لشيخك، ولا تُخْفِ عنه شيئًا من قبائحها، لأنك كلما حصلت من هذه الطريقة من الأسرار فنفعه عائد عليك، وكلما حصل لك من الغرور والتلبس والتزوير توخى منه كذلك عليك.

فاصدق فى الطلب والمجاهدة ينكشف لك عجائب القلب وأسراره وتدخل فى عالم المثال، وهو عالم غير هذا العالم الذى أنت فيه، ولا يعرفه إلا مَنْ كان فى مقامه القلب وهو نهاية المقام الثانى من المقامات السبعة المذكورة فى هذا الكتاب.

وهذا أول مقامات المقربين، وفيه يرى السالك الأمور التى لا تدرك بالحواس الخمس، لأن القلب ـ أى قلب المؤمن ـ عرش الله وبيت الله، بمعنى أنه محل لأن توضع فيه أسراره تعالى وتقدس، فكن تابعًا للشريعة وهى أقوال النبى ﷺ، متخلقًا بالطريقة وهى أفعاله ﷺ من الجوع الكثير، والنوم القليل، والصمت، فكان رسول الله ﷺ «إذا تكلم فلا يتكلم إلا بخير»[٢] «وكان كثير الصمت»[٣].

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) حديث (كان رسول الله ﷺ إذا تكلم فلا يتكلم إلاّ بخير) انظر حديث هند بن أبى هالة وهو يصف منطق رسول الله ﷺ عندما سئل من الحسن بن أبى طالب بقوله (صف لى منطق رسول الله ﷺ فقال: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة... (لا يتكلم فى غير حاجة) أى: يتحرز عن الكلام من غير ضرورة، انظر جمع الوسائل فى شرح الشمائل ٢/ ٩ باب كيف كان كلام رسول الله ﷺ.

(٣) حديث: (كان رسول الله ﷺ كثير الصمت).

انظر الحديث السابق وتخريجه من جمع الوسائل فى شرح الشمائل وفيه (أن رسول الله ﷺ كان طويل السكت) أى: الصمت.

وانظر أيضًا تخريج الحديث القادم

وروى أحمد بن حنبل[1] فى مسنده، عن جابر بن سمرة[2] أنه قال: «كان ﷺ طويل الصمت، قليل الضحك»[3]، وروى أيضًا عن أبى الدرداء[4]، أنه كان ﷺ «لا

(١) (أحمد بن حنبل) هو: الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، الشيبانى، إمام المذهب الحنبلى ومؤسسه، وأحد الأئمة الأربعة المشهود لهم عند أهل السنة، أصله من «مرو» ولد ببغداد سنة ١٦٤ هـ ودرس فى أول أمره فى مسقط رأسه حتى سنة ١٨٣ هـ، ثم رحل لطلب العلم، فدخل الكوفة والبصرة، ومكة، والمدينة، واليمن، والشام، ومصر، وعنى فى أسفاره بدراسة الحديث، ولما ارتحل الشافعى إلى مصر، قال فى حقه: خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل، وفى أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن، ولكن المأمون مات قبل أن يناظره وتولى المعتصم الخلافة فسجنه ٢٨ شهرا لامتناعه عن القول بخلق القرآن ثم أطلق سراحه سنة ٢٢٠هـ بلغ مسنده (٣٠ ألف حديث) وتوفى سنة ٢٤١هـ.

انظر ترجمته فى: أبو نعيم: حلية الأولياء ٩/ ١٦١١، ابن الجوزى مناقب الإمام أحمد، ابن قنفد القسنطينى: كتاب الوفيات ص ١٧٦، الذهبى: الكاشف ١/ ٦٨، المزى: تهذيب الكمال: ١/ ٢٢٦ ترجمة رقم (٩٣).

(٢) (جابر بن سمُرة) بن جُنادة، ويقال: ابن عمرو بن جندب، أبو عبد الله، العامرى روى عن النبى ﷺ وروى عن خاله سعد بن أبى وقاص، وأبيه سمُرة بن جنادة، وعلىّ بن أبى طالب رضي الله عنهم جميعا.

وروى عنه: تميم بن طرفة، وجعفر بن أبى ثور، وعامر الشعبى وغيرهم، قال ابن سعد: فى الطبقة الرابعة من الصحابة مات رضي الله عنه فى ولاية بشر بن مروان سنة ٧٣ هـ

انظر ترجمته فى: المزى: تهذيب الكمال ٣/ ٢٨٧ ترجمة رقم (٨٥٢) ابن حجر تهذيب التهذيب: ٢/ ٣٥.

(٣) حديث (كان ﷺ طويل الصمت قليل الضحك)

رواه أحمد بن حنبل فى مسنده عن جابر بن سمُرة رضي الله عنه، وأورده السيوطى فى جامع الأحاديث حديث رقم (١٦٤٧٩) ٥/ ١٩١

(٤) (أبو الدرداء) عويمر بن مالك، وقيل: عويمر بن زيد بن قيس بن أميّة بن عامر، الخزرجى، الأنصارى، صاحب رسول الله ﷺ روى عن النبى ﷺ وعن زيد بن ثابت، وعائشة أم المؤمنين وروى عنه: أنس بن مالك، وجبير بن نفير، وسعيد بن المسيب.

كان يقول: (ألا رُبَّ مُنعم لنفسه وهو لها مُهين، ألا رُبَّ مبيِّض لثيابه وهو لدينه مدنِّس).

وله كرامات كثيرة منها أنه كان يأكل مع سلمان فى قصعة فسبّحت.

ولما مرض رضي الله عنه فقيل له: ماذا تشتكى؟ قال: ذنوبى.

فقيل له: فما تشتهى؟ قال: مغفرة ربى.

فقيل له: أندعو لك الطبيب؟ قال: الطبيب أمرضنى.

فلما احتضر قال: من يعمل لمثل يومى هذا، من يعمل لمثل ساعتى هذه، من يعمل لمثل مضجعى هذا ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (الأنعام: ١١٠) مات رضي الله عنه سنة ٣٢ هـ. =

يحدث حديثًا إلا تبسم»[١]، فاتبع أخلاقه وأحواله واعمل بها، فإن فعلت تفجرت ينابيع الحكمة من قلبك على لسانك، وكنت سالكًا طريق المقربين، وبهذا تزيد على الأبرار، ومن هنا تفارقهم مسافرًا إلى حضرة الجبار.

وأول منازلك فى سفرك هذا عالم المثال، وفيه تجتمع بأشباح، التى هى صور بين كثافة الأجسام ولطافة الأرواح وترى ما يسترك وما يقوى همتك على السلوك، ويزيد شوقك وتشتغل نار المحبة فى قلبك، وينقطع عنك جميع الشهوات النفسانية، والأهواء الشيطانية، وإن بقى عليك شهوات روحانية فلا تضرك فى هذا المقام، لأن المطلوب منك حينئذ قطع الشهوات النفسية، التى هى ظلمات بالنسبة إلى ما بعدها.

واعلم أن الدخول فى عالم المثال لا يكون إلا للسالكين، وهو حالة متوسطة بين النوم واليقظة، تعرض للسالك وهو جالس غالبًا، ويسمونها بالواقعة، وترى فيها ما يرى بشرط أن: يعلم المكان الذى هو فيه، والوقت الذى هو فيه أيضًا، وتعلم أنه بين النوم واليقظة، فإذا لم يكن كذلك فهو منام لا يعتد به، ولا يعتنى به.

ولما كانت هذه الحالة بين النوم واليقظة، كان السالك فى البداية يغلب عليه جانب النوم على جانب اليقظة، ثم يترقى حتى يصير جانب اليقظة أغلب، فيرى حينئذ بعض الروحانيين، فيظن أنه رآهم يقظة، والحق أنه رآهم فى هذه الحالة، إلا أن همته لما كانت عالية، كانت هذه الحالة أقرب إلى اليقظة من النوم، فظن أنه مستيقظ.

وفى هذه الحالة دخل جبريل على الصحابة بصورة الأعرابى وفيها ترى روحانية النبى ﷺ فتسمى مشافهة، فيقال: إن فلانًا رأى النبى ﷺ مشافهة، ولا بد من ذهول يعترى السالك حتى ينكشف له عن ذلك.

ولقد اجتمعت مع رجل من السالكين الصادقين، فحلف لى أنه رأى النبى ﷺ بعين رأسه ولم يكن نائمًا أصلاً، فقلت: كيف رأيته؟ فقال لى: كنت فى المكان، وكان معى أخى فلان وأخى فلان، فأقبل علينا المصطفى ﷺ وكلمنى وكلمته بلسانى، ورأيته

= انظر ترجمته فى: المزى: تهذيب الكمال ١٤/ ٤٦٥ ترجمة رقم (٥١٤٣) المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٨٠، ابن قتيبة: المعارف ٢٦٨، ابن حجر: الإصابة الترجمة رقم ٦١١٩، ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ١٥، الذهبى: تاريخ الإسلام ٢/ ١٠٧.

(١) حديث (كان ﷺ لا يحدث حديثا إلاّ تبسّم).

رواه أحمد بن حنبل فى مسنده عن أبى الدرداء رضي الله عنه

أورده السيوطى فى جامع الأحاديث حديث رقم (١٦٥٢٨) ٥/ ١٩٨

بعيني، فقلت له: فهل رأى المصطفى أخوك فلان، وأخوك فلان؟ فقال: لا، فقلت له: لو كانت الرؤيا بعين رأسك لرآه كل من كان في مجلسك، فقال: جزاك الله عني كل خير، كنت تائهًا فدليتني على الطريق، فأوضح لي هذه المسألة حتى يزول عني ما أعتقده، فبينت له الأمر كما تقرر آنفًا.

فلم يبق عنده شبهة في أن اليقظة الصرفة لا يرى فيها إلا ما هو في عالم الملك، وأما ما هو في عالم الملكوت، الذي عالم المثال شعبة منه فلا يرى إلا بعين البصيرة، وإن كانت العينان مفتوحتين.

وفي هذا العالم تكون «الفهوانية»[1] وهي رؤية الحق تعالى في عالم المثال، وقد يلبِّس الشيطان على السالك هذا الأمر، فيظن أنه رأى الحق، والحال أنه رأى شيطانه، ولكن إن أعقبت هذه الرؤيا علومًا ومعارف واتباعًا للشريعة، وتخلقًا بالطريقة، فهي إكرام من الله لعبده، وهي الفهوانية الصحيحة، وإن أعقبت زندقة وشيطنة واتباع هوىً، فهو شيطان جاء يقطع السالك من الطريق.

قال النبي ﷺ «رأيت ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة فقال لي: فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قلت: أنت أعلم، أي: ربي، مرتين، قال: فوضع كفه بين كتفي، فوجدت بردها بين ثديي، فعلمت ما في السماوات والأرض، ثم تلى ﷺ هذه الآية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾[2] ثم قال: فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قلت: في الكفارات، قال: وما هن؟ قلت. المشي على الأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد خلف الصلوات، وإبلاغ الوضوء أماكنه في المكاره، من يفعل ذلك يعش بخير، ويمت بخير، ويكون من خطيئته كيوم ولدته أمه»[3].

---

(١) الفهوانية: تقدم الكلام عن هذا المصطلح. (٢) الآية رقم (٧٥) من سورة الأنعام.

(٣) حديث (رأيت ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة فقال لي: فيم يختصم الملأ الأعلى).

الحديث في أكثر الروايات بلفظ (أتاني ربي) بدلاً من رأيت إلا رواية الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه

وفيها (احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس فخرج سريعًا فثوِّب بالصلاة فصلى وتجوز في صلاته فلما سلم دعا بصوته قال لنا: على مصافكم كما أنتم ثم انفتل إلينا ثم قال: أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة... فإذا أنا بربي...) الحديث.

انظر: أخرجه الترمذي في الروايات المترجم لها هنا في باب (سورة ص) جـ ٢ ص٢١٤، ٢١٥ =

ومن الدرجات: إطعام الطعام، وبذل السلام، وأن يقوم بالليل والناس نيام قال: قل: «اللهم إنى أسألك الطيبات وترك المنكرات، وفعل الخيرات وحب المساكين وأن تغفر لى وترحمنى، وتتوب على، وإذا أردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون». انتهى.

فهذه هى «الفهوانية» الصحيحة، لأنها أعقبت هذه العلوم، وأما غيرها فهى أمور شيطانية، لأن المطلوب من هذه الطريق العلوم والمعارف الإلهية، التى هى نتائج تزكية النفس وتصفية القلب، ولكل واحد من تصفية القلب وتزكية بالنفس علامة.

فعلامة تصفية القلب: حصول الإلهامات والعلوم الربانية والموافقة للكتاب والسنة.

وعلامة تزكية النفس: خلاصها من الغضب والكبر والحسد والعجب والكراهة لبعض الخلق، والميل للبعض الاخر، ومن الشهوة فيكون الخلق كلهم عنده على السوية، لا يحبهم محبة تميّله إليهم فينقطع عن الحق، ولا يكرههم كراهة تغير باطنه عليهم فتشغله عن الحق.

وأكبر المهمات التى يفتقر إليها السالك فى هذا المقام: قطع الشهوة، وهى شهوة الأكل وشهوة الملبس فمتى رأى فى نفسه شهوة لبعض المأكل دون البعض، أو لبعض الملابس دون البعض فيجب عليه المجاهدة وقلة الأكل إلى أن يتساوى عنده جميع المآكل وجميع الملابس، فحينئذ يقال لنفسه: إنها قد تزكت، وخلص من شرها.

وهذه أولى درجات الكمال، لأن للكمال درجات أخر، لا ينالها الطالب إلا إذا قطع شهوات المأكل والملبس، ووصل إلى أول درجات الكمال، ومال قلبه إلى عالم القدس، وأعرضت نفسه عن جميع اللذات.

ومتى كان الرجل مائلاً للشهوات، ولم يتداركها بالرياضيات فهو ليس من السالكين طريق الحق، أعنى: طريق المقربين، وإن ادعاه فهو شيطان ضال مضل، ينبغى على السالكين اجتنابه، لأنه يخشى عليهم من ضلاله، لأن هذا الطريق عبارة عن مخالفة جميع العادات التى ابتلى الناس بها، فمن لم يخرق من نفسه العادات، لم تخرق له العادات.

= انظر الأحاديث القدسية ١/ ١٥٨ الحديث (١٤١) عن ابن عباس ﷺ.
أمّا الحديث (١٤٢) فقد ذكروا بين أبى قلابة وابن عباس وقال الترمذى حديث حسن غريب.
أمّا الحديث رقم (١٤٣) وهو رواية معاذ بن جبل قال عنه الترمذى حديث حسن صحيح.
انظر الأحاديث القدسية ١٦٠، ١٦١.
أمّا الآية فهى رقم (٧٥) من سورة الأنعام.

والسالك الصادق إذا خالف العادات، فقد خالف الناس فى جميع أوضاعهم، فيزعمون أنه مجنون.

ولا تنال المطالب العلية إلا اذا تركت الخلق ترك المجانين، ومتى كان فى قلبك أدنى ميل ولو لبعضهم، فأنت مقطوع بذلك الميل، فإن أردت الوصول، فاقطع عنك كل ما يقطعك عن محبوبك ومطلوبك، وأعرض عن جميع ما سوى الله، ولا تجالس إنسانًا ولو قال لك: أنا الخضر، لأن المشايخ ﷺ شبهوا الحكمة فى القلب بشمعة فى بيت له خمسة أبواب، فإن سُدت الأبواب بقيت الشمعة مشعولة وأضاء البيت بنورها، وإن فتحت الأبواب انطفأت الشمعة وأظلم البيت.

وكذلك الحكمة فى القلب مع الحواس الخمس، فإن توجه إلى سماع المسموعات وإبصار المبصورات، وشم المشمومات ولمس الملموسات وذوق المذوقات، غارت الحكمة، وانطفأ النور، وأظلم القلب.

وإن أعرض عن مدركات الحواس الخمس بالخلوة والعزلة عن الخلق بالرياضة، وقطع جميع الشهوات، تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، وهذا هو النور المشار إليه بقوله ﷺ: «إذا نزل النور فى القلب انفسح وانشرح» قيل: يا رسول الله: هل لذلك من علامة؟ قال: «نعم، التجافى عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله»(١).

وتحقيق هذا، أن القلب له جهة إلى عالم الشهادة، وهى الحواس الخمس، لأن القلب لا يدرك شيئًا من عالم الشهادة إلا بواسطة الحواس، وله جهة إلى عالم الغيب، وهو عالم الملكوت فمتى توجه إلى عالم الشهادة بالحواس الخمس أعرض عن عالم الغيب، ومتى أعرض عن مدركات الحواس الخمس توجه إلى عالم الغيب، ولا يمكنه التوجه إلى العَالمَينِ معًا فى حال بدايته.

فمتى توجه إلى أحد العالمَين أعرض عن الآخر، لكن شتان بين العالمين، لأن عالم الشهادة فى غاية البعد عن حضرة الحق، والقلب إذا توجه إليه وترك عالم الغيب بالكلية كان حيوانًا، فلذلك تراه أسير الشهوات، أسير الغضب، كثير النوم، كثير الخوض فى ما لا يعنى، كثير المخاصمة والمجادلة، لا يحسب عواقب الأمور.

---

(١) حديث (إذا نزل النور فى القلب انفسح وانشرح...).
لم أقف عليه بهذا اللفظ، وله ما يعضّده ومعناه صحيح.

وأما إذا توجه إلى عالم الغيب، وذلك باتباع الأوامر واجتناب النواهى والإعراض عن جميع ما لا يعنيه من فضول الكلام، وفضول المنام وفضول الطعام، اتصف بأوصاف الملكية، وصار غضبه وشهوته مملوكين له، ويتصرف فيهما كيفما شاء.

فحينئذ يكون إنسانًا كاملاً محلا للأمانة دون غيره، وذلك لأن الغضب والشهوة صار للروح المشترك بين الإنسان والملك بمثابة الشىء الكثيف للمرآة، فكما أن المرآة لا ينطبع فيها الصورة إلا إذا كان أحد وجهيها مظلمًا كثيفًا، كذلك الروح لا تكون محلا للتجليات إلا إذا كانت مشتملة على الغضب والشهوة، لكن بشرط أن يكونا محمودَين محفوظَين عن التعدى داخلَين تحت سياسة العقل والشرع.

فالغضب والشهوة وإن سمى الإنسان بهما ظلومًا جهولاً لكنهما لما دخلا تحت سياسة العقل والشرع صارا علة لحمل الأمانة ﴿ وَحَمَلَهَا الإنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾(١).

إذا عرفت هذا عرفت أن الغضب والشهوة إن كانا مملوكين لك كنت الخليفة المشار إليه بقوله: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(٢)، وإن كنت أنت مملوكًا لهما كنت حيوانًا فى صورة إنسان، بل الحيوان خير منك، لأن الحيوان ليس عليه تكليف، ولا عليه عذاب فى القبر، ولا فى جهنم، فجدَّ واجتهد واترك التوانى، واسْعَ إلى نيل السعادات، واطلب الترقى إلى أعلى المقامات، ونزه نفسك عن درجة الحيوانات، واستعن بالرياضات والمجاهدة من الجوع والسهو والاعتزال عن الخلق، والصمت والذكر والفكر، فتملك غضبك وشهوتك، وينشرح صدرك، فلا ترى همّا ولا غمّا، ويوضع عنك وزرك الذى أنقض ظهرك.

فلا يبقى فيك شىء من مقتضيات البشرية المقتضية للذنوب والآثام، فتسعد السعادة الأخروية، ويرفع لك ذكرك، فتهابك أعداؤك فتنجو من مكرهم، فتسعد السعادة الدنيوية ومن كانت هذه أحواله فلا شك أنه هو الخليفة.

واعلم أنك وأنت فى أول هذا المقام الثانى الذى تسمى فيه النفس باللوّامة، لا تخلو من العجب والكبر، وهما سببان للغضب، لأن الغضب نار مستكنة فى القلب استكنان الجمر تحت الرماد، ويستخرجها الكبر، والكبر صفة فى النفس تنشأ من رؤية النفس.

وهذا الكبر هو حقيقة العجب، وأما التكبر على الخلق، الحاصل فى الخارج فهو أثر

(١) الآية رقم (٧٢) من سورة الأحزاب.
(٢) الآية رقم (٣٠) من سورة البقرة.

تلك الصفة، وهذا الغضب: هو الغضب المذموم، لأنه ناشئ عن رؤية النفس، فيغلب صاحبه بحيث لا يدخل تحت سياسات العقل وإشارات الشرع، ويصير الرجل معه كالمضطر، فتتغير صورته الظاهرة وتقبح، ولا شك أن صورته الباطنه أقبح.

ولعل هذا الغضب من النار التى خلق منها الشيطان، وقد أشار النبى ﷺ إلى هذا بقوله لعائشة حين غضبت: «جاء شيطانك، فقالت: وما لك شيطان؟ فقال: بلى، ولكن دعوت الله فأعاننى فأسلم، فلا يأمرنى إلا بخير»(١).

وقد أودع الله هذه النار فى باطن الإنسان لحكمة، فإذا اشتعلت بسبب من الأسباب غلا دم القلب وانتشر فى العروق، وارتفع إلى أعلى البدن، وانصبّ على البشر فَتَحمر إن كان الغضب على من هو دونه، وتصفر إن كان الغضب على من هو فوقه خوفًا منه، وإن كان غضبه على من هو نظيره فتحمر تارة وتصفر أخرى.

وقد ذمه النبى ﷺ فى أحاديث كثيرة منها ما ذكرناه فى الباب الثانى، وهى لا تكاد تنحصر، فمن أراد النجاة فليسع على خلاص نفسه من هذه الخصلة القبيحة، التى لا يرضى بها من له أدنى تأمل، وذلك بقطع مادتها من أصلها، وهى: الكبر والعجب.

وقد عرفت أنهما لا ينقطعان بالكلية إلا بسلوك طريق المقربين، وهو إتعاب النفس بالجوع والسهر، والصمت والعزلة وإبعادها عن عاداتها وتنويرها بالذكر والفكر وغير ذلك.

وعلاج الغضب عن هيجان أن تتأمل فى خسة نفسك وضعفها، وتعلم أن من كان فى هذه الخسة لا ينبغى له الاستعلاء على غيره، وأن تعلم ثواب كظم الغيظ، وأن تخوف نفسك من عقاب الله تعالى وأليم عذابه، وأن تعلم أن الله أقدر عليك منك على غيرك، وأن تحذر نفسك من عاقبة الغضب، وهو أنك إذا غضبت وانتقمت من أحد فلا شك أنه يصير عدوًّا لك، فيتشَمَّر للانتقام منك، وإن كان أضعف منك، فيشتغل قلبك؛ وتكثر عليك الأفكار، والخواطر والخوف والهموم.

وكان يغنيك عن هذا كله التحلم عند الغضب، فتستريح من هذه الأفكار والهموم، وتتشبه بالأنبياء والمرسلين، وإن لم يكن لك حلم، لأن الحلم حالة اضطرارية، والتحلم من الأمور الاختيارية، وهو الكظم.

فأنت مكلف بالتحلم لا بالحلم، ولكنك إن تحلمت مرة بعد مرة، تخلقت بالحلم الاضطرارى، وكنت كامل العقل، لأن الغضب حينئذ دخل تحت سياستك.

(١) تقدم تخريج هذا الحديث.

وقد قال ﷺ : «إنما العلم بالتعلم، وإنّما الحلم بالتحلم، ومن يتخير الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه، وإذا هجم عليك الغضب فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقل: «اللهم رب النبى محمد اغفر لى ذنبى، وأذهب عنى غيظ قلبى، وأجرنى من مضلات الفتن»[١] هكذا ورد عنه ﷺ .

وإن كنت فى حال الغضب قائمًا فاجلس، وإن كنت جالسًا فاضطجع، قال النبى ﷺ «الغضب جمر يوقد فى القلب، ألم تر إلى انتفاخ أوداجه، وحمرة عيونه، فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئًا، فلينتقل، فإن كان قائمًا فليجلس وإن كان جالسًا فليقم، فإن لم يزل غيظه فليتوضأ بالماء البارد وليغتسل، فإن النار لا يطفئها إلا الماء»[٢].

وكان من دعائه ﷺ «اللهم أغننى بالعلم وزينى بالحلم وأكرمنى بالتقوى، وجملنى بالعافية»[٣].

وقال ﷺ : «ابتغوا الرفعة عند الله، قالوا: وما هى يا رسول الله؟ قال: تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وتحلم على من جهل عليك»[٤].

فانظر يا حبيبى بعين الإنصاف، والفرق بين الغضب والحلم واختر الأحسن منهما، وتخلق به، لأن اللازم الواجب عليك كمال نفسك وتزكيتها، وتصفية قلبك، وصقّل مرآته، وأزل الأكدار الخبيثة عنه ليصير قلبًا، وتصير أنت به إنسانًا، فاستعمل هذه الأدوية وعالج ذاتك الشريفة بها، وخلصها من هذه الأمراض النفسانية التى هى أعظم من الأمراض الجسمانية.

وأنفع الأدوية، إزالة الكبر والعجب من النفس، لأن بإزالتهما يزول الغضب الأصلى، لأنهما أصله، وما ذكر من الأدوية الباقية مزيلة للغضب الطارئ مع بقاء أصله وهو الكبر والعجب.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) حديث (الغضب جمر يوقد فى القلب...).

رواه الترمذى فى جامعه باب الفتن ٢٦، ورواه أحمد بن حنبل فى مسنده ٣/ ١٩، ٦١

(٣) حديث (اللهم اغننى بالعلم، وزيّنى بالحلم...).

رواه ابن النجار عن ابن عمر رضي الله عنهما الحديث رقم (٤٩١٩) ٢/ ٣٤ من جامع الأحاديث

(٤) حديث: (ابتغوا الرفعة عند الله...).

رواه ابن عدى فى الكامل عن ابن عمر رضي الله عنهما

انظر الحديث رقم (٧٥) من جامع الأحاديث ١/ ٣٢

ولا يزول الكبر والعجب، إلا إذا انقطع المدد عنهما، وهو الشبع وامتلاء البطن، فجاهد نفسك بالجوع والسهر، لتتخلص من الغضب ومما يتفرع منه، كالحقد وتتخلص مما يتفرع من الحقد كالحسد، وذلك لأن الحسد من نتائج الحقد، والحقد من نتائج الغضب، فيكون الحسد متفرعًا من الغضب، بواسطة الحقد.

والحسد خصلة ذميمة ملعونة، قال النبى ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»(١) وحقيقة الحسد، أن يكره نعمة الله تعالى على أخيه، فيحب زوالها عنه، سواء كانت النعمة دنيوية أو أخروية.

قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾(٢) فأخبر الله تعالى أن حبهم زوال نعمة الإيمان حسدًا.

واعلم أن من جملة أسباب الحسد: الغضب كما مر وله أسباب أخرى مثل: حب الرياسة، وخبث النفس، وكثيرًا ما تكون هذه الأسباب بين أهل الطرائق المتصوفين، فيتمنى زوال ما على أخيه من المشيخة أو الخلافة، وما هو عليه من الاستقامة والتوجه إلى الله تعالى، وذلك من حب الرياسة وخباثة النفس.

ولو علم هذا الحاسد ضرر هذا الحسد فى الدنيا والآخرة لترك الطريق واشتغل بالأسباب، وذلك خير له.

أما ضرره فى الدنيا: فلأنه يتأذى بالحسد ليلاً ونهارًا، ضجيعه لا يفارقه.

وأما ضرره فى الآخرة: فلأنه سبب لسخط الله تعالى على الحاسد، وثواب للمحسود.

فعلى كل حال فالحسد قبيح، وعلاجه: تخويف النفس بما يترتب عليه من التعب فى الدنيا، والعقاب فى الآخرة، وأحسن علاجه: التفكر فى أن الحاسد صار صديقًا لعدوه بإيصال الضرر إلى نفسه، وإيصال النفع إلى عدوه.

وعلى الجملة، فإن آفات النفس كثيرة، ولا يقطعها إلا الصادقون من السالكين طريق المقربين بمجاهدة النفس، والاستعانة بالله تعالى عليها وعلى الشيطان، بل على كل قاطع يقطع السالكين عن طريق مولاهم من الإنس والجن وغيرهما، لأن كل ما فى الوجود يسع على قطع السالك عن حضرة ربه غيرة منهم وحسدًا.

وذلك لعلمهم أن من سلك هذا الطريق، وصدق فى السلوك يئول أمره إلى الخلافة

---

(١) حديث (الحسد يأكل الحسنات...). تقدم تخريجه

(٢) الآية رقم (١٠٩) من سورة البقرة.

عليهم، والسلطة على جميعهم، ومن كان هذا حاله فلا شك أنه محسود، ولكن الحسد لا يضر إلا صاحبه.

فينبغى على السالك أن لا يلتفت إلى شيء من الأشياء، ولا يبالى منه ولا يخافه ولا يهابه، لأن الله تعالى أقرب إليه من جميع الأشياء، ولا يتحرك رَجُل قيد أنملة إلا بإرادته وقدرته، وهو أعلم بالسرائر وما انطوت عليه، لا يعزب عن علمه شيء فى الأرض ولا فى السماء.

ولأنه تعالى أرأف وأشفق عليه من الوالدة على ولدها، ولأنه تعالى لا يصدر عنه إلا الخير، وما يرى من الشر فهو بالنسبة إلى الظاهر، وإلا لو نظرت إلى باطنه بعين التحقيق لرأيته خيراً محضًا.

وإنما سمى شرّا بسبب عدم ملاءمته لبعض الطبائع، وقد يكون ملائمًا لبعضها، فلذلك قالوا: إن الخير مقضى أولاً، وبالذات والشر مقضى ثانيا، وبالعرض.

والسالك قبل أن يطلع على هذا السر العظيم يجب عليه الجد والاجتهاد على تصفية القلب ليشاهده شهودًا ذوقيّا.

إذا عرفت هذا عرفت حينئذ أربعة أمور لا بد للسالك منها:

الأول: معرفة أن الله تعالى لا يتعاص على قدرته شيء.

الثانى: معرفة أنه تعالى عالم بكل شيء.

الثالث: معرفة أنه تعالى رءوف شفوق، أرحم الراحمين.

الرابع: معرفة أن جميع أفعاله خير، ومن عرف هذه الأمور وصدق بها، لا يخاف من كيد الحاسدين، ولا يهاب من الإنس ولا من الشيطان.

فعليك أيها الأخ الصديق بهذه الأربعة أشياء، والتأمل فى معانيها، والصدق فى التوجه وعدم الالتفات إلى أشياء مما لا يعنيك.

فأما تحققك بأن الله قادر على كل شيء، فيزيد همتك على التوجه إليه والطلب منه مع التحقيق بالإجابة، والطلب على هذا المنوال لا يرد أصلاً.

وأما تحققك بأنه تعالى عالم بكل شيء، رءوف رحيم، وحميع أفعاله خيرة، فهذه الأمور تحقق لك مقام التوكل والرضا والشوق والمحبة وغير ذلك من المقامات السنية والأحوال المرضية، وتعينك على الترقى إلى المقام الثالث.

وهو الذى تسمى فيه النفس بالملهمة، ومنه تترقّى إلى النفس المطمئنة، ثم إلى النفس الراضية ثم إلى المرضية ثم إلى الكاملة.

واعلم أنه قد جرت عادة الله تعالى أن الترقى من المقام الثانى إلى الثالث لا يكون إلا على يد السالك العارف بمقامات الطريق وأحواله.

ويمكن أن يخرق الله تعالى العادات، ويترقّى من له فهم وذكاء من غير مسلك، على الخصوص إذا استعان بمطالعة الكتاب، لأنه وإن كان مؤلفه ضعيف الحال والمقال، ولا يذكر بين أصحاب الأحوال، وليس هو من خيّالة هذا الميدان، إلا أن مؤلفه هذا لم يسبق بتأليف على هذا المنوال، لأن كل باب من أبوابه كالمقدمة للباب الذى بعده.

فإذا عمل السالك بما فى الباب الرابع مثلا، يترقّى إلى المقام الذى يشتمل عليه الباب الخامس وهلم جرّا إلى أن يصل إلى أعلى المقامات، وهو المقام السابع فى الباب العاشر.

وكذلك الترقى من المقام الثالث إلى المقام الرابع، لا يكون إلا بالاستعانة بأنفاس المسلّك الكامل لا المسلّك العارف، لأن الكامل عارف وزيادة، فكل كامل عارف ولا عكس.

ولا يُقال للمسلّك كامل إلاَّ إذا أتقن المقام الرابع الذى تسمى النفس فيه بالمطمئنة، وهو أدنى درجات الكمال، وقد يقال لمن أتقن المقام الثالث عارف فالفرق واضح بينهما.

وإنما قلنا: لا يكون الترقى من المقام الثالث إلى المقام الرابع إلا بأنفاس الكامل، لأن المقام الثالث أصعب المقامات وأخطرها لأنه جامع للخير والشر والنفع والضر، يلتبس فيه الحق بالباطل، والزندقة بالتحقيق، إلا من صارت العبادة واتباع الشريعة خلقًا له، وكان شريف النفس، حسن الاستعداد، كريم الأصل، عليُّ الهمة، صائب الفكر، قريب الكشف، فإنه يرى الحق حقّا، ويرى الباطل باطلاً.

وسيتضح لك خطر المقام الثالث فى الباب السادس الذى هو بعد هذا الباب.

وأما الترقى من المقام الرابع إلى المقام الخامس ومنه إلى السادس إلى السابع، فإنه لا يحتاج فيه السالك إلى المسلك إلا القليل من السالكين، لأنه إذا أوقد الله تعالى فى القلب سراجًا من سُرج الكمال، أبصر السالك جميع الكمالات، ويبقى وصوله إليها متوقف على همته بتوقيف الله تعالى، فلا يحتاج إلى المسلّك كثير احتياج، وقد عرفت أن المقام الرابع مقام كمال، وإن كان أدنى الكمالات.



الباب السادس :
فى بيان النفس الملهمة ...

فى بيـان النفس الملهـمة، وبيـان سيـرها، وعـالمهـا، ومحلهـا، وحـالها، وواردها، وصـفـاتها، وبيـان العـلاج للخلاص منهـا، والترقى عنها إلى المقام الرابع.

فَسَيْـرُها على الله يعنى: أن السالك لا يفتح نظره فى هذا المـقام إلا على الله، لظهور الحقيقة الإيمانية على باطنه، وفناء ما سوى الله فى شهوده.

وعالمها: عالم الأرواح.

ومحلها: الروح.

وحالها: العشق

وواردها: المعرفة.

وصفـاتها: السـخاوة، والقناعـة، والعلم، والتواضع، والصـبر، والتحلـم، وتحمل الأذى، والعفو عن الناس، وحملهم على الصلاح، وقـبول عذرهم، وشهود أن الله تعالى آخذ بناصية كل دابة، فلم يبق له اعتراض على المخلوق أصلاً.

ومن صـفاتهـا: الشـوق، والهـيمـان، والبكاء، والقلق، والاعـتـراض عن الخلق، والاشتغال بالحق، والتلون، وتعاقب القبض والبسط، وعدم الخوف، والرجاء وحب الأصوات الحـسنة، وزيادة الهيمـان عند سمـاعها، وحب الذكـر وبشاشة الوجـه، والفرح بالله، والتكلم بالحكم والمعارف والمشاهدة.

فهذه الصفات وأمـثالها صفات النفس الملهمة، وإنما سمـيت ملهمة، لأن الحق تعالى ألهمها فجورها وتقواها، وصارت تسـمع بغير آلة لمة الملك، ولمة الشيطان، بعد أن كانت وهى فى المقام الذى قبل هذا لا تسمع شيئًا، لأنها كانت قريبة من مقام الحيوانات.

ولأجل أنها سمـعت لمة الملك ولمة الشيطان، كـان هذا المقام خطرًا صعبًـا، يحتاج السالك فـيه المسلك ليـخرجه من ظلمة الشـبهات، إلى نور التـجليات، لأنه وهو فى هذا المقـام ضعيف الحال لا يفـرق بين الجلال والجمـال، ولا بين ما ألقاه المَلَك، ومـا ألقاه الشيطان، لأنه لم يخلص من الطبـيعة بالكلية، ولم تسلب عنه جمـيع مقتضيـات البشرية، ويخشى عليه إن غفل عن نفسه أن يهوى إلى سجين وأسفل السافلين.

أعنى: المقام الأول الذى تسمى فيه النفس بالأمّارة، فيرجع إلى ما كان عليه من الأكل الكثير، والشرب الكثير، والنوم الكثير، والاختلاط مع الخلق، وربما يفسد اعتقاده ويترك

الطاعـات ويرتكب المعـاصى، ويزعم أنه مـوحد مكاشف، وأن غـيره من أهل الطاعـات محجوبون عن هذا الشهود.

فإن فسد اعتقاده، هلك مع الهالكين، والتـحق بالكفرة المشركين واطلعت نار الطبيعة على فؤاده فأحرقت ما كان فى قلبه من الإيمان وضاع تعبه وعناؤه، وما بلغ شيئًا من مناه، بل صار شيطانًا ضالا مضلا لاحت له خيالات شيطانية، فظن أنها تجليات رحمانية، بعد أن كانت بشريته قد دقت وروحانيته قد قـويت، وزالت عن قلبه صممه وقرب فرجه، وما بقى عليه إلا القليل حتى يدخل حضرة الملك الجليل، ولاحـت له بشائر التوحيد، وقوى على المجاهدة والتجريد.

وسبب هذه المصيبة التى أصيبها هذا السالك بعد قربه من مقام الكمال، أنه كان قريب العهد من الـمقام الأول، أعنى: المقام الذى تسـمى فيه النفس بالأمارة، وبسـبب الرياضة والمجاهدة انكشـف عنه بعض الحجب، وزال عنه الخوف الذى كان حـاصلاً من الحجب وكان يمنعـه من المعاصى، ويبعثـه على الطاعات، وقلَّ من إذا زال خوفـه أن يدوم اتباعه للشريعة.

فالواجب عليك أيها الأخ فى هذا المقام متابعة الشيخ وإن سولت لك نفسك أنك أرقى منه وأنك موحد وأنه محجوب.

ويجب عليك اتبـاع الشـرع ومـلازمـة الأدب، وأن تكون نفسك على قـراءة الأوراد وتقيـدها بقيد الطـريقة، وإن عسـر عليها ذلك لأنهـا فى هذا المقام مـائلة للإطلاق وخلع العذار وعدم الـمبالاة، والمقصـود مخالفتـها إلى أن تطمئن، وذلك بالوصول إلـى المقام الرابع الذى تسمى فيه النفس بالمطمئنة: وهو سعادة الدارين، وقرة العين.

ومتى وضع السالك قـدمه فيه، خلص بعون الله تـعالى من جميع الآفات النفـسانية، وجميع مقتضيات البشريـة الحيوانية لأنه يرقى إلى أول درجات الكمال، وهب عليه نسمات القرب والوصال، وانتقل من التلوين إلى التمكين.

فانهض يا طـالب الكمال واترك رعونات النـفس تغتر بمـا لاح لك من التوحـيد، ولا تجعله سببًا لرجوعك وانقطاعك عن مطالبك العليـة، بل كن مستعينًا به على تمزيق ما بقى من الحجب النورانية.

واطلب الحضرة الأحدية، ولا تلتفت فى طريقك إلى ما لاح لك من البوارق العلوية، لأنها حجب تمنعك عن التقرب إلى الذات العلية، وتكون سببًا لعودك لمقام الحيوانات.

فداوم على الأشـياء التى أوصلتك إلى مـا أنت فيه من الانكشـاف تخلص من الخطر ويزيد انكشـافك، وذلك بأن تفعل ما كنـت تفعله أولاً من السهـر والجوع والاعـتزال عن الخلق وقلة الكلام، وأن تتمسك بأذيال شـيخك إن كان هو كاملاً، وستـرد عليك أوصافه فى خاتمة الكتاب، بأن تخبره بكل ما خطر لك حسنًا كان أو قبيحًا.

وكلما زاد اعتقادك به، قوى انجذابك إلى عالم القدس، وضعف جانب البشرية، وقد يغلب على ظنك فى هذا المقام أنك أعرف من شيـخك فتنحرم المدد منه، فادفع هذا الظن بمطالعة خاتمة هذا الكتاب، فإنك تعلم منها أوصاف الكامل، ولا يلتبس عليك بغيره.

ومتى علمت أنه كامل فادخل تحت كنفـه، واجزم بأن خلاصك على يده، وتحمل ما تلقاه منه من الأذى، وكن بين يديه كالميت بين يدى الغاسل، وإياك أن تنكر عليه حالة من الحالات، وإذا صار لك عليه إنكار، فاعرضه عليه وتب منه إليه.

وقد يحصل لك منه مـا يقتضى الإنكار عليه، كأن تراه ينصـر خادمه على إتلاف شىء من الأشياء التى لا قيمة لها، ويـضر به ويتألم على فقد هذا الشىء، فادفع هذا الإنكار بأن أحوال الكامل لا تقاس على أحوال غيره، ولا يعلم حقيقة الكامل إلا الله تعالى.

وإذا لم يتيسر لك صحبة الكامل، فعالج نفسك باتباع الشريعة وملازمة الأوراد الواردة عن النبى ﷺ وأكثـر من الصلاة على النبى ﷺ ومن الاسـتغفار، وأكـثر من صحـبة الأبرار.

هذا كله إذا وقعت فى الخطر، وغلب شر هذه النفس على خيرها، فإن لم يقع وغلب خيرها على شرها، فانبسط وانشرح وانطرب واخلع العذار وأعرض عن الأكدار، ولا تتفكر فى جنة ولا نار، ولا تلتفت إلى من يُعـيِّرك بخلع العذار المحجوب بالأغـيار، وإن غضب عليك وقلاك، لأن مطلـوبك غير مطلوبه، فـلا يمكن الاتفاق بينكما، لأن مـطلوبه سفلى ومطلوبك علوى، وهما ضدان لا يجتمعان:

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾[1] وصاحب من كان مطلبه موافقًا لمطلبك.

فى هذا المقام قال العارف بالله تعالى:

خَلَعتُ عِـــذَارِى وَاعْـــتِـــذَارِى الـ
ـخَـــلاَفَـةَ مَـــسْـرُوراً بِـخَلْعِى وَخِلْعَـتِى

(١) الآية رقم (٢٩) من سورة النجم.

وَخَلْعُ عِـذَارِى فِـيكَ فـرْض وإن أبى اقـ
ـتـــرَابِى قَـــوْمِى وَالخَـــلاَفَـــةُ سُنَّتى
وَلَيْـــسُـــوا بِقَـــوْمِىَ إنْ اعَـــابُوا تَهَـــتُّكِى
وَأبدُوا قِلَى واسْـتَـحْسَـنُوا فِيكَ جَـفْـوَتى
فَـــأَهْـلِى فِى دِينِ الـهَـــوَى أهْلَـهُ وقَـــد
رَضُــوا لِى عَارِى وَاسْتَطَابُوا فَـضِـيحَـتِى
فَـمَنْ شَـاءَ فَلـيُـغْـضبْ سِـوَاكَ فَـلاَ أذىً
إذَا رَضِــيَـتْ عَنى كِـــرَامُ عَـــشِـــيــرَتِى

والحاصل أن هذا المقـام الثالث مقام جامع للخير والشر، فإن غلب خيـر نفسه على شرها ترقَّت إلى المقـامات العلية، وإن غلب شرها على خـيرها تنزلت إلى سجين الطبـيعة وأسفل السافلين، ويجب على السالك حينئذ إتعابها وتحقيرها، كما مر.

وعلامة غلبة الخـير على الشر، أنك ترى باطنك مغموراً بالحقيـقة الإيمانية، وظاهرك مغموراً بالشريعة الإسلامية، وذلك بأن يكون باطنك مـحققًا بأن جميع ما فى الوجود جارٍ على وفق إرادة الله تعالى، مقدور بقدرته تبارك وتعالى، وأن يكون ظاهرك متلبسًا بالطاعات مجتنبًـا عن جميع الكبائـر وأكثر الصغائر، سـواء كنت بين الناس أو كنت فى الخلوة، هذا علامة غلبة الخير على الشر.

وأما غلبة الشر على الخيـر فعلامته أن يقوى شهود الحقيـقة الإيمانية على السالك مع بقاء شيء من بشريـته، ولا يكون ظاهره مغموراً بالشـريعة فيتـرك الطاعات، ولا عجب أن يرتكب المعاصـى، وذلك لأنه لمّا قوى على شهود الحـقيقة، ورأى أن أفـعاله جارية على وفق إرادة الله تعالى انحجب بأنوار الحقيقة عـن أسرار الشريعة، فيُطرد عن أبواب الحضرة الجامـعة للضـدين، وعن شهود الواحـد الحقـيقى اثنين ووقف عند البـوارق التى وافقت طبعه، وخسـر دنياه ودينه، فغلب شره خيـره، وصار زنديقًا لا يقف عند دين من الأديان، ولا يميز بين الإنسان والحيوان.

وسأضرب لك مثالاً يعينك على الخلاص من شر هذا المـقام عند غلبة شهود الحقيقة وسقوط الشريعة من عينك، وبه تعلم أن الشريعة باطن الحقـيقة، وسرها لا كما فهمته من مطالعة الكتب وبعض الأفواه، من أن الحقيقة هي باطن الشريعة وسرها.

وذلك كسيِّد بَنَى داراً عظيمة، ووضع فيها جـميع ما يحتاج إليه الإنسان من أمور الدنيا

والآخرة، وجميع الأمور الخيرية والشرية، وعيَّن لكل نوع من أنواع الخير بابًا، وأخبر عبيده: أنه قد جرت عادتى أنى لا أخرج هذا النوع من الخير إلا من هذا الباب، وعيَّن لكل نوع من أنواع الشر بابًا، وأخبرهم كذلك فعين للخبز بابًا مثلاً، وللماء بابًا، وللحم بابًا، وعيّن لصحبته أبوابًا ولرؤيته أبوابًا، ولرضاه أبوابًا، ولسخطه أبوابًا، وأمثال هذه الأشياء مما لا يُعد ولا يُحد، ثم أرسل إلى عبيده رسولاً ليبين لهم ما عينه من الأبواب لإخراج ما فى الدار، وليبشرهم أن من وقف على أبواب الخير وطلبه أصاب ما عيّنه لها السيد ورضى عنه السيد، ولينذرهم أن من وقف على أبواب الشر وطلبه أصاب ما عينه لها السيد، وغضب عليه السيد.

فجاء بعض العبيد ووقف على أبواب الخير وقفة الذليل الحقير، وطلب من السيد ما عينه بفضله وكرمه، وما نظر إلى الأبواب إلا من حيث أن السيد عينها لأن يخرج نعمة منها فلم تحجبه رؤية الأبواب عن مشهود السيد والتذلل له، وأهمل الأبواب وطلب نعم السيد من غير الأبواب التى عينها، حتى يكون تاركًا للأدب، مبطلا لما اقتضته حكمة السيد.

فهذا الصنف من العبيد المقربون عند السيد هم أحباؤه، لأنهم وضعوا كل شىء فى موضعه، والصنف الثانى من العبيد فعلوا مثل ما فعل هؤلاء، إلا أنهم لمّا وقفوا ممتثلين أمر السيد أعجبتهم نفوسهم، ورأوا أنهم خير ممن لم يمتثل أمر السيد، فحس عليهم السيد أنهم معجبون فأخرج لهم ما عينه من الخير، إلا أنه لم يقربهم من حضرته كما قرّب الصنف الأول.

وأما الصنف الثالث من العبيد، فإنهم لم يقفوا على الأبواب، فلم يُخرج لهم ما عينه السيد، لكونهم يعتقدون أن الأبواب لا دخل لها أصلاً، بل ولا هناك أبواب، وأن المعطى هو السيد من غير باب ولا اقتضاء حكمة، فأبعدهم السيد عن حضرته لجهلهم بحكمته وعدم وقوفهم على أبوابه، فصاروا يدعون محبته وهو يكرههم.

فالعبيد حينئذ على ثلاثة أقسام: قسم شهدوا السيد معطيًا من باب عينه بفضله، وقسم شهدوا هذا المشهد مع رؤية نفوسهم، وقسم لم يشهدوا سوى السيد.

فالسيد مثال لله تعالى والشوق إلى الوصال وإلى الاجتماع مع الأحبة وتذكر لقاء المحبوب والتمتع بجمال وجه المعشوق، فإن هذه الأشياء تقوى السالك على السّير، خصوصًا إذا رأى نفسه رجع إلى ورائه، فإنه يتقطع قلبه ويزيد بكاؤه.

وقد روى عن مجنون ليلى[١] حكاية فيها إشارة إلى هذا المعنى قال: ركبت ناقتى وتوجهت نحو حى ليلى، وسقتها بهمتى حتى قطعت مسافة كثيرة، فغلب علىّ النوم فنمت، فلما استيقظت رأيت الناقة قد رجعت إلى المكان الذى ارتحلت منه، لأنها ألفت ذلك المكان الذى فيه ولدها، فركبتها وتوجهت مرة أخرى وسقتها بهمة أقوى من الهمة الأولى، فغفلت فلما استيقظت رأيتنى فى المكان الذى ارتحلت عنه، ولم أزل أركبها وهى تلتفت إلى إلفها وولدها، حتى عجزت وذللت وقلت حيلتى فألقيت نفسى من على ظهرها فانكسرت برجلى، فزحفت زحفًا إلى أن وصلت إلى أبى ليلى.

فإلقاؤه نفسه من على ظهرها إشارة إلى إظهار العجز والمذلة، وانكسار العبودية، لأن هذه الأشياء تعين على الوصول إلى جميع المطالب، لأن الذل والافتقار والمسكنة أكسب السعادة.

وكنت وأنا فى هذا المقام إذا سمعت هذه الحكاية وإذا حكيتها لأحد ينقطع قلبى وتنسكب عبرتى على خدى وتركبنى الذلة والمسكنة حتى يرحمنى كل من رآنى ويرنوا لحالى جميع أصحابى وإخوانى، ومع هذا أنا ملتذ ببكائى، ومتنعم بتقطيع قلبى، راضٍ بالمسكنة والذل.

---

(١) (مجنون ليلى) هو: قيس بن الملوّح بن مزاحم بن قيس العامرى المشهور بمجنون ليلى، الشاعر المتيّم، من أهل نجد، لُقّب بالمجنون لهيامه فى حُبّ (ليلى بنت سعد العامرية) وقد نشأ معها إلى أن كبرت فحجبها أبوها عنه فهام على وجهه ينشد الأشعار، وساح فى البلاد، وَوُجدَ مُلْقًى بين أحجار وهو ميّت فحُمِلَ إلى أهله.

ترك ديوانًا من الشعر كله فى محبتها والهيام بها، فمنه:

وإنّى لأَستغشى ومـا بى نَعْسَةٌ
لعلّ خيالاً منك يلقى خياليا
هى السِّحْرُ إلاَّ أن للسِّحْر رُقْيةٌ
وأنّى لا أُلفى لها الدهرَ راقيا
ذَكت نارُ شوقى فى فؤادى فأصبحت
لها وهجٌ مستضرَمٌ فى فؤاديا
فَيَارَبُّ إذْ صَيَّرتَ ليلى هى المنى
فَزِنِّى بعينيها كما زِنْتَها ليا

انظر ديوان المجنون جمع وتحقيق عبد الستار فراج قافية الياء ولترجمته انظر المقدمة، وانظر: المرزبانى: معجم الشعراء ١٨٨، الزركلى: الأعلام ٦/ ٦٠، كحالة: معجم المؤلفين ٨/ ١٣٥، حاجى خليفة: كشف الظنون ٨٠٧.

فما أحسن هذا الطريق، وما أحلى أحواله، وما أعلى مقامة سالكيه، وما أنعم بالهم، إن افتقروا فهم أغنياء، وإن ذُلّوا فهم أعزاء، رأس مالهم الذل والافتقار وإظهار العجز والمسكنة.

قال العارف بالله رحمة الله عليه:

ذَلَلْتُ لَهَا فِي الحَيِّ حَتَّى وَجَدتّنِي
وَأَدْنَى مَنَال عِندَهُمْ فَوْقَ هِمَّتِي
وَأَهْمَلَنِي وَهَنًا خُضُوعِي لَهُمْ فَلَمْ
يَرَوْنِي وَهَنًا بِي مَحَلا لِخِدْمَتِي
وَمِنْ دَرَجَاتِ العِزِّ أَمْسَيتُ مُخْلِدًا
إِلَى دَرَكَات الذُّلِّ مِنْ بَعْدِ نَخْوَتِي
وَلَوْ عَزَّ فِيهَا الذُّلُّ مَا لَذَّ لِى الْهَوَى
وَلَمْ تَكُ لَوْلاَ الحُبُّ فِى الذُّلِّ عِزَّتِى

واعلم أيها العارف أنك وأنت فى هذا المقام روحانى لطيف قد أشرقت عليك شمس العيان، وأقبلت عليك بشائر الكمال، وهب عليك نسيم الوصال، وكُشف عن قلبك من الحجب أكثرها وأكثفها، وزال عن نفسك من الحظوظ أعظمها وأقبحها، لأن هذا المقام للروح، والروح وإن كانت محجوبة عن شهود جمال الحق ولها حظوظ تقطعها عن الوصول إلى حضرته إلا أن حجابها نورانى، وحظوظها مقبولة، لأن حظوظها طلب رؤية الحق، وطلب المشاهدة والوصال، وذلك من غلبة العشق والشوق والهيمان المقتضية لطلب الشيء قبل أوانه، وهذا شأن العاشقين.

فأنت فى هذا المقام من العاشقين المتلذذين بالذل والافتقار، والمحبين الذين ليس لهم عن محبوبهم اصطبار كلما سمعت من الأشعار المنقولة عن السادة الصوفية، فهى مقولة فى هذا المقام.

فاخلع العذار ولا تُبال من العار، واسع على سقوط حرمتك من أعين الناس بتغيير الجلاس، حتى لا يكون لهم بك اعتناء ولا يكون لك عندهم قيمة ولا قدر ولا ذكر، لأنه بهذه الأشياء يلتذ العاشقين، وبها يُعلم الكاذب من الصادق، قال العارف بالله تعالى:

وَلَوْ عَزَّ فِيهَا الذُّل مَا لَذَّ لى الهَوَى
وَلَمْ يَكُ لَوْلاَ الحُبُّ فِى الذُّلِّ عِزَّتِى

ومدعى المحبة كثيرون، والصادقون منهم قليلون، والصادق فى المحبة هو الذى ليس فى قلبه سوى محبوبه، نسى الخلق كلهم، فلم يخطروا على باله، وإذا لم يخطروا بباله فهو أيضًا لم يخطر ببالهم.

فلذلك لم يذكروه ولم يعتنوا به، وأنكروا عليه حاله، وقالوا عنه: إنه مجنون لا يدرك ما كان عليه من العز والرفعة بالذل والانخفاض.

وقال سيدى العارف بالله عمر بن الفارض

تَبَالَهَ قَومِى مُذْ رَأَونِى متيمًا
وَقَالُوا: بِمَنْ هَذَا الفَتَى مَسَّهُ الْخَبْلُ
وَمَاذا عَسَى عَنِّى يُقَالُ سِوَى
غَدَاهُ بِنُعْم لَهُ شُغْلٌ نَعَمْ لى بِهَا شُغْلُ
وَقَالَ نِسَاءُ الحَىِّ عَنَّا بِذِكْرِ مَنْ
جَفَانَا وَبَعْدَ العِزِّ لِذُلِّهِ الذُّلُّ
إذَا أنْعَمَتْ نُعْمُ عَلَىَّ بِنَظْرَةِ
فلا أسْعَدَتْ سُعْدَى ولا أجْمَلَتْ جُمْلُ

واعلم يا حبيبى أن من شرط المحب امتثال أمر المحبوب.

قال الشاعر رحمة الله تعالى عليه:

تَعْصَى الإلهَ وأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ
هَذَا لعَمْرِى فِى الفِعَالِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لأطَعْتَهُ
إنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

وإياك أن تزل بك القدم، وتظن أن المراد بخلع العذار ترك الأوامر الشرعية كما يظن الضالون المضلون الملاحدة الزنادقة الذين لم يخرجوا من عالم الطبيعة، ولم يكن لهم علم بالحقيقة، ولا اتباع للشريعة، فيتركون الصلاة والصوم، ويتبعون الشهوات ويفعلون المنكرات، ويدخلون الخمَّارات والقهوات، ومع هذا كله يدعون أنهم أناس موحدون، وأنهم محبون حضرة الحق، وأن ما هم فيه هو خلع العذار، وإن مثلهم قد سقط عنه التكليف، ولم يعلموا، قاتَلَهمُ الله، أن هذا كفر وضلال، وبُعد عن حضرة ذى الجلال، لا يوافق مذهبًا من المذاهب ولا دينًا من الأديان.

وما أشبه أصحاب هذا المذهب بالخبير في الأكل الكثير والنوم الكثير، وعدم المبالات، وعدم الحياء من الخلق في قضاء شهواتهم بين الناس.

فإياك أيها العارف أن يغلب هذا الشهود الشيطاني عليك، وتعتقد أن المراد من خلع هذه الأمور النفسانية والأهواء الشيطانية بل المراد من خلع العذار أنك تفعل الأفعال الموفقة للشريعة، المسقطة لجاهك وتعظيمك عند الخلق، الموجبة لعدم اعتنائهم بك، وعدم توقيرهم لك بأن تحمل حاجة بيتك على ظهرك، وتحمل طبق الخبز على رأسك وتخبزه، وتنقل الماء إلى عيالك وإلى إخوانك.

وتختلف هذه الأفعال باعتبار الأشخاص، فقد يكون هذه الأشياء مسقطًا لجاه بعض الناس، وقد يكون فيها تعظيم لبعضهم، فينبغي عليك أن تنظر الأشياء التي تسقط جاهك عند الناس وتفعلها والله هو الوكيل عليك، فإن أحسنت أحسنت لنفسك، وإن أسأت فعلى نفسك، فلا تلبس على نفسك، فإن رخامة التلبيس راجعة عليك.

وإياك أن تفعل ما يخالف الشرع ونقصد به إسقاط جاهك من أعين الناس، بأن تشرب الخمر أو تفعل شيئًا من المحرمات، فإن هذه دسيسة شيطانية تقطعك عن مطلوبك، فإن المحرمات من خواصها: ظلمة القلب، ومتى أظلم القلب شوهدت الأشياء على خلاف ما هي عليه ووقع الخبط.

وأنت إن كنت صادقًا في طلب الأشياء المسقطة للجاه، فعليك بالأشياء المباحة الشرعية، تراها أكثر من الرمل والذر، فأي حاجة لك بالمحرمات التي إذا فعلتها أتلفت عليك كل ما تعبت عليه في سلوكك.

ونحن مرادنا أنك تفعل شيئًا يصلح ما تعبت عليه ويفيدك فائدة تساعدك على قطع ما بقي فيك من القواطع المانعة من الوصول.

وفائدة خلع العذار الشرعي: قطع الموانع التي تمنع عن لقاء المحبوب وهي كثيرة جدًا، ولا يقطعها كلها إلا خلع العذار بالوجه الشرعي، مثلاً: الملبس الفاخر من بعض القواطع، لأنه يحتاج من ابتلى به إلى تحصيله بأنواع من الحيل والنصب، وهذا قاطع له عن محبوبه، فإذا خلع العذار لبس ما وجد وسهل عليه تحصيله وتوجهه إلى محبوبه، فهذه بعض فوائد خلع العذار، وقس على هذا المثال، إن كنت عارفًا بكل شيء يقطع عن حضرات القرب ويصرف وجه السالك عن جناب الرب.

واعلم يا حبيبي أنك في هذا المقام لا يعسر عليك خلع العذار كما يعسر في غيره من

المقامات، لأن هذا المقام مقام العشق، ومن كان فى مقام العشق لا يسهل عليه خلع العذار، ولذلك لم يذكر فى المقام الذى قبله ولا فى الذى بعده، لأن كل مقام له مقال.

وما أَلَذّه إذا كان على الوجه الشرعى، وما أنوره وما أكثر ثوابه، وما أقبله عند العقلاء وإن اغتاظ منه الحمقى السفهاء.

واعلم أنك متى تممت خلع العذار ماتت نفسك الشيطانية القاطعة عن جناب الحق، وحصل لك خطاب الروحانيين بأمر أو نهى، فلا تلتفت إلى شىء منه ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾[١] ولا يزدك خطاياهم فرحًا ولا حزنًا، لأن مقصد الجميع أن يلهوك عن مطلوبك، فلا تشتغل إلاَّ بمحبوبك.

وإن لم تسمع شيئًا فهو الأحسن فى حقك وإلاَّ صلح لك، لأن الطالب قد ينقطع عن السلوك بسبب سماع شىء من ذلك، لأنه شىء غريب ما سمع مثله قط، إنه خطاب الحق وإن وصل إلى مطلوبه فتفتر همته ويرجع إلى عالم الطبيعة، وهذا أيضًا من خطر هذا المقام.

فكن منه على حذر، ولا تنقطع بشىء من الأنوار، فإنه إلى ربك المنتهى، ولا تقف عند شىء سوى الله، واستعن به على قطع كل ما يقطعك عنه، فإنه لا وصول إليه إلا به، وإياك أن تنغر[٢] بشىء يكشف لك، فتفتر عن مجاهدتك بعدما صارت لك خلقًا وسهلة عليك، لأن مطلبك غالى الأسعار عالى المقدار كثير الأخطار، لا يصل إليه إلا كل من عَلَت همته، ولا يهتدى إليه إلاَّ كُل من صحت إرادته.

وفى هذا المقام يعرض عليك حالة الفناء فتعينك على الترقى من هذا المقام إلى المقام الرابع، وهو الذى يكون النفس فيه مطمئنة، والفناء فى هذا المقام حالة تعرض على السالك تغيبه من كل مدرك؛ غيبة ذهول لا غيبة إغماء أو نوم، فتذهل كل حاسة عن محسوسها وتصير كأنها تدرك ولا تدرك.

فمثلاً: تذهل العين عن المبصرات مع إبصارها لها، فيصير حال السالك كحال رجل أصيب بمصيبة، فمر فى تلك الحالة على صاحبه ونظر إلى وجهه ولم يسلم عليه، فإذا قال له لأى شىء تمر بى ولا تُسلم علىَّ؟ فيقول له: والله ما رأيتك من عظم مصيبتى.

وكذلك الأذن فتسمع الأصوات وكأنها لم تسمعها، وكذلك جميع الحواس، ويذهل العقل أيضًا عن المعقولات وهذه الحالة لا يعرفها حق المعرفة إلا من اتصف بها.

---

(١) الآية رقم (٩١) من سورة الأنعام. (٢) من الغرور

ومن هنا قال العارف بالله تعالى(١): أوقفنى وقال لى أعرفنى بالمعرفة التى لا يقابلها الجهل، فإن المعرفة التى يقابلها الجهل جهل، وهذا الفناء هو الفناء الأول.

وأما الفناء الثانى فيعرض عليه فى المقام الخامس الذى تسمى النفس فيه بالراضية،

وأما الفناء الثالث، فهو هلاك الصفات البشرية فى المرتبة الأحدية، وقد مر بنا أنه فى تعريف حق اليقين.

وهذا الفناء الثالث هو: عين البقاء كما قيل:

فَيَفْنَى ثُمَّ يَفْنَى ثُمَّ يَفْنَى
وَكَانَ فَنَاؤُهُ عَيْنَ الْبَقَاءِ

واعلم أنك فى حال الفناء الأول تسمع كلام الروحانيين، لا بحاسة السمع، ولا تفهم منهم شيئًا، ولكن إذا انصرفت عنك حالة الفناء ورجعت إلى الإحساس فهمت ما قالوا، ووعيت ما القوة إلى سرك، وتصورت ما تقشوه فى مرآة قلبك، فحينئذ إن تكلمت نطقت بالحكمة، وأشير إلى هذا السر بقوله: «من أخلص لله أربعين صباحًا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»(٢).

وكلام الروحانيين على هذا الأسلوب يقال له صلصلة الجرس(٣)، «اللهم يا من إذا

(١) هو (النفّرى) فى كتابه (المواقف والمخاطبات).

(٢) حديث: (من أخلص لله أربعين صباحًا...).

رواه أبو نعيم بسند ضعيف عن أبى أيوب ﷺ.

وقال فى اللآلئ: رواه أحمد وغيره عن مكحول مرسلا، وروى مسندًا من حديث ابن عطية عن ثابت عن أنس ﷺ بسند فيه يوسف ضعيف لا يحتج به. انتهى.

ورواه القضاعى عن ابن عباس مرفوعًا بلفظ مختلف (انظره).

ورواه أبو الشيخ فى الثواب عن أنس انظره مع الإشارة.

وروى ابن الجوزى فى الموضوعات عن أبى موسى رفعه.

وأورده الصاغانى، وقال إنه موضوع.

انظر: العجلونى: كشف الخفاء ٢/ ٢٢٤ حديث رقم (٢٣٦١).

(٣) (صلصلة الجرس) هو: انكشاف الصفة القادرية عن ساق بطريق التجلى بها على ضرب من العظمة، وهى عبارة عن بروز الهيبة القاهرية، وذلك أن العبد الإلهى إذا أخذ يتحقق بالحقيقة القادرية برزت له فى مباديها صلصلة الجرس فيجد أمرًا يقهره بطريق القوة العظموتية فيسمع لذلك أطيطا من تصادم الحقائق بعضها على بعض، كأنها صلصلة الجرس فى الخارج، وهذا مشهد منع القلوب من الجراءة على الدخول فى الحضرة العظموتية لقوة قهره للواصل إليها، فهى الحجاب الأعظم الذى حال بين المرتبة الإلهية وبين قلوب عباده. =

سئل أعطى لا تحرمنى والمحبين هذا الفناء، ولا تجعل حظنا منك العناء وحظوظ أنفسنا، ولا تجعل الدنيا أكثر همنا، ولا مبلغ علمنا، واصرف عنا كل شىء عنك يقطعنا».

وإن قلت هل لهذا الفناء سبب إذا فعله السالك تعرض له هذه الحالة؟ فالجواب أن سببه ستة أمور بها صارت الأبدال أبدالاً وهى: الذكر، والفكر، والجوع، والسهر، والصمت، والاعتزال.

وأعظم أسبابها الجوع، فيا أيها الراغب فى هذا الفناء لا تترك الرياضة والمجاهدة فى هذا المقام وإن صعبت عليك، ولا تنس فضلها عليك، ولا تنغر بما لاح لك من البارقات التى لا تعلمْ أنها شيطانية أم روحانية، لما عرفت أن هذا المقام، أعنى: المقام الثالث محل التلبيس، لا يفرق السالكْ فيه بين ما يلقيه الملك، وبين ما يلقيه إبليس.

قيل للجنيد[1]: قد وصلت إلى الله، فأى غرض لك فى السبحة؟ فقال: شىء أوصلنى إلى مطلوبى، لا ينبغى لى تركه.

= فلا سبيل إلى انكشاف المرتبة الإلهية إلاّ بعد سماع صلصلة الجرس.

فكان للوصل حالٌ لا أبوح به
فظُن ما شئت إن الأمر متّسع
صَبٌّ ومحبُوبُه فى أوج خلوته
مَلكٌ ومالِكهُ والجُنْدُ مجتمع

انظر: عبد الكريم الجيلى: الإنسان الكامل ١/ ١٠٧، ١٠٨.

(١) (الجنيد) أبو القاسم الجُنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريرى ولد سنة ٢١٥ هـ ببغداد، وأصله من نهاوند، كان تلميذا للسرى السقطى وهو ابن أخته، وكان أبوه يبيع الزجاج فلذلك كان يقال له: القواريرى، قالوا: هو مقبول على جميع الألسنة وهو من أئمة القوم وسادتهم توفى رحمه الله سنة ٢٩٧ هـ كان يقول: (احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ (آية: ٧٥ من سورة الحجر) فقال: للمتفرسين ترك الجنيد عددًا من الرسائل طبعت قديما، أقواله مشهورة، ومنتشرة وتملأ كتب الصوفية حتى لا يخلو منها كتاب.
انظر ترجمته فى السلمى: طبقات الصوفية ص ١٥٥، سزكين: تاريخ التراث العربى ١/ ٤/ ١٣١، الجامى: نفحات الأنس ٢٦٦، أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٥، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٣٧٦، ابن الجوزى: صفة الصفوة ١/ ٤٤٤ ترجمة رقم (٢٩٦) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ١١٣، الذهبى: مختصر دول الإسلام ١/ ١٨١، ابن قنفد القسنطينى: كتاب الوفيات ١٩٦، بروكلمان: تاريخ الأدب العربى ٢/ ٤٥٨ الترجمة العربية، كحالة: معجم المؤلفين ٣/ ١٦٢، البغدادى: هدية العارفين ١/ ٢٥٨، الإمام القشيرى: الرسالة ص ٢٠، الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ٧٢.

وأنت أيها السالك لا تغتر بما لاح لك وتترك الأشياء التى تحققت أنها خير محض وأنها توصل بعون الله تعالى إلى ما صعب من الطريق، فإن النفس عدوة، فلا ينبغى أن تأمنها ولو بلغت المقامات العلية، فداوم على الرياضة والمجاهدة، يزيد عشقك ويقوى هيمانك وتلتذ بما أنت فيه من الشوق، والسكر، وخلع العذار.

ومقام العشق مقام لذَّة، حتى إن العاشق من عظم ما يرى من اللذات لم يرد الترقى عن مقام العشق، مع أن العشق حجاب عن المعشوق، ولا يرغب فى الخلاص مما هو فيه من ضيق الصدر، والمكابدة وتقطع الأحشاء، وغير ذلك مما هو بسبب عن العشق، بل يطلب دوام هذه الحالة عليه.

قال سلطان العاشقين مخاطبًا للذات العلية:

فَلو لِفَنَائِى مِنْ فَنَائِكَ رُدَّ لِى
فُؤَادِى لَمْ يَرْغَبْ إلى دَارِ غُربَتِى

فحالة العشق حالة مقبولة عند العاشقين، وإن كانت بالنسبة إلى ما فوقها من الحالات مذمومة، حتى إن الكامل إذا تذكر حالة العشق وأوقاته، تراه يتحسر لما فيها من خلع العذار، وعدم المبالاة، ولكنها هى مع المجاهدات والرياضات حاله صادقة، وصاحبها صادق فى جميع ما يقوله من أشعار العاشقين، وإذا تكلم يتكلم بحرقة وتأوه ناشئ من قلبه، وهى من عدم المجاهدة والرياضة حالة كاذبة وصاحبها كاذب، ليس لما يقوله من أشعار العاشقين طعم ولا له فى القلوب تأثير تمجه النفوس إذا سمعته.

وقد أخبر عن هذا العاشق الكذاب، سلطان العاشقين، سيدى عمر بن الفارض:

تَعَرَّضَ قَومٌ لِلْغَرَامِ وَأعْرَضُوا
بِجَانِبِهِمْ عَنْ صِحَّتِى فِيهِ وَاعْتَلُّوا
رَضُوا بالأمَانِى وَابْتُلُوا بِحُظُوظِهِمْ
وخَاضُوا بِحَارَ الحُبِّ دعوى فَمَا ابْتَلُّوا
فَهُمْ فِى السُّرى لَمْ يَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِهُمْ
وَمَا ظَعَنُوا فِى السَّيْرِ عَنْهُ وَقَدْ كَلُّوا
وَعَنْ مَذْهَبِى لمَّا اسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَىَّ الـ
ـهُدَى حَسَدًا مِنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ ضَلُّوا

ولما كان هذا المقام للروح، والروح محل العشق والهيمان والذهول، كانت إقامة

السالك فيه مدة طويلة، لأن العاشق ذاهل عن نفسه، ومشتغل عن محبوبه بذكر اسمه، والترنم بالأشعار التى يمدح فيها حُسنه وجماله، وذلك كله فى حالة البسط.

وأمَّا إذا أوردت عليه حالة القبض بعد البسط واستيقظ من نومة العشق والهيمان، ضاق صدره وكاد أن ينخلع قلبه من صدره، فيذل ويخضع ذلاً وخضوعًا حقيقيين، ولا يزال حالتى القبض والبسط تتعاقبان على السالك فى هذا المقام حتى يترقى إلى المقام الرابع، فيكمل عشقه، ويتبدل القبض والبسط بالهيبة والأنس، وهما حالتان تتعاقبان على الكامل، لا يعرفان إلا بالذوق.

والفرق بين الهيمان والقبض: أن القبض تضيق منه النفس، والهيبة ليس كذلك.

والفرق بين الأنس والبسط: أن البسط يغلب صاحبه حتى إنه يخشى عليه أن يسىء الأدب مع الحق تعالى، والأنس ليس كذلك.

وعلى الجملة فالخوف والرجاء، والقبض والبسط، والهيبة والأنس حالتان لا غير، ولكن تتبدل أسماؤها باعتبار الأشخاص والمقامات، فإذا اتصف بهما من كان فى النفس الأمارة واللوّامة سُمّيا خوفًا ورجاءً، وإذا اتصف بهما من كان فى النفس الملهمة سمّيا قبضًا وبسطًا، وإذا اتصف بهما من كان فى النفس المطمئنة والراضية والمرضية سُمّيا هيبة وأنسًا، وإذا اتصف بهما من كان فى النفس الكاملة سميا جلالاً وجمالا.

فالخوف والرجاء للمبتدئ، والقبض والبسط للمتوسط، والهيبة والأنس للكامل، والجلال والجمال للخليفة[١].

فاجتهد أيها الأخ على الترقى مما أنت فيه من القبض والبسط والمتبعين لك إلى الهيبة والأنس، ومنهما تترقى إلى الجلال والجمال المريحين لك، فإن كلاهما حسن ومنفعة لك ولإخوانك على الخصوص من الجلال، فإنك ما توجهت فى حالة الجلال إلى شىء إلا وقع بإذن الله تعالى، لأنك حينئذ خليفة الله فى أرضه، وعبده الحقيقى الصرف، فيغضب لغضبك وينتقم لانتقامك، فترى التأثير الجارى على يدك فى الوجود بعينك من غير شبهة، فيزيدك ذلك أدبًا مع خالقك، وتوبة من ذنوبك، واستغفاراً من غفلة قلبك عن مقام العبودية.

ومتى رأيت نفسك وأنت فى المقام الثالث مستقيمًا على المجاهدة والرياضة فافرح بذلك ﴿ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾[٢] ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾[٣] فإنك وأنت فى هذه

---

(١) انظر المقدمة ففيها شرح لهذه المصطلحات جميعها.

(٢) الآية رقم (١٥) من سورة الشورى.

(٣) الآية رقم (٩٩) من سورة الحجر.

الحالة متعرض للكمال وللجذبة التى هى خير من عمل الثقلين، فلا تضجر ولا يضيق صدرك، فإنك على خير، ومتعرض إلى السعادة.

وإذا حصل لك ضيق وحصر فاصبر ولا تخلو وأنت فى هذا المقام من الحصر، لأنه مقام الروح والروح له الإطلاق، ففى ساعات القبض يريد أن يكسر قفص الجسد ليتصل بعالمه وهو عالم المجردات، أى: عالم الجبروت، ولا تقدر على ذلك.

فاصبر على ساعات القبض وحرارته، فإن فى هذه الحرارة حِكَم لا تعد ولا تحصى، ومن جملتها: أن لولا نار القبض وحرارته لما تصفّت النفوس مما بقى فيها من القبائح والمفاسد، لأنه لا يتميز الخبيث من الطيب إلا بالنار.

ومتى رأيت نفسك غير مستقيم على المجاهدة، ومنهمكًا على الأكل ومعاشرة الخلق والميل إليهم، فابك على نفسك وعلى ما أصابك من التنزل من المقام الأعلى إلى سجين وأسفل السافلين، واطلب من الله تعالى العود إلى ما كنت عليه، بل إلى الترقى منه إلى الكمال لأن كثيرًا من الطالبين لم يستقم فتزل به القدم، ولم يصبر فيندم حيث لا ينفعه الندم.

فخالف نفسك فى هذا المقام، ولا تزل معاديًا لها، وكلما رأيت لها ميلاً طبيعيًا إلى شىء من الأشياء فجاهدها ولا تصادقها، ومتى طلبت منك شيئًا من أحوال الطريق فطاوعها وإن كان فيه إفراط من الجوع الكثير والسهر الكثير والاعتزال عن الخلق بالكلية، وقلة الكلام، فينبغى عليك مطاوعتها وإن كانت غير مخلصة فى هذه الأشياء وقصدت بها الرياء، لأن الرياء قنطرة الإخلاص.

ولا يزال السالك يُرائى حتى يخلص بعون الله تعالى، حتى إنهم قالوا: لا بأس بأن تخدع النفس بوعدها بالكرامات، وحب الخلق لها وتوجيههم إليها، حتى تميل للمجاهدة، وترك العادات، وإن كانت هذه الأشياء مذمومة فله أن يقول لنفسه: إنك إذا توجهتِ إلى الله تعالى بالرياضات والمجاهدة تصدر على يدك خوارق العادات ولكن يجب عليه أن يكون ما بينه وبين الله عامرًا، بأن يكون جميع أفعاله ومجاهداته لأجل رضوان الله ولتصفية نفسه من الرذائل وتحليتها بالكمالات والفضائل.

وأنت أيها الأخ، إياك أن تقف عندما يلوح لك من البارقات، لأنها كلها قواطع تقطعك عن مطلوبك.

قال «ابن عطاء الله»[1] فى الحكم[2] : ما وقفت همة السالك عند كون من الأكوان إلا نادته حقائقها الذى تطلبه أمامك ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾[3] وبعض السالكين لا يحصل له شىء من هذه الأشياء، وذلك لصدق توجهه لخالقه، وعدم تطلبه ذلك بسيره وقلبه، فيستريح من الفتن والمحن والوقوف عند الأكوان، لأن من كُوشف بشىء وهو فى البداية كان متعرضًا للعطب والقطيعة، إلا أن يلطف به من ابتلاه.

وأعظم ما يكون به السالك فى سلوكه، أن تبدل أوصافه الذميمة بأوصاف مولاه الحميدة المقبولة المنجية له من المهالك، لأن المقصود من هذا السلوك: الوصول إلى ملك الملوك، والوصول لا يكون إلا برفع الحجب السبعين المذكورة.

والحجب هى الحقيقة عدم المناسبة بين الطالب والمطلوب، فتبديل الصفات تقرب المناسبة فافهم فإنه من الأسرار.

واجتهد على تبديل الأوصاف والأخلاق إن كنت مشتاقًا للجمال المطلق عن كل قيد

---

(١) (ابن عطاء الله) هو: أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى، الجذامى، الشاذلى، (تاج الدين، أبو العباس) الصوفى الكبير، والقطب الشهير، صاحب كتاب (الحِكَم) الذى عُرف عند جلّ الصوفية وغير الصوفية.

شارك فى عدد من العلوم كالتفسير، والحديث، والفقه، وغير ذلك.

ترك عددًا من المؤلفات الهامة منها:

التنوير فى إسقاط التدبير، الحِكَم، مفتاح الفلاح، وغير ذلك، توفى رحمه الله فى جمادى الآخرة سنة ٧٠٩ هـ.

انظر ترجمته فى: كحالة: معجم المؤلفين ٢/ ١٢١، البغدادى: هدية العارفين ٢/ ١٠٣، المناوى: الكواكب الدرية ٣/ ٥، الشعرانى: الطبقات الكبرى ٢/ ١٩، محمود خطاب السبكى: مختصر أعذب المسالك ١١٧ بتحقيقنا.

(٢) كتابُ (الحِكَم) مجموعة من الحِكَم صُفِّيت من ناحية التعبير والأسلوب فكانت مثالا رائعًا للأدب الرفيع، يضع ابن عطاء الله فى مصاف أهل الأدب الرفيع الفصيح البليغ، وصُفّيت من حيث الفكرة فكانت مثلا رائعًا للفكر الصوفى، أو للنور الصوفى، أو المعراج الروحى فى مستوى يضع ابن عطاء فى مصاف أو الصف الأول من المقربين.

وقد شرح الحكم أناس كثيرون فمنهم ابن عجيبة، وابن زروق، وابن عبّاد النَّفزى، ونور الدين البريفكانى، وكثيرين غيرهم.

انظر مقدمة الدكتور عبد الحليم محمود على شرح زروق للحكم العطائية انظر شرح الحكم لنور الدين البريفكانى.

(٣) الآية رقم (١٠٢) من سورة البقرة.

حتى عن الإطلاق، فبدّل الشبع الذى هو أسفل الصفات بالجوع، وبدل النوم بالسهر، والكلام بالصمت، والعز والتكبر بالذل والافتقار وأمثال ذلك، لأن عدم الأكل وعدم النوم وعدم الكلام فيما لا يعنى وأمثالها من صفات الملكية، وأضدادها من صفات الحيوانات، والإنسان متوسط بينهما.

فكن إنسانًا حقيقيّا لا إنسانًا حيوانًا تترقّى بالإنسانية إلى ما لا تصل إليه الملائكة وتتقابل مرآة عبوديتك الحقيرة الذليلة بمرآة ربوبيته تبارك وتعالى.

وأكمل كل الكمال كون العبد فى آخر درجات العبودية، ولذلك قالوا: إن آخر درجات العبودية مقام مخصوص بالسيد الأعظم ﷺ، فليس لك فى آخر درجاتها نصيب فلا تطمع فيه، بل لك أن تطلب ما يقاربها من الدرجات.

إذا عرفت هذا عرفت أن الذل والانكسار هو إكسير السعادات وعرفت أن أسرار الربوبية مودوعة فى المسكنة والعبودية، فافهم وتأمل، واسلك طريق الذل والافتقار، ولتكن من العبيد الخُلّص الأحرار عن رق الأغيار، فإنك لا تنال مطلبًا من المطالب إلا بالعبودية، وقد يحصل بدونها، لكنه لا يتم.

قال ابن عطاء الله فى الحِكَم(١): ادفن وجودك فى أرض الخُمول، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه.

قال بعض السادات: طريقنا هذا لا يصلح إلا لأقوام كنست نفوسهم المذابل.

وقال «بشر بن الحارث»(٢): ما أعرف رجلاً أحب أن يعرف إلاّ ذهب دينه، وافتضح،

---

(١) تقدمت ترجمته والإشارة إلى كتابه الحكم.

(٢) (بشر بن الحارث) بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله، الحافى، يكنى أبا نصر، سكن بغداد، وكان أصله من «مرو» ومات رحمه الله ببغداد يوم الأربعاء لعشر خلون من المحرم سنة ٢٢٧ هـ كان يقول: «يأتى زمان على الناس لا تقر فيه عين حكيم، ويأتى زمان تكون فيه الدولى للحمقى على الأكياس».

أسند الحديث.

انظر ترجمته فى: سزكين: تاريخ التراث العربى ١/ ٤/ ١١٠، الذهبى: تذكرة الحفاظ الترجمة ٤٤٢، الذهبى: مختصر دول الإسلام: ١/ ١٣٧، ابن كثير: البداية والنهاية ٥/ ١٠/ ٢٩٧ السلمى: طبقات الصوفية ٣٩، أبو نعيم: حلية الأولياء ٨/ ٣٣٦، القشيرى: الرسالة ص ١١، الهجويرى: كشف المحجوب ١٣١، الجامى: نفحات الأنس ١٣٣، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٣٦٨، محمود خطاب السبكى: مختصر أعذب المسالك ص ٦٠ بتحقيقنا.

فادفن وجودك واخف شخصك، حتى يصدق عليك قوله: «موتوا قبل أن تموتوا»(١) وقوله: «من أراد أن ينظر إلى ميت يمشى على الأرض فلينظر إلى أبى بكر الصديق»(٢) وتحب لك هذه الموتة عن الموتة الطبيعية، حتى إذا جاءك الملك الموكّل بقبض روحك يأتيك لأن ينقلك من دار إلى دار تخلصك مما بقى فيك من الأكدار، فيُسلم عليك ويتلطف بك، وذلك لأنك قدّمت الموت الإرادى المطلوب، بقول: موتوا قبل أن تموتوا، وهو الفناء الذى بيناه لك فى هذا الباب وهو حالة لا يبقى للسالك معها ميل إلى مال أو ولد أو شىء من الأشياء، ولا خوف من مكروه أصلاً.

ولا شك أن هذا لحالة الأموات، حتى إن الميت يكشف له عن عالم البرزخ، وهذا السالك أيضًا فى هذه الحالة يُكشف له عن عالم المثال، والبرزخ وعالم المثال كلاهما شعبتان من عالم الملكوت، فإذا دخل السالك فى عالم الملكوت، شاهد منه ما يناسب استعداده وقابليته بالاجتماع مع الأشباح كما ذكرنا.

فالواجب عليك أيها الأخ أنك إذا لم تكن واصلاً إلى هذه الأحوال، فكن متعطشًا لها طالبًا لتحصيلها، لأن كل من طلب شيئًا وجدَّ فى طلبه ناله بقدرة الله تعالى.

فاستعن أيها الأخ السالك بما ذكر من الرياضات والمجاهدات ولا تفتر عن تلاوة الاسم الثالث، فإن للأسماء خواص لا تنكر.

وخاصية الاسم الأول عجيبة ويعرفها غالب السالكين، وهى أنه إذا واظب على الذكر يوقد الله فى قلبه مصباحًا ملكوتيًا، فيرى به ظلمة النفس الأمّارة، ويرى جميع قبائحها وآفاتها، فيجتهد على إخراج ما فيها.

وخاصية الاسم الثانى: إخراج المشتغل به من ظلمة المعاصى إلى نور الطاعات.

وخاصية الاسم الثالث: ظهور الهوية المطلقة، والحقيقة الإيمانية والمعارف القدسية الربانية على قلب المشتغل به، فيرغب فى الحياة الأبدية، ويتجافى عن لذات الدنيا الدنية.

واعلم أن خواص الأسماء لا تظهر إلا بكثرة الذكر الجلى القوى، والخفى بالمداومة مع الأدب، وهى أن يكون الذاكر مستقبل القبلة إن أمكنه جالسًا على ركبتيه أو قائمًا، وأن يكون خالى البال، وأن يلقى سمعه إلى نطقه صاغيًا لما يقوله، مع نظافة الظاهر والباطن والمداومة على الوضوء.

---

(١) تقدمت الإشارة إليه.

(٢) حديث: (من أراد أن ينظر إلى ميّت يمشى...) لم أقف على تخريجه.

فإذا كنت مع هذا الأدب متمسكًا بالشريعة فأنت على خير، فلا تمل ولا تضجر إذا تعوّق عليك الفتح، فإنك لا بد لك منه، ولو طالت مدته، لكن بشرط الاستقامة والتمسك بالشريعة والطريقة، واجعل ذكرك بهذا الاسم فى بعض الأوقات «لا هو إلا هو» بمد «لا» ومد «هو» واو، لأنه ذكر عظيم الشأن، وكن فى حالة الذكر كأنك تخاطب أعضاءك بأن ليس فى الوجود إلا هوة الحق تعالى، وأن كل ما سوى الله فهو صفاته تعالى وأفعاله، فهذا المشهد هو مشهد الكاملين.

فإذا كلفت نفسك بهذا الشهود «وداومت»[1] عليه صار لك حالاً، لا ينفك، وهو الغاية القصوى، وصاحبه لا يحجب بالخلق عن الحق ولا بالحق عن الخلق إلا بالكثرة عن الوحدة، ولا بالوحدة عن الكثرة، بل يشهد الحق تعالى ظاهرًا فى المظاهر، فلا يشهده ظاهرًا بلا مظاهر، كما هو فى مشهد الموحدين، ولا مظاهرًا بغير ظاهر، كما هو مشهد المحجوبين المسجونين فى الفرق الأول.

وإنما قلنا: إن هذا مشهد الكاملين، لأن المشاهدين ثلاثة: كامل وناقص وأنقص، فالكامل ما ذكرناه، والناقص مشهد الموحدين، الذين اتُّخذ فى شهودهم الظاهر والمظهر، واستهلكت المظاهر عندهم فى الظاهر، فلا يشهدون كثرة أصلاً ولا خلقً ولا سرى، وهذا مشهد ناقص لما فيه من التعطيل وإبطال خواص أسماء الله تعالى، ولكن صاحبه معذور، لأنه فى المقام الثالث، وهو مغلوب، والمقام الثالث نقص.

وأما المشهد الأنقص: فهو مشهد المبتدئين الذين هم محجوبون بالخلق عن الحق، فلا يشهدون إلا خلقًا وبالكثرة عن الوحدة، فلا يرون إلا كثرة.

فالكمال شهود الكثرة فى عين الوحدة، والوحدة فى عين الكثرة من غير احتجاب بإحداهما عن الأخرى، فلا يحجب الكامل بالخلق عن الحق ولا بالحق عن الخلق، وأول درجات الكامل: هو المقام الرابع الآتى بيانه فى الباب الذى بعد هذا الباب.

(١) فى نسخة المخطوط (وتدمنت).

الباب السابع :

فى بيان النفس المطمئنة ...

فى بيـان النفس المطمئـنة، وبيان سـيرها، وعـالمهـا، ومحلّهـا، وحالها، وواردها، وصفاتها، وبيان كيـفية الترقى عنها إلى المقام الخامس.

فسيرُها: مع الله.

وعالمها: الحقيقة المحمدية.

ومحلها: السِّرُّ.

وحالها: الطمأنينة الصادقة.

وواردها: بعض أسرار الشريعة.

وصفاتها: الجـود، والتوكل، والحلم، والعبادة، والشكر، والرضا بالقـضاء، والصبر على البلاء.

ومن علامـة دخول السالك فى هذا المـقام، أعنى: المـقام الرابع، الذى تسمى فـيه النفس مطمئنة، أنه لا يفارق الأمر التكليفى شـبرًا، ولا يلتذ إلا بالتخلق بأخلاق المصطفى ﷺ ولا يطمئن إلا باتباع أقـواله، لأن هذا المقام مقام التمكين وعيـن اليقين، والإيمان الكامل، كما أن المقام الذى قبله مقام التلوين.

وفى هذا المقام يلتـذ السالك أعين الناظرين وأسماع السامـعين حتى إنه لو تكلم طول الدهر لا يمل كـلامه، وذلك لأن لسـانه يترجم عـما ألقـاه الله تعالى فى قلبـه من حقـائق الأشيـاء وأسرار الشريعة، فـلا يتكلم كلمة إلا وهى مطابقـة لما قال الله ورسوله من غـير مطالعة فى كـتاب، ولا سماع من أحـد، وذلك لأنه قد سمع بغـير حاسة مـا ألقاه الله فى سره، أنا سِرُّك أيها الحبيب وأنت سرى، فاطـمأن ما كان فيه من الاضطراب وغرق فى بحر الحياء والآداب، وألزمته الخشية والهيـبة، وخلعت عليه خلعة الوقار والقبول، وأظهرت له حقيقة عالم الكون والفناء، وعلم معنى قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾(١).

وعلى السالك فى هذا المقام الاجتماع مع الخلق فى بعض الأوقات ليفيض عليهم مما أنعم الله به عليه، ويترجم عما فى قلبه من الحِكَم.

فاخـرج أيها الكامل إليـهم، وأحسن كـما أحـسن الله إليك، وليكن لك وقت خلوة، لأنك وأنت فى هذا المقام فى أدنى درجات الكمال، فلا يـناسبك مخالطة الخلق فى جميع

---

(١) الآية رقم (٢٦) من سورة الرحمن.

الأوقات لئلا تُحرم الترقى إلى المقامات الباقية، أعنى: المقام الخامس، والسادس والسابع.

فمتى كانت الفائدة فى العزلة فاعتزل، أو فى الاجتماع فاجتمع، وعلامة فائدة الاجتماع: أن يستفيد الحاضرون منك مما أوهبك الله من علم الصدور لا علم السطور.

واشتغل فى هذا المقام بالاسم الرابع وهو: بحق بحرف النداء وبدونه، فأكثر منه ولا تلتفت إلى ما يظهر لك، واطلب من ربك أن لا يظهرك على ما يكون سببًا لانقطاعك عن خدمته وعن الوقوف على بابه، فإن ما يكشف لك عنه إن لم يكن محفوظًا معه كان سببًا لبعدك عن حضرة القرب، لأن حضرة القرب لا يدخلها إلا العبيد الخُلص، الذين ليس لهم ما يغترون به من خوارق العادات.

ولذلك ترى المحفوظين من الكُمَّل إذا أظهر الله تعالى على أيديهم شيئًا من الكرامات لا يحسون عليه، ولا يعلمون أظهرت لهم كرامة أم لا؟.

روى أن رجلاً من أولياء الله، مر برجل فضربه بحصاة أصابته فى كعبه، فما التفت إلى الضارب ولا عرفه، ولكن الله أكرمه بأن سقط الضارب ميتًا! فقيل للولى: أين أنت من العفو والسماح؟ وهل يجوز لك قتل لنفس حرمها الله؟ فقال: والله ليس لى علم بما تقولون، ولا أعرف الرجل، ولكن جرت عادة الله تعالى بإكرام أوليائه من حيث لا يعلمون.

وأمثال هذه الحكاية كثيرة، فافهم المقصود منها، واطلب من الله النصر والإعانة على تمزيق ما بقى عليك من الحجب فإن الحجب فى هذا المقام حب الكرامات، والميل إليها وقل: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾(١).

وكل ما سوى الله تعالى فتنة، فلا تقف عنده فتكفر، وقد مثلوا حال من وقف عند ما ظهر له من الكرامات بحال رجل طلب بيت الله الحرام، وسار مع الحاج وقطع من الطريق أكثره، فعند ذلك عرضت له امرأة حسناء، لم ير الراءون مثلها، فأدهشته وأخذت عقله، فأراد الإقامة عندها ليتملى بها وبوصالها، فقام إليه أمير الحاج وقال له: لا تقم هنا فتنقطع عن الحاج، ولكن اذهب معنا وزر بيت الله الحرام، فإذا رجعنا نعقد عقادك وتدخل عليها بالحلال، وإن أقمت فلا يحصل لك الوصال، وإذا حصل ولا بد فبالحرام لا بالحلال، فتنقطع عن بيت الله تعالى، وتعصيه، فغلب عليه هواه وانقطع عن رفقته، فدنا منها وأزال

---

(١) الآية رقم (٤٢) من سورة النجم.

البُرقع عن وجهها فإذا هى عجوز مُـقَلَّعةُ الأسنان، قبيحة المنظر، منتنة الفم، فندم حيث لا ينفعه الندم، فأراد أن يلحق رفقته فما قدر، وصار يبكى الليل والنهار.

فالمرأة: مثل الكرامة التى يطلبها السالك فى سلوكه، وبيت الله الحرام: مثل حضرة القرب، وطريق الحاج: مثال لطريق القوم ﷺ.

فالسالك لا شك أنه إذا وصل إلى حضرة القـرب تصير الكرامات كلها طوع يديه، وإن غلب هوى السالك عليـه، وطلب الشيء قبل أوانه، وتعرض لطلب الكرامات أتـعب نفسه فى ما لا يعنيه وانقطع عن مطلبه فإذا حصلت الكرامات وجدها كونًا من الأكوان، لا تنفعه فى الدنيا ولا فى الآخرة، فإذا عرف حقيقـتها ندم وبكى، لأنه تقهقر عن المقام الذى تعب عليه حتى حصّله.

واعلم أن النفس المكرمة ليست شـيئًا قبيحًا، لأنها إكـرام من الله تعالى لعبده، ولكن تطلّبها والميل إليها شيء قبيح قاطع عن حضرة القرب التى لا تنال إلا بالعبودية، والمودوع فيها أسرار الربوبية، فافهم ولا تقف عند كون من الأكوان فيكون حظك ذلك الكون.

واعلم أنك فى هذا المـقام تمـيل إلى الأوراد والأدعـية، وتحب حـضرة المـصطفى ﷺ محـبة غير المـحبة التى كانت قـبل هذا المقام، وإياك أيهـا المؤمن الكامل أن تأمن النفس فى مقام من المقامات، لأن العـدو الذى غُرست فى طبعه العداوة لا ينبغى أن يؤمن مكره، وإن صار صديقًا، ولأن الإنسان مدة حياته متعرض للمحن والبلايا والعطب، فينبغى عيه التحرز من الآفات إلى المهلكات.

وقـد يعرض لك فى هذا المـقـام «حب المال» لتـستـعيـن به على طاعة الله، وتعـين إخوانك، فلا يضرك ذلك، لكن بشروط:

الشرط الأول: أن يكون قصدك الاستعانة المذكورة.

الشرط الثانى: أن لا يشتغل قلبك فى تحصيلها اشتغالاً يلهيك عن ربك.

الشرط الثالث: أنك إذا حصَّلت شيئًا من المال فلا تخفه عن الناس وتظهر أنك فقير.

وقـد تعرض لك فى هذا المـقام «حب الرياسـة والشـهرة» وتدخل عليك نفـسك بأن تتعرض للمشيخة والإرشاد، ليـجتمع عليك الناس ويحصل لهم على يدك الاهتداء، ويبقى لك الثواب، فإياك أن تتعرض لشيء من ذلك، فإنها دسيسة من النفس.

وأما إذا أقامك الله تعـالى وأنت فى هذا المقام وشـهرك، وألبسك ثوب المشـيخة من غير سعى منك ولا جد ولا طلب، فقم بأمر الله تعالى، فإنه خير لك من الاعتزال.

وعلامة أمر الله: أن تكون محبوبًا لإخـوانك، وهم مطيعون لك، ومن علامته: أنك تنظر فى نفسك فلا تجد لك عليهم تمييزًا، أو تنظر أنهم متفضلون عليك، وأنهم خير منك من وجه، لأنهم يرون أنفسهم أحقر منك، فلهـذا كانوا خيرًا منك، فإذا كنت مع إخوانك على هذا فأرشـدهم وعظهم وحسِّن لهم طريق التصـوف، والذل والافتقـار، واخفض لهم جناح الذل، واحمد الله تعالى حيث وفقك لهذا المقام الذى لست من أهله، واشهد بالمنة لهم عليك.

ومتى عـرفت أن المنة لك عليهم، فـاعلم أنك لست من خيـالة هذا الميـدان، فاترك المشيخة وفرقهم واسْعَ على خلاص نفسك مما بقى عليها من الأكدار فإنه الأهم فى حقك وحقهم، وذلك لأن بعض النفـوس هيِّنة لينة لها باعتبار الفطرة والاسـتعداد الأصلى شرف وذكاء، فإذا مرت على المقامات مرت بسهولة وهناءة، وإذا وصلت إلى هذا المقام، أعنى: المقام الرابع استحق صاحبها أن يكون مرشدًا لما فيه من الرفق واللطف والحلم الفطرى.

وقد مرت على المـقامات فتصفت مـما عرض عليها من كدارات البـشرية فلا بأس من أنها ترشد الإخوان وتوصف لهم الأدوية النافعة فى هذا الطريق بالشروط المذكورة.

هذا إذا لم يكن هناك مرشـد أكمل منه، فإن كـان من هو أكمل منه، فيـجب عليه أن يرى ذلك نعمة من الله تعالى، حيث إنه أراحه وأتعب غـيره، وبعض النفوس صعبة خشنة خبيثة، لئيمة، وقد مرت على المقامات وتبدلت أوصافها الذميمة بالأوصاف الحميدة.

وإذا وصلت إلى المـقام الرابع، وصلت مطمـئنة، إلا أنها لا تصلح للإرشـاد فى هذا المقام، لانعدام شروط الإرشـاد فيها، فينبغى عليك يا صاحبها أن لا تسـتعجل فى التقدم، وكمِّل سلوكك بالترقى إلى المقام الخامس فالسادس فالسابع.

إذا عَـرَفَت الفـرقَ النفوسُ، عـرفت أنه لا خـلاف فى هذا المـعنى بين من قـال: إن المقـامات التى يتـرقى فيـها السـالك سبـعة وهم الخلوتيـة، وبين من قال إنهـا ثلاثة وهم غيرهم، لأن غير الـخلواتية لا يعدون المقام الأول الذى تسمى النفس فيه بـالأمارة مقامًا، فـيعـدون الثانى وهو الذى تسـمى فيـه النفس باللوامـة، والثالث: وهو الذى تسـمى فيـه بالملهـمـة، والرابع: وهو الذى تسمـى فيـه بالمطمـئنة، ولا يعـدون الخامس والسـادس والسابع، لأنهم لم يعتبروا إلا النفوس الزكية باعتبار الفطرة.

ولا شك أن هذه النفوس إذا وصلت للمـقام الذى تسمى فيه النفس بالمـطمئنة كمُلت

وصلحت للإرشاد، وأما الخلواتية: فعدوا المقامات سبعة، وجعلوا أولها مقام النفس الأمارة، وآخرها النفس الكاملة.

وهذا الكتاب مرتب على مذهبهم، لأن ليس جميع نفوس السالكين ذكية باعتبار الفطرة، فهو جامع للطريقتين والمذهبين.

واعلم أن غير الخلوتية لا يلقنون السالك إلا ثلاثة أسماء، فيلقنوه وهو فى النفس اللوامة «لا إله إلا الله» وفى أوائل الملهمة «الله الله الله» وفى آخرها «هُوْ هُوْ هُوْ» وبهذا الاسم يدخل على النفس المطمئنة، ولا يلقنون غيره.

واعلم أنك إذا أتممت المقام الرابع واطمأنت نفسك طمأنينة رحمانية، وما ذلّ قدمك عن اتباع الكتاب والسنة ولا تذر شعيرة بل مازج الشرع والاتباع لحمك ودمك جذبتك يد الألطاف جذبة الكمال، وهى غير الجذبة الأولى التى هى فى أول السلوك، ونودى على نفسك بلسان سر السر ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[١] فيعتريك النسيان، فلا تدرك شيئًا من أمور الدنيا والآخرة، إلا إذا كان حاضراً عندك، ومتى غاب عنك غبت عنه، وذلك لأن قلبك حينئذ لا يفتر عن مشاهدة جمال الحق وجلاله.

---

(١) الآيتان رقم (٢٧، ٢٨) من سورة الفجر.

الباب الثامن :

فى بيان النفس الراضية ...

فى بيان النفس الراضية، وبيان سيرها، وعالمها، ومحلها، وحالها، وواردها، وصفاتها، وكيفية الترقى منها إلى المقام السادس.

فسيرُها: فى الله تعالى.

وعالمها: اللاهوت.

ومحلها: سر السر.

وحالها: الفناء، لكن لا بمعنى الفناء الذى مر بيانه، والفرق بينهما: أن ذلك حال المتوسط فى الطريق.

وقد عرفت أن ذهول الحواس عن محسوساتها، وهذا حال المشرفين على البقاء الذين هم فى آخر السلوك، والمراد به محو الصفات البشرية، والتهيؤ للبقاء غير آن يعقبه البقاء فى الحال، لأن ذلك الفناء هو حق اليقين، وهو بعد هذا الفناء، ويحصل فى المقام السابع المذكور فى الباب العاشر، وهذه النفس، أعنى: الراضية ليس لها وارد، لأن الوارد لا يكون إلا مع بقاء الأوصاف، وقد زالت فى هذا المقام، حتى لم يبق لها أثر، ولذلك كان السالك فى هذا المقام فانيًا لا باقيًا بنفسه كما كان قبل هذا المقام، ولا باقيًا بالله كما ستكون فى المقام السابع، وهذه محالة لا تدرك إلا ذوقًا، وقد يمكن للكامل أن يفهمها للمريد المتهيئ للكمال.

وصفات هذه النفس الزهد فيما سوى الله تعالى، والإخلاص والورع والنسيان والرضا بكل ما يقع فى الوجود من غير اختلاج قلب، ولا توجه لرفع المكروه منه ولا اعتراض أصلاً، وذلك لأنه مستغرق فى شهود الجمال المطلق، ولا تحجبه هذه الحالة عن الإرشاد والنصيحة للخلق وأمرهم ونهيهم، ولا يسمع أحد كلامه إلا وينتفع به كل ذلك وقلبه مشغول بعالم اللاهوت وسر السر، وصاحب هذ المقام غريق فى بحر الأدب مع الله تعالى، ودعوته لا ترد، لأنه لا ينطلق لسانه بالسؤال حياء وأدبًا، إلاَّ إذا اضطر، فإنه يطلب ويدعو فلا ترد دعوته، وهو عزيز عند الخلق، محترم عند الأكابر والأصاغر، لأنه قد نودى عليه من حضرة القرب ﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾(١).

فصار تعظيم الخلق له قهرى، لا يعلمون لماذا يعظمونه ويحترمونه فينبغى عليه أن لا

(١) الآية رقم (٥٤) من سورة يوسف.

يركن إليهم، خصوصًا الظالمين منهم لئلا تمسه نار طبائعهم على الخصوص إذا أحسنوا إليه، وكان فقيرًا، وقد جُبلت القلوب على حب من أحسن إليها وقال تعالى: ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾(١).

فاشتغل بربك ولا تمل إليهم، وكلما أعرضت عنهم، واشتغلت بربك زاد شوقهم إليك، فإن قسم الله لك فى مالهم نصيبًا فهو يصلك غصبًا عنهم، فلا تركن إليهم رجاء فيما فى أيديهم، ولا تعرض عنهم لأجل إقبالهم عليك لأنك وأنت فى هذا المقام، وإن كان لا يخاف عليك من دسائس النفس إلا أن الخوف أسلم، فاحذر وخف ولا تنغر(٢) بإقبال الخلق عليك ومحبتهم لك، والحق أن صاحب هذا المقام ليس له ركون إلى ما سوى الله تعالى، فمتى رأيت من نفسك ركونًا فاعلم أنك لست من أصحاب هذا المقام، لأن صاحب هذا المقام قد أشرف على سلطنة الباطن، التى جميع الظاهر تحت قهرها، فكيف يكون له ركون واعتماد على بعض رعيته؟ فافهم.

واشتغل فى هذا المقام بالاسم الخامس وهو «حى» وأكثر منه ليزول فناؤك ويحصل البقاء بالحى، فتدخل فى المقام السادس، وتترقّى من الوقوف على الباب إلى منازل الأحياء، وكلما اشتغلت بهذا الاسم زال فناؤك، وبقيت بالحى، واتصفت بالصفات الكمالية، وهى معنى: «كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به»(٣) المعبر عنه بقرب النوافل، وكل هذا يأتى مفصلاً فى المقام السادس.

واعلم أن من الأسماء أسماءً يقال لها: فروع، وهى الوهاب، الفتاح، الواحد، الأحد، الصمد، فاشتغل وأنت فى هذا المقام بالاسم الفتاح أو بالاسم الوهاب مع الاسم الخامس الذى ذكرناه لك وهو «الحى» يسهل عليك الانتقال إلى المقام السادس الذى أنت إليه فى غاية الاحتياج، ويستمع ما فيه من العجائب.

(١) الآية رقم (١١٣) من سورة هود.

(٢) يقصد: (ولا تغترّ) وواضح أن هذه لغته الدارجة.

(٣) حديث: (لا يزال العبد يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبَّه فإذا أحببته...).
رواه الترمذى فى ثواب القرآن ١٧، وأحمد بن حنبل ٥/ ٦٢٨، ٦/ ٢٥٦، ورواه البخارى فى التوحيد (١٥، ٥٠) ورواه مسلم فى الذكر (٢٠، ٢١، ٢٢) والتوبة (١) ورواه الترمذى فى الدعوات ١٣١ ورواه ابن ماجه فى الأدب ٥٨، ورواه أحمد بن حنبل ٢/ ٤١٣، ٤٣٥، ٤٨٠، ٤٨٢، ٥٠٩، ٥٢٤، ٥٣٤، ٣/ ٤٠، ١٢٢، ١٢٧، ١٣٠، ٣٧٣، ٥/ ١٥٣، ١٥٥، ١٦٩، ٣٥١، ٦/ ٢٥٦، والبخارى فى الرقاق ٣٨، ومسلم فى فضائل الصحابة ٨٣، والنسائى فى النساء ٣، انظر: المعجم المفهرس الألفاظ الحديث ٥/ ٣٥٤ (مادة: قرب).



الباب التاسع :

فى بيان النفس المرضية ...

فى بيـان النفس المرضـية، وبيـان سيـرها، وعالمـها، ومحلـها، وواردها، وصفاتها، وكيفية الدخول منها إلى المقام السابع.

فسيرُها: عن الله.

وعالمُها: عالم الشهادة.

ومحلُّها: الخفاء.

وحالُها: الحيرة المقبولة.

وواردها: الشريعة.

وصفـاتُها: حسن الخلق وترك مـا سوى الله تعالى، واللطف بالخـلق، وحملهم على الصـلاح والصفح عن ذنوبهم، وحـبهم والمـيل إليهم لإرشـادهم [عن ظلمات طبـائعهم وأنفسهم إلى أنوار أرواحهم][1] لا كالميل الذى فى النفس الأمَّارة لأنه مذموم.

ومن صفات هذه النفس الجمع بين حب الخلق والخالـق، وهذا شىء عجيب لا يتيسر إلا لأصحاب هـذا المقام، أعنى: المقـام السادس: ولذلك كان السالك فى هذا الـمقام لا يتميز عن عوام الخلق بحسب ظاهره.

وأمَّا بحسب باطنه فـهو معدن الأسرار، وقدوة الأخيـار، ليس له فى شهوده شىء من الأغيار، ومن حيث هى أغيار وهو دائرة العلم الإلهى الحالى، لا علم الرسوم المقالى.

وسمـيت هذه النفس بالمـرضية، لأن الحـق تعالى قد رضـى عنها، وسيـرها عن الله بمعنى: أنها أخذت ما تحتاج إليـه من العلوم، من حضرة الحى القيوم، ورجعت من عالم الغيب إلى عالم الشهادة بإذن الله لتفيد الخلق مما أنعم الله عليها.

وحالها: الحيرة المقبولة، وهى المشـار إليها بقوله: «رب زدنى فيك تحيراً» لا الحيرة المذمومة التى تكون فى أول السلوك.

ومن صفـات السالك وهو فى هذا الـمقام الوفـاء بما وعـد فلا يخلف وعـده أصلاً، ووضع كل شىء فى مـوضعه، فـينفق الكثيـر إذا صادف مـحله حتى لا يظن الجـهول أنه أسرف، ويبخل بالقليل إذا لم يصادف محله، حتى إنه إذا رآه الجاهل قال: هذا البخل من كل بخيل، ولا يزداد مادحه إذا لم يكن محلا للإعطاء بمدحه إلاَّ تعبًا.

وإذا كان من ذمـه محلا للإعـطاء فلا يمنعه حـقه لأجل ذمه، وهذه أحـوال الكاملين

(١) ما بين المعقوفتين مستدرك من هامش المخطوط.

أرباب القلوب ومن أوصافه، أنه فى جميع شهوته فى الحالة الوسط وهى بين الإفراط والتفريط.

وهذه حالة لا يقدر عليها إلا من كان فى هذا المقام، وهى خفيفة على اللسان، ثقيلة عند الامتحان، وكل أحد يحب هذه الخصلة، ويحب من يتصف بها لأنها صعبة، فلا يقدر عليها كل أحد.

واعلم أن فى هذا المقام يلوح لك بشائر الخلافة الكبرى، وفى آخره تخلع عليك خلعتها، وهى خلعة: «كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به، ويده الذى يبطش بها ورجله التى يمشى بها، فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى»[١] وهذا نتيجة قرب النوافل، وهو أن يكون التأثير للعبد باستعانة الحق فافهم هذا فإنه دقيق.

وإياك أن يسوء فهمك، فتعتقد أنك الحق كما يعتقده الملاحدة الذين طالعوا كتب الأكابر من الصوفية، ولم يفهموا منها ما قصدوه، ورضوان الله تعالى عليهم أجمعين، خصوصًا كتب الشيخ «محيى الدين»[٢] ﷺ، فإنه لم يفارق الشريعة أصلاً، ولكن سوء فهم القارئ شوّش على الناس.

وتحقيق هذا المقام: أن السالك إذا وصل إلى مقام الفناء، وهو المقام المذكور قبل هذا المقام، تنمحق صفاته الذميمة البشرية التى هى محل الانفعال والشقاوة، وذلك بسبب تقربه إلى الله تعالى بالنوافل، التى هى الرياضات ومجاهدة النفس الجهاد الأكبر.

وقد جرت عادة الله تعالى أن يهبه كرمًا منه صفة مناقضة لتلك الصفات، مؤثرة بإذن الله تعالى، وهذا هو حق اليقين المذكور فى المقدمة فطالعه تفهمه إن شاء الله تعالى.

فإياك أن تسلك طريق الضلال، وتعتقد الحلول، فتعالى ربنا أن يحل فى شىء أو يحل فيه شىء، والحق أن الأمور لا تدركها العقول، ومتى حاول العقل إدراكها وقع فى الزندقة، لأنها أمور لا تدرك إلا بتأييد إلهى، لأن الفناء ليس فى الخارج له نظير حتى يقاس عليه ويمثل به، وكذلك البقاء بالله، وكذلك قرب النوافل وقرب الفرائض، وإنما ذكرته فى هذا الكتاب، لأن الخطاب فى هذا الباب لمن كان فى هذا المقام، ومن كان فى هذا المقام يفهم كل ما ذكر، بل يذوقه إن شاء الله تعالى.

واعلم أن آخر مقامات السالك وصوله إلى صورته الآدمية التى كانت قبلةً للملائكة

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدمت ترجمته.

التى حقيقتها الحقيقة المحمدية وهى سرّ الله الأعظم، واللطيفة الإلهية، وهذا غاية القرب من حضرة الرب.

فإذا وصل السالك إليها تحقق بالعبودية المحضة والعجز والذل، فعرف نفسه بهذا الوصف فعرف ربه بأوصاف الربوبية، لأنه إذا عرف نفسه بالذل والفناء، عرف ربه بالعز والبقاء، وذلك بسبب مقابلة مرات العبودية لمرات الربوبية وانتقاش كل فى كل، وهو معنى قوله: «ما وسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن»(١).

ومتى عرف ربه بالعلم الإلهى، علم السر المودوع فى حقائق الأشياء المشار إليه بقوله: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾(٢) وبقى هنا أسرار تضيق عنها العبارات فسبحان من تعالى عن الشبيه والمثيل، وجل عن الشبيه والمثيل.

ومتى كوشفت بهذه الصورة، وعلمت أنها هى أعظم مطالب السالكين وأعلى منازل السائرين، وأعز ما فى الوجود عند الكاملين، جدَّيت فى طلبها بالاستقامة على الطريقة والتمسك بأذيال الشريعة وتلاوة الاسم السادس، وهو: القيوم، فتصير حسنات الأبرار سيئاتك، فلا تزال مؤدبًا بآداب الشريعة.

والطريقة والحقيقة لا يشغلك بعضها عن البعض الآخر إلى أن تنتقل إلى المقام السابع، طالبًا للتحقيق بالصورة الآدمية والحقيقة المحمدية.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الآية رقم (٣٠) من سورة البقرة.



الباب العاشر:

فى بيان النفس الكاملة ...

فى بيان النفس الكاملة، وبيان سيرها وعالمها، ومحلها وحالها وواردها وصفاتها.

فسيرها: بالله.

وعالمها: كثرة فى وحدة، ووحدة فى كثرة.

ومحلها: الأخفى، أى: السرُّ الأخفى الذى نسبته إلى الخفى كنسبة الروح إلى الجسد.

وحالها: البقاء.

وواردُها: جميع ما ذكر من واردات النفوس.

وصفاتها: جميع ما ذكر من الأوصاف الحسنة للنفوس المتقدم ذكرها.

والاسم الذى يشتغل به هذا الكامل «القهار» وهو الاسم السابع، وهو أعظم المقامات، لأنه قد كملت فيه سلطنة الباطن وتمت به المكابدة والمجاهدة.

ليس لصاحب هذا المقام مطلب سوى رضوان مولاه، حركاته حسنات، وأنفاسه قدرة وحكمة وعبادة، إن رأوْه الناس ذكروا الله، وكيف لا يكون ذلك، وهو ولى الله؟ بك كان وليّا، وهو المقام الرابع، إلا أن المقام الرابع مقام الأولياء العوام.

والمقام الخامس: مقام الأولياء الخواص، والمقام السادس مقام الأولياء الذين هم خواص الخواص، فسبحانه لا مانع لما أعطى، ولا معطى لما منع.

واعلم أن الاسم «القهار» من أسماء القطب، قالت المشايخ: ومنه يمد القطب المريدين الطالبين بالأنوار والهدايات والبشارات، قالوا: إنه مهما حصل فى قلوب المريدين من الفرح والسرور والجذبات الكائنة، بغير سبب فهو من مدد القطب عوضًا عن أذكارهم وتوجهاتهم لربهم.

وصاحب هذا المقام لا يفتر عن العبادة، وذلك إما بجمع البدن أو باللسان أو بالقلب أو باليد أو بالرِّجل، وهو كثير الاستغفار، كثير التواضع، سروره ورضاه فى توجه الخلق إلى الحق، وحزنه وغضبه فى إدبارهم عن الحق.

يحب طالب الحق أكثر من محبته ولده الذى من صلبه، وهو كثير الأوجاع، قليل القوى، قليل الحركة، ليس فى قلبه كراهية لمخلوق من المخلوقات مع أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويظهر الكراهة للمستحق الكراهة، ويظهر المحبة لمن هو أهل المحبة

لا تأخذه فى الله لومة لائم، يرضى فى عين الغضب ويغضب فى عين الرضى، لكنه يضع كل شىء فى محله متى ما وجه همتــه إلى كون من الأكوان إلا أوجده الله تعالى على وفق مراده وذلــك لأن مراده قد انطـوى فى مراد الله، فإذا أراد شـيئـا وطلبه من الله تعـالى لا يخيبه.

الخاتمة

فى بيان صفات المرشد وبيان أوضاعه وأحواله

وبها يُـعرف من يصلح للإرشــاد ومن لا يصلح، ولو تصفـحت ما مـر من المقـامات لعرفت من يصلح للإرشاد من غيره، ولكن بالخاتمة تزداد علمًا بأحواله والعلم به وبأحواله أمر مهم، لأنه قد يتصدى للإرشاد من ليس أهله فيكون ضالا مضلا.

اعلم أن من كان بصــدد الإرشاد لا بُدَّ أن يكون عــالمًا بما يحـتاج إليــه المريدون من الفقه، وعقــائد أهل السنة والجماعة وإن لم يكن متبحــرًا فى العالمين، بل يكون له اطلاع بقدر ما يزيل به الشبه التى تعرض على المريد فى البداية.

وأن يكون عالمًـا بكمالات القلوب، وآفات النفـوس، وأمراضهــا، وأدوائها، وكيفـية حفظ صحتها، واعتدالها.

وأن يكون رءوفًا رحيمًا بالناس، على الخصوص بالمريدين وأن يكون ناصحًا فينظر فى حال المـريد بعدما يصـحبه مدة فـإن رآه قابلاً للسلوك وحسن لـه الطريق وأعانه على ترك الأسباب بكل ما أمكنه الإعانة من المال وغيره.

وإن رآه غير قابل نصـحه، وقال له ارجع إلى حرفتك إن كان له حـرفة أو إلى تعاطى شىء من الأسباب إن لم يكن له حرفة، فإن الله تعالى لا يحب العبد البطال.

والمريد القابل للسلوك من عادى نفسه، فأتعبها بالجوع والعطش والسهر والاعتزال عن الخلق، وقلة الكلام وكلمـا آذاه أحد من إخوانه أقـام الحجة على نفـسه، لا على من آذاه ويقول إن نفسى لو لم تكن خبيثة، لما سلَّط الله الإخوان عليها بالإيذاء وإذا تشاكوا للشيخ يقول: والله إنى أنا الظالم على أخى فمتى كان السالك على هذه الصفات ظاهرًا وباطنًا فهو قابل للسلوك وإن وجد فيه أوصاف ذميمة.

ومتى كان المريد مصادقًا نفسه راضيًا عنها ينتصر لها إذا آذاها أحد من إخوانه فلا يفلح ولا يشم لهذه الطريقـة رائحة فمثل هذا المريد يجب على الـشيخ أن يقول له: اذهب إلى صنعتك.

لأن أساس هذا الطـريق عدم الرضا عن الـنفس ومعاداتهـا فإذا بنى الســالك على هذا

الأساس انهدم كل ما بناه، ولا يلزم من هذا الكلام أن المريد القابل لا يصدر منه شيء من القبائح بل يقع منه بعضها، لأنه ليس كاملاً بل هو طالب للكمال وطالبه قد يقع منه القبائح.

فمرادنا من هذا الكلام إذا صدر منه مكروه لا يرضى به ويلوم نفسه ويقيم الحجة عليها، ولا ينتصر لها بوجه من الوجوه لا ظاهرًا ولا باطنًا، وكذلك يأمر الشيخ المريد بالاحتراف والصنعة إذا رآه لا يقدر على الرياضة والمجاهدة.

فإذا لم يأمره بالاحتراف فقد غشه والشيخ لا يكون غشاشًا (من غشنا فليس منا)[1] إلا إذا احتاج الشيخ لخادم يخدم الفقراء فلا بأس أن يقيمه الشيخ خادمًا، وإن كان لا يقدر على الرياضات لكن يجب على الشيخ أن يعلمه أنه ليس هو من سالكى طريق المقربين.

وإن طريق المقربين لا يكون الا بالرياضات والمجاهدات ومن علامة المريد القابل أن يكون ساخطًا على نفسه، إن سب فلا يسب إلا لها، وإن تألم فلا يتألم إلا عليها، وإن غضب فلا يغضب إلا عليها.

ومن لم يكن كذلك فليس هو من سالكى طريق المقربين ومن علامة المريد القابل أن يكون حزين القلب، منكس الرأس كمن أصابته مصيبة لا تتدبر إذا انشرح وانبسط كان انشراحه وانبساطه كصاحب هذه المصيبة.

والحق أن مصيبة السالك العارف أعظم المصائب لأنه ببركة السلوك وتلاوة الأسماء عرف ما انطوت عليه نفسه من الخبائث (والرزايا[2] والقبائح وعرف أنه مع بقاء هذه الخبائث[3])[4] لا يصل إلى مطلوبه ولا يتملى بمحبوبه وسعى على الخلاص.

---

(١) حديث: (من غَشَّنا فليس منَّا)
قال السيوطى فى جامع الأحاديث: رواه ابن ماجه فى السنن عن أبى الحمراء ﷺ الحديث (٢٠٩٢٥) ٦/ ٢٠١، ورواه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود ﷺ بزيادة (والمكر والخداع فى النار) الحديث رقم (٢٠٩٢٦) ٦/ ٢٠١، ورواه الترمذى عن أبى هريرة ﷺ بلفظ (من غش) بدلاً (من غشنا) انظر الحديث رقم (٢٠٩٢٤).
وانظر جوامع الكلم للإمام صلاح الدين التجانى حديث رقم (٢٣٠٤) ص ٣٢٤ وقال: حديث صحيح.

(٢) فى نسخة الأصل المخطوط: (والرذايز).

(٣) فى أصل المخطوط: (الخبايس).

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من المتن واستدرك بالهامش.

فما أمكنه الخلاص من جميع الخصال لأنهـا كثيرة والنفس منجبلة عليها وكلما خلص من خصلة ذميمة وقع فيها بعينها أو وقع فيما هو أخبث منها.

ولا شك أن من كـان هذا حاله يجب أن يكون منكسـر القلب باكى العـين شاكـيا من نفسه، طالبًا من مولاه الإعانة على الخلاص من كل ما يقطعه عن ربه.

وإذا عـرض عليه البسط والرجـاء فيـجب عليه الـتحـفظ من قلة الأدب ورفع الرأس والضحك والزهو، وأن يصرف فى هذه الحالة الخلوة بينه وبين ربه، ويطلب منه زوال هذه الحالة والحفظ مـعها، لأن حالة القبض الخـوف حالة السلامة لا خوف على المريد مـعها لكنها حالة صعبة لا تلائم النفوس الجاهلة.

وأما المريد العارف فإنه يخاف فى حالة البسط كما يخاف من الأسد ويلتذ بالقبض كما يلتذ أهل الدنيا بدنياهم وذلك لعلمه أن فى البسط هلاك باطنه وعمار ظاهره.

وفى القبض هلاك صـفات النفس الخبـيثة وعـمار باطنه وإذا قال المـريد أنا فى حالة البسط لى مع الله حضـور ومناجاة ومراقبة ومشـاهدة، وفى حالة القبض ليس لى شىء من ذلك فاعلم أن هذا المريـد ليس أهلاً لما ادعاه ولا علم الله ولا عرف الحضـور معه، لأن الحضور مع الله هو الغيبة عن جميع ما سواه.

ولا يغيب الإنسان عن جميع ما سواه إلا فى حالة القبض، حكى عن «عتبة الغلام»[1] وكـان من الرجـال: أنه زها يومًـا من الأيـام فقـال له شـيـخ ذلك الزمـان، وهو الجنيـد البغدادى[2] : تزهو عتـبة؟ فقـال: كيف لا أزهو يا أستـاذ وقد أصبح لى ربًا وأصـبحت له عـبدًا، فـقـال له الشيـخ: يا بنى إنه الفـرح مذمـوم ولو كـان بالله، وإن الله يحب القلب الحزين.

---

(١) (عُتـبة الغُلام) الملحق بالأجلة الـكرام، القائم فى الظلام كان قـد سأل ربه ثلاث خصـال: صوتًا حسنًا، ودمعًا غَزيرًا يجرى من غيـر تكلف، فكان إذا قرأ بكى وأبكى من حوله، ودموعه جارية، كان له كرامات كثيرة يعرفها الجميع حوله منها:
(أنه كان يدعو الطير فيجيبه ويأتيه فيقع فى يده فيخلى سبيله).
انظر ترجمته فى: المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٢٤٨.
النبهانى: جامع الكرامات الكبرى ٢/ ١٤٢.
الدميرى: حياة الحيوان الكبرى ٢/ ٣٩٤.
الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ٤٠.

(٢) تقدمت ترجمته.

وقال ﷺ: «إن الله يحب كل قلب حزين»(١) ومن علامة المريد القابل أن يكون معاديًا لنفسه طالبًا من الله تزكيتها في سره وعلانيته، ويعلم أنها عدوة له وإن مرضها خطر فيسعى على خلاصه، وإذا صدر منه شيء مخالف للطريق حكاه للشيخ.

ومن علامة المرشد أن يكون ستارًا لكل ما أظهره عليه المريد وأن يكون غنى النفس حسن الخلق لا يغضب إلا لله وأن يكون قد استوى عنده جميع المآكل حسنها وخشنها، وكذلك استوى عنده جميع الملابس، فلا يكون عنده فرق بين الصوف وغيره من الملابس الحسنة.

وأن يكون أكبر همه تسليك السالكين لا جمعهم حواليه لتنصرف وجوه الخلق نحوه بسببهم فإن مثل هذا الشيخ تفرش سجادته على متن جهنم، وأن يكون فى جميع أحواله فى الحالة الوسط فى الجوع والشبع والنوم والسهر، أعنى بين الإفراط والتفريط.

قال ﷺ «أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء»(٢) فأشار ﷺ إلى أن الحالة الوسط شيء حسن وأنها حالة الأتقياء الكمل، ولا شك أن الحالة الوسط شيء لا يقدر على الاتصاف بها إلاَّ الكُمَّل من الرجال.

ولذلك كان من اتصف بها صالحًا للإرشاد وإذا لم يكن متصفًا بها فلا يقدر عليه، لأنه ينبغى أن يكون جلاله ممزوجًا بجماله، وغضبه ممزوجًا بحلمه، وقهره ممزوجًا بلطفه، يسخط فى عين الرضى ويرضى فى عين السخط وذلك (فإن صَحِبْتَه فصُحبَته بالله، وإن رضيته فرضا بالله)(٣) لقيامه بالله.

فيجب على المريد أن ينظر أولاً فى حال نفسه هل فيه أوصاف المريد القابل، وينظر ثانيا فى أحوال الشيخ هل هو متصف بما ذكر من الأوصاف فإن رأى نفسه وشيخه كذلك فيجب عليه السلوك والخلاص من سجن الطبيعة والترقى إلى أكمل الصفات.

ولا يبالى إن طالت المدة فإنه لا بد له من الوصول حتى أنه إذا وجد فى نفسه أوصاف

---

(١) حديث: (إن الله يحب كل قلب حزين)

رواه الطبراني فى الكبير، والحاكم فى المستدرك عن أبى الدرداء رضي الله عنه الحديث رقم (٥٥٩٥) ٢/ ٣٤٨ من جامع الأحاديث للسيوطى.

(٢) حديث: (أمَا والله إنّى لأخشاكم لله . . .).

رواه البخارى بهذا اللفظ عن أنس رضي الله عنه

انظر السيوطى الحديث رقم (٤٤٢٩) ٢/ ١١٨ من جامع الأحاديث.

(٣) ما بين المعقوفتين مستدرك من هامش المخطوط.

المريد القابل ومـا وجد الشيخ فيـسلك هو وحده أيضًا، ولكن يجب عليه إذا فـقد الشيخ التمسك بالشريعة، ومطالعة أحاديث المصطفى ﷺ وأخلاقه وأوصافه وتواضعه.

لأن الشيطان لا يغفل عن المريد ولا ساعة ويدخل عليـه من أبواب كثيرة، فيأتيه وهو فى النفس الأمارة فيقول له ما لك وهذا طريق قد مات أهله وما بقى منه إلا العبارات وأنت فى زمان (القابض فيه على دينـه كالقابض على الجمر)[١] وإذا أردت السلوك فـعلى يد من تسلك، أين أصحـاب الكرامات؟ أين أصحـاب الأحوال؟ كلهم مـاتوا فكن مستـمدًا منهم وقف على ظاهر الشرع فـإن صغى المريد لهـذا الكلام وبردت همته وانحل عزمـه وأعرض عن السلوك جاءه اللعين بعد ذلك.

وقال: إن الله يحب أن تؤتى رُخَصـه كما يكره أن تؤتى معصـيته، وإن الله يحـب أن تقبل رخصه كما يحب العبد مـغفرة ربه (وإن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه)[٢]، فلا تشدد على نفسك لأن الله يقول: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[٣] فإذا أصـغى المريد لهذا الكلام وتتبع الرخـص وأقوال الأئمة تناول الشبـهات التى هى بين الحلال والحرام.

ومن تناول الشبهات وفـعلها فقد حام حول الحرام وقرب منه ومن شـأن الشبهات أنها تظلم القلب، ومتى أظلم القلب وقع فى الحرام وإذا وقع فى الحرام هلك مع الهالكين.

لأن من أكل الحرام، وداوم عليـه وملأ بطنه منه صار لا يخطر بباله إلا فـعل الحرام، فإذا تكلم فـيتكلم بالغيبـة والنميمة ،وكـسر الخواطر وغيـر ذلك مما يكون سببًا لارتكاب الحرام، وإذا تحركت يده فتـتحرك بالحرام، وإذا مشى فمشـيه بالحرام وهذا غاية المطلب الشيطان لأنه قـد آيس من أن يدخل أمة محـمد ﷺ فى الكفر، ومـا آيس من أن يخرج المؤمن من كمال الإيمان ويجعله ناقص الإيمان.

فإن مـع المعـاصى وأكل الحرام لا يكون الإنسـان كافـرًا بل مؤمن، لكنه ليس كـامل

---

(١) لحديث المصطفى ﷺ.

رواه الترمذى فى الفتن ٧٣، رواه أحمد بن حنبل فى مسنده ٢/ ٣٩٠، ٣٩١

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٥/ ٢٣٧ مادة (قبض).

(٢) حديث: (إن الله يحب أن تُؤتى رُخَصُه كما يحب...).

رواه أحمد بن حنبل فى المسنـد، وابن حبان فى صحيحه، والبيـهقى فى الشعب، كلهم عن ابن عمر ﷺ، الحديث رقم (٥٥٨١) ٢/ ٣٤٦ من جامع الأحاديث للسيوطى.

(٣) الآية رقم (٧٨) من سورة الحج.

الإيمان، والدليل على أنه آيس من كفر أمة محمد ﷺ قوله ﷺ: «إن الشيطان قد أيس أن يُعبد فى بلادكم هذه أبدًا ولكن سيكون لكم له طاعة فيما تحتقرون من الإيمان فيرضى به»[(١)]، وقوله ﷺ: «إن الشيطان قد أيس من أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم»[(٢)]، فدل ما قاله ﷺ على أن الإيمان إذا تمكن فى القلب فلا يزول أصلاً بل ينقص، وأما الذين ارتدوا بعد الإسلام فأولئك لم يتمكن الإيمان فى قلوبهم.

وأما قوله ﷺ «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار»[(٣)] فهو حديث صحيح.

وهذا الرجل عمل بعمل أهل الجنة ولكن قلبه لم يطمئن بالإيمان فلا شك أن عند الموت لا تنفعه تلك الأعمال ويظهر ما فى باطنه من الكفر، لأن الإيمان إذا لم يكن عن اليقين فلا فائدة له.

﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾[(٤)] فلذلك يجب على كل مؤمن أن يحصل فى العقائد ما يزيل عنه الشبهة والظن.

ولا ينبغى للسالك أن يتوغل فى علم العقائد لأنه لا فائدة فيه بل يأخذ منه بقدر ما يحتاج إليه وقد شرحت قصيدة قطب زمانه سيدى أبى العباس أحمد بن عبد الله الجزائرى رضي الله عنه شرحًا مختصرًا مفيدًا، لا يحتاج من قرأه إلى غيره من العقائد لأنه قد اشتمل بحمد الله على جميع عقائد أهل السنة والجماعة.

---

(١) حديث: (إن الشيطان قد أيس أن يُعبد فى بلادكم...).
أورده السيوطى فى جامع الأحاديث بلفظ: (إن الشيطان قد أيس أن يُعبد بارضكم هذه، ولكن رضى منكم بما تحقرون) ورواه أحمد بن حنبل فى مسنده، وأبو نعيم فى حلية الأولياء عن أبى هريرة رضي الله عنه.
انظر الحديث رقم (٧٠٩٢) ٢/ ٦٥٩.

(٢) حديث (إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون).
رواه أحمد بن حنبل فى مسنده، والإمام مسلم فى صحيحه، والترمذى فى جامعه عن جابر رضي الله عنه الحديث رقم (٥١١٥) ٢/ ٢٥٥.

(٣) حديث: (إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى...).
انظر ما رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده عن عائشة رضي الله عنها الحديث رقم (٧٠٤٣) ٢/ ٦٤٨ من جامع الأحاديث للسيوطى.

(٤) الآية رقم (٢٨) من سورة النجم.

فمن أراد تحصيل اليقين بسهولة فليـقرأه لأنه نافع إن شاء الله تعالى وعباراته خالية من الصعوبة يفهمه من له أدنى فهم.

ولنرجع إلى ما كنّا فى صـدده من أن الشيطان يدخل على السالكين من أبواب كـثيرة، فيأتـيهم وهم فى النفس الأمارة، ويسعى علـى قطعهم بما سمـعته من الأقوال المـتينة التى يقبلـها العقل، فـإن حفـتهم الألطاف وعلمـوا أن هذا شأن العاجـزين الحمـقى البطّالين، وسلكوا حتى وصلوا إلى المـقام الثانى وصارت نفوسهم لـوّامة، أتاهم الشيطان من طرق كثيرة ليقطعهم عن طريق الحق، منهـا: أن يُحسِّن لهم ما يصنعون من الأعمال ويزينه لهم، فيـدخل عليهم العجب، فإذا دخـل عليهم العجب بنفـوسهم وأعمالهم غـرهم وقال لهم: المقصود من الطريق العمل، وأنتم حصلتم عليـه فلا حاجة لكم إلى العلم ولا إلى نصيحة العلماء، لأن العالم الذى ينصحكم ليته نصح نفسه.

فهل يعمل العـامل الذى ينصحكم عشر مـعشار ما تعملون؟ فـإذا تمكن منهم العجب والعياذ بالله اسـتعظموا أنفسـهم، واستحقـروا الناس وساءت أخلاقهم، وساء ظنهـم بالغير وصاروا لا يقبلون من عالم نصيحة، بل يعبدون علـى مقتضى عقولهم، فيهلكون فى بحار الجهل والعياذ بالله.

ومنها أن يأتيـهم ويقول لهم: كـيف تدّعون الصلاح، وتدعـون حب الله ورسوله ولا تحجـون البيت الحـرام، وتزورون النبى، وهذا ليس شـأن المحـبين، فتـوكلوا على الله، وحجـوا ومهمـا كان لكم من الأوراد ومن الصلاة والصـوم والأذكار فافـعلوه فى الطريق، فتحوزوا على ثواب الحج وغيره.

فإن صغوا لهذه الوسوسة وتوجهوا إلى بيت الله الحرام مع فقرهم وفاقتهم وقلة زادهم وراحلتهم أتعـبوا أبدانهم، فلم يقدروا على العبـادة التى كانوا يفعلونها، فـإذا ازداد عليهم التعب وملوا من الطريق جـاءهم اللعين وقال لهم: إن الله يقبـل القضاء فلا تضيـقوا على أنفسكم، وتحملوها بما لا تطيق، فإن فاتكم شىء من الصـلاة فاقضوها فى مكة شرفها الله تعـالى، فيـمتـثلون قوله مع عـجـزهم، ويتهـاملون فى أداء الصلاة، وإذا جـاءوا سـاءت أخلاقهم، جاءهم وقال لهم: أنتم فقراء، وما فرض الله الحج إلا على الأغنياء.

فلا شك أن الخواطر التى خطرت وبعثتكم على الحج كانت من الشيطان فيوقعهم فى الندم والسخط وعدم الرضـا، فتظلم قلوبهم ويقعون فى غيبـة الخلق وأعراضهم، لأنهم لا يتصـدقون عليـهم ولا يلتفتـون إليهم، وقد لا يـبلغون الحج فينقطـعون، وإذا بلغوه فـقد

تفوتهم غالب مناسك الحج، بسبب انشغالهم بطلب القوت، وإذا كان الرجل منهم فى بلده سخيّا مؤثرًا على نفسه، منشرح الصدر، حسن الأخلاق، يصبر بسبب ما لاقاه من الأهوال، بخيلاً ضيق الصدر، سيئ الأخلاق.

ودسائس الشيطان كثيرة، وهى أنواع منوعة، فمن قدر عليه بإفساد عمله أفسده عليه، ومن لا يقدر عليه لكن يهون عليه ويقربه له حتى يباشر العمل الثانى، وينقطع بسببه عن العمل الأول، ولا يقدر على إتمام العمل الثانى ويحرم العملين، وهذا مراد الشيطان من ابن آدم.

ومنها: أن يقول لأصحاب النفس اللوّامة: أنتم معتقدون والناس يعتقدونكم، فلا بأس أن تحسنوا أعمالكم ليعتقدوا بكم، فتحصلوا الثواب، فإذا حسنوا أعمالهم بهذه النية، صارت معلولة، هذا إن عجز اللعين عن أن يجعلها رياء وسمعة.

ومنها: أنه يقول للعابد: اخف عبادتك، فإن الله تعالى يحب العمل الخفى، فيحبك الله، ويحبك الناس أيضًا، لأنهم يطلعون على إخلاصك، فإن تبعه وأخفى عمله بنية محبة الخلق له، وقع فى الرياء ولم يدر، فإن نجوا أصحاب النفوس اللوّامة من مكروه، واستعانوا بالله على دسائسه، وترقوا إلى المقام الثالث، وهو الذى تسمى فيه النفس بالملهمة، دخل عليهم من أبواب تناسبها، لأنهم قد بلغوا بعض درجات العرفان وجاوزوا ما ذكر من العقبات، ولم (نتروا)[(١)] بما زين لهم، فقال لهم: قد تحققتم وعلمتم أن لا موجود إلا الله تعالى وأنه المبدئ، وهو المعيد، ومنه بدأ الأمر وإليه يعود ولا يتحرك متحرك إلا بقدرته، وقد جف القلم، وأهل النار للنار وأهل الجنة للجنة، وهذا لا يعلمه إلا أمثالكم، فلا تتعبوا أنفسكم بالأعمال الشاقة.

فدعوا الأعمال للمحجوبين المقلدين، ولا تشتغلوا بها واشتغلوا بالمشاهدة والمراقبة، فإن زلت أقدامهم، وما اطلعوا أنه دسيسة شيطانية، تركوا الأعمال الصالحة، فإذا أظلمت قلوبهم من حيث لا يعلمون جاءهم وهو متمكن منهم بسبب ظلمة قلوبهم وقال لهم: افعلوا ما شئتم فإن الله حقيقتكم، فأنتم هو وهو أنتم، وهو لا يُسأل عما يفعل وأنتم لا تُسألون.

فحينئذ تنسبل عليهم الحجب الظلمانية الطبيعية، ولا يرونها فيزنون، ويشربون الخمر ويأكلون الحرام من أى وجه كان من سرقة أو قيادة أو غير ذلك.

---

(١) فى الأصل المخطوط (ينغروا).

ولا يخافون من الله لسوء اعتقادهم، وعدم معرفتهم بالله، ولا يزال الشيطان يلعب بهم، حتى يتخذوه وليًّا من دون الله، وهذا حال من مال لأرض الطبيعة، وصار كلام الشيطان معينًا له على هواه.

وأما المريدون وجه الله والمحبون له تتبعوا أفعال نبيكم وأقواله وسائر الشريعة، حتى ماتوا الموت الطبيعي، فهؤلاء كلما خطر ببالهم خاطر قاسوه إلى أفعاله وأقواله ﷺ فإن وافق عملوا به وإلا ردوه، وقالوا: إنه شيطان.

وقد علموا أن النبي ﷺ انتقل بالوفاة، ولم يترك شيئًا من الفرائض والنوافل ولا سمع هذا عن السلف الصالح، فتحققوا أن كل خاطر لا يوافق الشريعة فهو زندقة وكفر وضلال، فاستقاموا على الطريقة فترقوا من هذه المقامات الكثيرة الخطرة إلى المقامات العلية.

فانكشف لهم عن سر الشريعة فرأوه بحرًا لا ساحل له، ولا مخزون في ظاهر الشريعة، فمن لم يكن متابعًا لظاهر الشريعة، لا ينكشف له عن سرها، ويقع في الزندقة والعياذ بالله.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(١).

فهذه الآية تكفى المستبصر في التزام الوقوف على باب الشريعة، حتى ينتقل إلى الدار الآخرة، فمن تمسك بالشريعة الغراء يصل إلى أسرارها، ومن أسرارها إلى أسرار الله تعالى وخصوصياته التي تقع بينه وبين عباده، الذين ليس للشيطان عليهم سبيل.

وهذه الأسرار يَعرفها أهلها بسبب تنوير بواطنهم واتباعهم للشريعة، ولا يلتبس عليهم، وإن أراد الشيطان تلبيسها فلا يقدر، لأنه ليس له عليهم سلطان.

وقد جاء للشيخ عبد القادر(٢) قدّس الله سره العزيز وهو في البادية وقال له: يا عبد القادر، إني أنا الله وقد أبحت لك المحرمات فاصنع ما شئت، فقال له: كذبت، إنك شيطان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾(٣).

فانظر! ما أعظم الشريعة! وما أسلم من تمسك بها؟! واعلم أن جميع ما تنوع به الشيطان يقدر أن يضل به الضعفاء من الناس.

---

(١) الآية رقم (٣١) من سورة آل عمران.

(٢) هو الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ وتقدمت ترجمته

(٣) الآية رقم (٢٨) من سورة الأعراف.

وأما العارفون الأقوياء فإنه لا يضلهم إلا بما يناسبهم، مما ذكر من أنواع الإضلال.

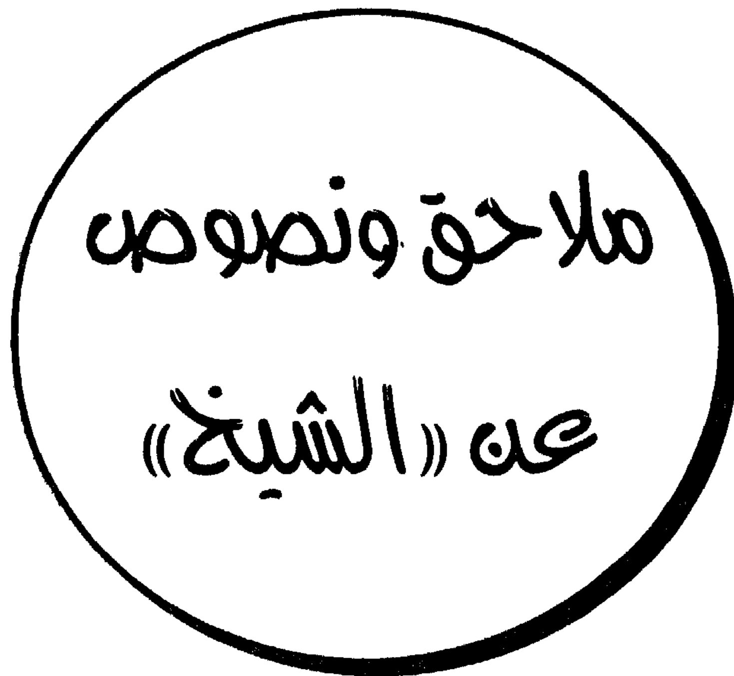
وما ذكرنا من أنواع الإضلال قليل بالنسبة إلى ما يظهر به لعنه الله من الأنواع، ولا تقدر أيها الأخ على ردها إلا بالتمسك بالشريعة الغراء، وصحبة العلماء العالمين، وصلى الله على أشرف الأنبياء والمرسلين، والحمد لله رب العالمين.

وهذا آخر ما يسَّره الله تعالى فى هذا الكتاب.

قال الشاعر:

يَلُوحُ الخَطُّ فِى القِرْطَاسِ دَهْرًا
وكَاتِبُهُ رَهِينًا فِى التُّرَابِ
أيَا قَارِئًا حُرُوفَ الخَطِّ مَهْلاً
تَأنَّى وَاقْرأ فَاتِحَةَ الكِتَابِ
لِعَبْدٍ قَدْ كَتَبَ هَذَا بِيَدِهِ
ويَرْجُوا دَعْوَةً مِنْ ذِى الصِّحَابِ
وَاهْدِنِيهَا عَسَى يَخْتِمُ بِخَيْرٍ
ويَرْزُقْنَا النَّجَاةَ مِنَ الحِسَابِ

وكان الفراغُ من هذه النسخة الشريفة يوم الجمعة
خمس فى شهر ربيع الثانى من شهور ألف ومائة وثمان
عشرة سنة من الهجرة النبوية
صلى الله عليه وسلم
تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين
والحمد لله رب العالمين


ملاحق ونصوص
عن «الشيخ»

وعد المؤلف أثناء الكلام داخل الكتاب أنه سوف يخصص خاتمة الكتاب عن مفهوم (الشيخ ـ المُرْشد ـ المسلّك) ولما كانت الخاتمة بهذه الكيفية، لم يستوف فيها ما وعد، ربما لظروف لاحقته أثناء تأليف الكتاب، فأردنا أن نجمع أهم النصوص عن مصطلح ومفهوم الشيخ بين القديم والحديث، فعرضنا عددًا من النصوص القديمة منها لخاتم الأولياء سيدى أحمد التجانى ﷺ، والشيخ الأكبر سيدى محيى الدين بن عربى، والإمام القشيرى، والقاشانى، وبعض تعريفات متفرقة حول مصطلح «الشيخ» هنا وهناك، ولم نتوقف فى الحديث، بل فى المعاصر إلاّ على قصيدة كتبها العارف بالله الشيخ الطبيب «أيمن أمين الجبرى» بدا فيها صدقه، ومحبته المكتنزة بها القصيدة، لكنه أعطى إشارات دقيقة وجميلة وهامة حول مفهوم «الشيخ» ولا أدل على حداثتها من أنها كتبت فى زمننا، وأيامنا، وهو حىٌّ بيننا، أطال الله بقاءه بيننا مُنَعَّمًا، مُكرَّمًا، محبوبًا، محفوظًا إن شاء الله، وهو طبيب مصرى، قد سلك الطريق إلى غايته حتى أفاض الله عليه فيوضاته وأتَمَّ عليه إنعامه وفتوحاته، وقد كتب هذه القصيدة فى شيخنا وقدوتنا، وحبيبنا سماحة الإمام صلاح الدين التجانى الحسنى الحسيب النسيب سليل بيت النبوة ﷺ، وقد أجاد الدكتور أيمن الجبرى فى تنقُّله بين الصفات المتعددة الواسعة، التى أعطت إشارات كثيرة لما ينبغى أن يكون عليه الشيخ المُرَبّى المُسَلّك، وكل ما تحدَّث عنه قليل من كثير، نعرفه والحمد لله، ولكن أن ينظم هذه الصفات بهذا الجمال، والرقّة، والصفاء كأنها عقد من الجوهر، زادهما الله جمالاً، وعلمًا، وبهاءً، وهذه القصيدة ستضاف إلى قائمة القصائد الهامة فى سلك التصوف حين يتطلب الحاجة الكلام عن المشايخ، لصدقها وجمالها، وتنوع تراكيبها، واشتمالها على صفات كثيرة ينبغى أن تتوفر فى شيخ التربية، ولصدق كاتبها، فهذه القصيدة أرجو لها الذيوع والانتشار، إن شاء الله تعالى.

أولا: مصطلح (الشيخ):

(**الشَّيْخُ**) بالفتح وسكون المثنّاة التحتانية، معروف، ويجمع على شيوخ، وأشْياخ، وشِيَخَة (بالكسر وفتح الياء) وشِيخان، ومشيخة، ومشايخ.

وشَيَّخْتُهُ: دعوتُهُ شيخًا للتبجيل.

والشيخ عند السالكين ـ وهو المطلوب:

هو الذى سلك طريق الحق، وعَرَفَ المخاوف والمهالك، فيرشد المريد، ويشير إليه بما ينفعه وما يضرُّه.

وقيل: الشيخ هو: الذى يقرر الدين والشريعة فى قلوب المريدين والطالبين.

وقيل: الشيخ هو: الذى يُحبب عباد الله إلى الله، ويحبب الله إلى عباده، وهو أحب عباد الله إلى الله.

وقيل: الشيخ هو: الذى يكون قدسى الذات، فانى الصفات.

وقيل: الشيخ هو: الذى يجلو بقوَّة نظر الباطن صدأ الدنيا وحبها من قلب المريد، حتى لا يبقى فى قلبه شىء من كدر الدنيا وغلّها، وغشّها، وفُحْشها، وعلائقها.

وقيل: إن الذى يبحث عن الماء والهواء، ويطلب ما يشتهى لا يُعَدُّ شيخًا حتى ولو لاقى العالمين بالغيب، وصام عن الطعام والشراب، لأن الشيخ هو الذى يُكشف له أسرار الأرواح والقبور، ويلاقى أرواح الأنبياء، ويتحقق له تجلى الأفعال والصفات، وظهور الذات ويتحرر من علائق الدنيا، وينبغى فيمن يختار خليفة أن يكون متَّصفًا بهذه الصفات.

وقيل: الشيخ هو الذى يستقيم على الشرع، فإمَّا أن يكون بهذه الصفات أو لا يكون شيخًا.

* والمشيخة: هى الدلالة، والخفارة (الأمان) فى الطريق، وشرطه أن يكون عالمًا بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، وليس كُلُّ عالم بأهل للمشيخة.

بل ينبغى أن يكون موصوفًا بصفات الكمال، ومُعْرِضًا عن حُبّ الدنيا والجاه، وما أشبه ذلك.

وأن يكون قد أخذ هذا الطريق النقىّ عن شيخ محقق تسلسلت متابعته إلى رسول الله ﷺ، وارتاض بأمره رياضة بالغة، من قلّة الطعام والكلام والمنام، وقلّة الاختلاط مع الأنام، وكثرة الصوم والصلاة والصدق ونحو ذلك.

وبالجملة يكون متخلّقا بخُلق النبى ﷺ .

* ولا يصلح للمشيخة المجذوب، فإنه وإن ذاق المقصود، لكنه لم يذق الطريق إلى الله .

وكذا لا يصلح للمشيخة السالك فقط .

فالصالح لها : إمَّا المجذوب السالك ، وهو أعلى وألْيَق ، وإمَّا الغير المجذوب . .

وقيل : الشيخ هو : الإنسان الكامل فى العلوم الشرعية والطريقة والحقيقة البالغ إلى حدِّ التكميل فيها لعلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدوائها ، وقدرته على شفائها ، والقيام بهداها إن استعدت ووفِّت لاهتدائها .

فائدة: إذا وصل المريد إلى الشيخ ينبغى أن يحتاط ، ويجتهد فى معرفة الشيخ أنه هل يصلح للمشيخة أم لا ، فإن أكثر الطالبين هلكوا فى هذا المنزل ، بل هلاك عموم الناس كان بالاقتداء بالأئمة المضلة ، وطريقه أن يتفحّص أنه مستقيم على الشرع ، وعلى الطريقة والحقيقة ، وأن يكون قد وصل على يديه ما عرفته ، والتمست ذلك وخبرته بنفسك ، فإن كان مُبتدئا يعرف ذلك من أفواه الناس ، ومن أحوال الجماعة ، الذين يقتدون به ويحبونه ، ولا ينكرون عليه ، فإن علم أنه لا ينكرون عليه علماء زمانه ، وبعض العلماء يقتدون به ، وأكياس الناس من الشيوخ والشبان يُبايعونه ، ويرجعون إليه فى طلب الطريقة والحقيقة ، يعلم أنه ماهر فى ذلك فيقتدى به ويعتقد فى قلبه أنه لا شيخ له غيره ، ولا يوصّله إلى الله إلاّ هذا وهذا يُسَمَّى : **(توحيد المطلب)** وإنه ركن عظيم[1] .

(١) كل هذه التعريفات التى سبقت انظرها فى التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ٤/ ٩٥ والقاشانى : اصطلاحات الصوفية .

القاشـــــانى(١)

الشيخ: هو طبيب الأرواح

هو الإنسان البـالغ فى معرفـة علوم الشريعة، والطريقـة، والحقيقـة، إلى الحدّ الذى يتمكن معه من معالجة الأمـراض الحاصلة فى نفوس الطالبين للوصول إلى الله تعالى، بأن يرفع غاية الأحكام الإمكانية، والآثار الطبـيعية التى هى الموجبة لإعـراض الإنسان وغفلته عن موجده الحق تعالى لما تستلزم تلك الأحكام من الحُجُب المُظلمة، والقيود المحكمة، والأوصاف المُرْدية، والأخلاق المـنحرفة، الغير ملائمة للسّـرّ الوجودى والروح الروحانى والقلب الوجـدانى، والنفس، والمزاج الـحيـوانى، حتى صـارت هذه الأمور حـاملة بين حقيقة العبد وبين أصلها ومُبدئها، وطريق وصـولها إلى كمالها الحقيقى، وصارفة بالإنسان عن ذلك إلى ما تـقتضـيه الأهواء، والمـيول الطبيـعية، والـشهوات والتـعشقـات الحسّـية والوهميـة، والآمال والأمانى، وغلبة أحكام الأوهـام والهواجس، والظنون والتسهـيلات، والتشريفات النفسـانية والشيطانية، والظهور بصفة الحقـد، والحسد، والحرص، والبخل، حتى الميل إلى العلوم الغير نافعة التى استعاذ منها رسول الله ﷺ فقال فى دعائه:

(اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع)(٢).

(١) القاشانى: هو: كمال الدين عبد الرزّاق بن أبى الغنائم أحمد جمال الدين القاشانى، وهو معروف بـ (مـلا عبـد الرزّاق الكاشانى) مـن كبـار الصوفـية، ومن أصـحـاب الشيخ نجـيب بن بزغش الشيـرازى، والشيخ نور الدين عبـد الصمد بن على الأصـفهانى القطنزى، توفى رحـمه الله سنة ٧٣٦هـ فى الثالث من المحرم، ودفن فى خانقاه (زينى مـاسترى) داخل مدينة شيراز الكائنة بجوار المسجد الجامع، عاصر مجـموعة من الزهاد، منهم علاء الدولة السمنانى، وعز الدين الكاشانى، وسعيد الفرغانى، وغيرهم.

ترك عددًا كبيرًا من المؤلفات منها: معـجم المصطلحات والإشارات الصوفية المعروف بـ (لطائف الإعلام) بتحقـيقنا نشرة دار الكتب سنة ١٩٩٦م، واصطلاحات الصوفـية، ورشح الزلال فى شرح الألفاظ المـتداولة...) وتأويلات القـرآن المعروف بتـفسيـر ابن عربى، وتزكيـة الأرواح، شرح فصوص الحكم لابن عربى حاشية على الفتوحات المكية، وغير ذلك.

انظر ترجمـته فى: مقـدمة لطائف الإعلام بتـحقيـقنا ١/ ٤١، رشح الزلال المقدمـة اصطلاحات الصوفية بتحقيق د/ محمد كمال جعفـر المقدمة ـ معجم المصطلحات تحقيق د/ عبد العال شاهين المقدمة أيضًا.

(٢) حديث: (اللهم إنى أعـوذ بك من علم لا ينفع)... رواه الحاكم فى المسـتدرك، من حديث ابن مسعود، وقال: صحيح الإسناد، وقد ورد مفرقًا فى أحاديث كثيرة. =

وحتى العقائد المنحرفة الغير المطابقة، والحرف والصنائع الغير اللائقة، وأمثال ذلك مما يحول بين العبد وبين تنبهه إلى الرجوع من أحكام العادة إلى المواظبة على الملازمة لأداء حقوق العباد.

وأطباء هذه العلل القلبية، والأمراض النفسية المعنوية هم:

علماء الطريقة والحقيقة، الذين هم أكابر الشيوخ.

فإنهم بنفوذ بصائرهم يشاهدون تلك الأمراض فى الطالب والسالك، فيعلمون ما تقتضيه تلك العلل بحسب حالها فى تفاوت أحكامها فى القلّة، والكثرة، والشدة، والضعف، من كثرة الإعجاب وقلّته، ومن اختصاص كل واحد منها بأثره المعين فى السالك، بحيث صار منها ما يوجب لبعض الناس الإعراض عن السلوك بالمرة، ولبعضهم بطء التنبّه لذلك، ولبعضهم التوقف فى وقت سلوكه فى بعض المراتب والمقامات والأحوال.

ولبعضهم سرعة التعدى من مقام وحال إلى ما فوقه، فطبيب الأنفُس هو العالم الربّانى، العارف بحال كل أحد من الحجب والأحكام، والتعويقات التى لا بد لمن قصد باب القرب من حضرة الذات من رفعها وإزالتها.

وهو، أى: **طبيب الأرواح:**

العارف بما يزال كل واحد منها، وما يضاده النسبة إلى كل سالك من الأقوال، والأذكار، والأعمال القلبية والقالبية لاختصاصه - أعنى طبيب الأرواح - بعلم البصيرة النافذة المؤيدة بالرأى الموفق عن الشهود المحقق، والعلم اليقينى بمراتب الخلق، وبأسماء الحق، ووقوفه على أسرار المنازل والمقامات لتحققه بها صورة ومعنى، كما هو عليه حال الأنبياء والرسل، صلى الله وسلم عليهم جميعًا، وكبار الأولياء والمشايخ، الذين أفاض الله عليهم من العلوم الثلاثة، التى هى علم الشريعة، والطريقة، والحقيقة، ومعرفة ما يعالج به تلك الأمراض والعلل الحاصلة فى نفسه، السارى أثرها إلى روحه، وسرّه بما يضاده إلى أن تزول تلك الأمراض، ويظهر اعتدال المزاج المعنوى، الذى هو القلب الوجدانى الاعتدالى، فإن ملازمة أحكام الشريعة هى بمثابة ما يحفظ به الصحة من الطعام والشراب الملائم للمزاج فى الطب الصورى، الذى يدبر به الأبدان بما به حفظ صحتها، إن كانت موجودة، أو ردّها إن كانت مفقودة.

= انظر المغنى عن حمل الأسفار ١/ ٣٢٤، وهامش١٢ فهرس الأحاديث فى معجم المصطلحات الصوفية ٢/ ٤٤٥.

فكما أنه متى غلب على البدن بعض الكيفيات، أو الأخلاط لم ينفعه الاقتصار على ما ينفع به الصحـة، واعتدال المـزاج، بل ربما يصيـر ذلك القدر الموافق فى وقت الصـحة مضراً له فى وقت المرض.

كما قال أبقراط[١]: البدن الغير نقى كُلَّما غذَّيتـه زدته شراً بل لا بد من استعمال أدوية مضـادة بالكيفية مـزيلة بالخاصيـة، لما كان سببًا للمرض من زيادة الخلط، أو انحـرافات الكيفية، إلى أن تتعادل الكيفيات، وتتكافأ الأخلاط، وقد يصح أن يقتصر على ما تحفظ به الصحة من الأغذية، والأشربة.

فهكذا.·. مـتى غلبت أحكام النفس الأمَّارة، وتكـاثفت الحجب الظلمانـية، التى هى للقلب بمنزلة الأمراض المزمنة للقالب، لم يكف فى إزالتها الاقتصار على ما عينته الشريعة من الأقوال والأفعال، والحـركات والسكنات، التى إنما أمر بها لحفظ الـعدالة، بل يحتاج أولاً إلى ما تزول به تلـك العلل والحجب من أقوال وأفـعال، وحركـات وسكنات موجـبة

لزوال تلك الأمراض، والحُجُب بمنزلة العقاقير، والمعاجين والأشربة، والأدوية القولية والفعلية، والحالية والحقيقة حتى تظهر الصـحة والعدالة بظهور الحقيقة القلبية، وقد يصح الاقتصار على ملازمة ما عيَّنَتْهُ الشريعة لحفظ الصحة القلبية.

أمَّا قبل إزالة أحكام بالحجب والانحرافات، فإن الاقتصار على الوظائف التى عينتها الشريعة من غير معالجة تلك الانحـرافات ربما أورث السالك زيادة فى تعويقه عن الوصول إلى مطلوبه، كمـا يرى عليه كثير من عـوام الناس، حيث يورثهم القيام بـوظائف العبادات وملازمة الذكر والتلاوة من حظوظ النفس والعجب، وغـير ذلك من الأخلاق الذميمة التى لا تعرف لأهل الإعراض عن ذلك[٢].

---

(١) (أبقراط) طـبيب يونانى مـعروف، واشتـهر بأبى الطبّ، وقـيل: إنه ولد بجـزيرة قوص، ودرس بأثينا، واستكمل دراسته خلال أسفاره، ومجمل نظريته عن المرض أن الجسم يحتوى على أخلاط أربعة: الدم، والبلغم، والسوداء، والصفراء، وأن علاقة هذه الأخلاط ببـعضها البعض تُقرّر صحة المرء، ومزاجه.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٧.

(٢) انظر: عبد الرزّاق القاشانى: (لطائف الإعلام بإشارات أهل الإلهام).

معـجم للمصطلحـات والإشارات الصوفـية بتحـقيقنا، طبـعة دار الكتب المـصرية ٢/ ٨٩١ باب (الطاء).

الإمام القشيرى(١)

ينبغى حفظ قلوب المشايخ، وترك الخلاف عليهم(٢).

قال الله تعالى: فى قصة موسى مع الخضر عليهما السلام: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾(٣).

قال الإمام القشيرى: لما أراد صحبة الخضر حفظ شرط الأدب، فاستأذن أولاً فى الصحبة، ثم شرط عليه الخضر أن لا يعارضه فى شىء ولا يعترض عليه فى حكم، ثم لمَّا خالفه موسى عليه السلام تجاوز عنه المرة الأولى، والثانية، فلما صار إلى الثالثة، والثلاث آخر حد القلة وأول حدّ الكثرة، سَامَهُ الفُرْقة فقال: ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾(٤).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أكرم شاب شيخا لسنّه إلاّ قيض الله تعالى له من يكرمه عند سنّه»(٥).

* وقال الأستاذ أبو على الدقاق، رحمه الله:

بدءُ كل فرقة المخالفة، يعنى به، أن من خالف شيخه لم يبق على طريقته، وانقطعت العلقة بينهما، وإن جمعتهما البقعة، فمن صحب شيخًا من الشيوخ، ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقد عهد الصحبة، ووجبت عليه التوبة، على الشيوخ قالوا: حقوق الأستاذين لا توبة عنها.

(١) الإمام القشيرى: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد النيسابورى القشيرى، الشافعى، زين الإسلام، أبو القاسم، الصوفى الشهير، والقاضى المعروف، ولد فى ربيع الأول سنة ٣٧٦هـ، تعلم الكتابة، وسمع الحديث، وتوفى بنيسابور فى السادس عشر من ربيع الآخر سنة ٤٦٥هـ، ترك عددًا كبيرًا من المؤلفات منها: الرسالة، التيسير فى التفسير، الفصول فى الأصول، نحو القلوب، وعدد كبير من المؤلفات منها ما طبع ومنها ما لا يزال مخطوطا.

انظر ترجمته فى: كحالة: معجم المؤلفين ٦/ ٦، ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ١٠٧، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٥/ ٩١، السيوطى: طبقات المفسرين ٢١، البغداي: هدية العارفين ١/ ٦٠٧، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٦٢٩، مقدمة الرسالة القشيرية، وغير ذلك.

(٢) قال شيخ الإسلام زكريا الأنصارى: وذلك ممدوح ومطلوب لينتفع به تلامذتهم، ولأن التقليد أمانة، فمتى خالف فيه التلميذ فقد خان، وتحذير من دعاء المشايخ وتغيير قلوبهم بما يطلعون عليه من فساد الأحوال للتلاميذ، انظر الرسالة ١٦٥.

(٣) الآية رقم (٦٦) من سورة الكهف.

(٤) الآية رقم (٧٨) من سورة الكهف.

(٥) حديث: (ما أكرم شاب شيخًا ...) رواه الترمذى فى البر (٧٥) انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٣/ ٢٢٦.

* قال «أبو عبد الرحمن السلمى»:

خرجت إلى «مرو» فى حياة شيخى الأستاذ «أبى سهل الصعلوكى» وكان له قبل خروجى أيام الجمعة بالغدوات مجلس دور القرآن والختم، فوجدته عند رجوعى قد رفع ذلك المجلس، وعقد مجلس القول، فداخلنى من ذلك شيء، فكنت أقول فى نفسى: قد استبدل مجلس الختم بمجلس القول.

فقال لى يوما: يا أبا عبد الرحمن، إيش يقول الناس فىّ؟.

فقلت: يقولون: رفع مجلس القرآن، ووضع مجلس القول.

فقال: مَن قال لأستاذه: لِمَ، لا يفلح أبدًا.

* وقال «الجنيد»:

دخلت على «السَّرِى» يومًا، فأمرنى شيئًا، فقضيت حاجته سريعًا، فلما رجعت إليه ناولنى رقعة وقال: هذا لمكان قضائك لحاجتى سريعًا.

فقرأت الرقعة، فإذا فيها مكتوب: سمعت حاديا يحدو فى البادية:

* أبكى وهل يدريك ما يبكينى *

* أبكى حذار أن تفارقينى *

* وتقطعى حبلى وتهجرينِى *

* يُحكى عن أبى الحسن الهمدانى قال:

كنت ليلة عند «جعفر الخلدى» وكنت أمرت فى بيتى أن يُعلّق بيت فى التنّور، وكان قلبى معه.

فقال لى جعفر: أقم عندنا الليلة.

فتعلَّلتُ بشىء، ورجعت إلى منزلى، فأُخرج الطير من التنّور، ووُضِعَ بين يدىّ، فدخل كلب من الباب، وحمل الطير عند تغافل الحاضرين، فلما أصبحت دخلت على «جعفر» فحين وقع بصره علىّ قال:

- من لم يحفظ قلوب المشايخ سُلِّط عليه كلب يؤذيه.

* وحكى السلمىُّ أيضا:

أن شقيقًا البلخى، وأبا تراب النخشبى قَدِما على «أبى يزيد» فقُدِّمت السُّفْرة، وشاب يخدمُ «أبا يزيد» فقالا له: كُلْ معنا يا فتى.

فقال: أنا صائم.

فقال أبو تراب: كُلْ ولك أجر صوم شهر. فأبى

فقال شقيق: كُلْ ولك أجر صوم سنة. فأبى

قال أبو يزيد: دعوا من سقط من عين الله تعالى، فأخذ ذلك الشاب فى السرقة بعد سنة، فقُطعت يده(١).

* وقبول قلوب المشايخ للمريد أصدق شاهد لسعادته، ومن ردَّه قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غبَّ ذلك ولو بعد حين.

ومن خُذِل بترك حرمة الشيوخ فقد أظهر رقم شقاوته، وذلك لا يخطئ(٢).

* وحكى «السلمى» قال: سمع «عبد الله الرازى» أبا عثمان الحيرى يصف محمد بن الفضل البلخى ويمدحه، فاشتاق إليه، فخرج إلى زيارته، فلم يقع بقلبه من محمد بن الفضل البلخى ما اعتقد ـ عند لقائه ـ فرجع إلى أبى عثمان، وسأله ـ فقال: كيف وجدته؟

فقال: لم أجده كما ظننت؟.

فقال: لأنك استصغرْته، وما استصغر أحدٌ أحدًا إلاّ حُرم فائدته، ارْجِع إليه بالحُرْمة.

فرجع إليه «عبد الله» بالحرمة فانتفع بزيارته كثيراً.

---

(١) انظر الرسالة القشيرية باب حفظ قلوب المشايخ (١٦٤) وما بعدها.

(٢) انظر الرسالة القشيرية فصل قبول قلوب المشايخ ص٢٠١.

القطب الكبير الشيخ «عبد العزيز الدباغ»(١)

فــى

(أ) ذكــر شــيخ التربيــة

تكلم صاحب الرائيّة على شيخ التربية، وشرح الشيخ شيئًا من كلام.

منه:

وللـشـــيخ آيـات إذا لـم تكـن له
فما هو إلاّ فى ليـالى الهوى يسرى

قال رضي الله عنه: ولشيخ التربية علامات ظاهرة، وهى أن يكون سالم الصدر على الناس، ليس له فى هذه الأمّة عدو، وأن يكون كريمًا، إذا طلبته أعطاك، وأن يحب من أساء إليه، وأن يغفل عن خطايا المريدين، ومن لم تكن له هذه العلامات فليس بشيخ.

وقوله:

إذا لـم يكـن عـلم لـديـه بـظاهـرٍ
ولا باطن فـاضرب به لُجَجَ البـحرِ

والمراد بعلم الظاهر: علم الفقه والتوحيد، أى: القدر الواجب منهما على المكلّف، والمراد بعلم الباطن: معرفة الله تعالى.

وإن كـــان إلاّ أنَّه غـــيـــرُ جـــامعٍ
لوصفيـهما جمعًـا على أكمل الأمرِ
فـأقـرب أحوال الـعليل إلى الرَّدى
إذا لم يكن منه الطبـيب على خُبْـرِ

أى: وإن وَجِدَ الشـيخ، إلاّ أنه وُجِدَ غير جـامع لوصف العلم الظاهر والباطن جمـعًا كاملاً، فأقرب أحوال المريد معه إلى الهلاك.

---

(١) هو: عبد العزيز بن مسعود الدباغ، القطب المعروف الشهير الصوفى الكبير، ترك أثرًا هامًا وكبيرًا جمعه سيدى أحمد بن المبارك وسماه: (الإبريز من كلام سيدى عبد العزيز)
توفى رضي الله عنه سنة ١١٣٢هـ.
انظر: كحالة: معجم المؤلفين ٥/ ٢٦٢، فهرس التيمورية ٣/ ٩٧

وقوله:

* إذا لم يكن منه الطبيب على خبر *

يريد أن هذا الشيخ الذى ليس بجامع، لقصور علمه، لا يعلم ما يضر المريد، فأقرب أحوال المريد معه إلى الهلاك.

قال سيدى منصور (أى شيخه):

إذا كانت صحبتك مع شيخ كامل فاحرص أن تفنى عن مرادك فى مراده، واطلب ألاّ تعيش بعده، فسلامتك مع غيره غريبة، ووصلك بغيره أعجب وأغرب من كل شىء.

وقوله:

وَمَنْ لَمْ يكنْ إلاَّ الوُجُودُ أَقَامَهُ
وأظْهَرَهُ منشُورُ أَلْويةَ النَّصْرِ
فَأَقْبَلَ أرْبَابُ الإرادة نَحْوَهُ
بِصِدْقٍ يحلُّ العُسْرَ فى جَلْمَدِ الصَّخْرِ
وآيَتُهُ ألاّ يميلَ إلى هَوًى
فدُنياهُ فى طىٍّ وأُخراه فى نَشْرِ

ومن لم يكن من الشيوخ أثبته شيخه فى المشيخه بالإذن له فيها، لكونه مات عنه، قبل أن يكمله، ولكن أثبته فيها الناس، وأظهروه فيها منشورة أعلام النصر بحيث نصر الله بأعلام المريدين على نفوسهم وهواهم وشياطينهم، فأقبل بسبب ذلك النصر أرباب الإرادة، وأهل الهمَّة، الذين يرغبون فى القُرب إلى الله تعالى بصدق يحرق الصخور، فهذا شيخ مقبول أيضًا.

يريد لأنه يحتمل أن يكون تكمّل على يد رجال الغيب، أو أنه يأخذ على يد سيدى أحمد الخضر عليه السلام.

وقوله: (وآيته) أى علامته الظاهرة الدالة على استحقاقه رتبة المشيخة، أن لا يميل إلى هوى فى تربيته بما يبدو من مشاهد حاله، وتكون دنياه عنده فى استتار، وآخرته فى انتشار.

فقوله: (فدنياه فى طى) كناية عن الزهد فيها والإعراض عنها.

وقوله: (وآخراه فى نشر) كناية عن الرغبة فيها والإقبال عليها.

ثم قال:

وَإِنْ كَـانَ ذَا جَـمْعٍ لأَكْـلِ طَعَـامِـهِ
مُرِيدٌ فَـلا تَصْحَـبْهُ يومًـا مِنَ الدَّهْرِ

فإن كان شيخ التربية يجمع الناس لأكل طعامه فقط فلا تتبعه، ولا تصحبه يا مريد أبدًا، بمعنى أنه إذا كان جمعهم لأكل طعامه ولا أثر له فيهم بفتح، فإن هذا يصير الاجتماع عليه لأجل طعامه، لا لأجل الله عز وجل، أمَّا إذا كان يجمع الناس عليه ليجمعهم على الله، وله مع ذلك طعام فلا بأس بصحبته واتّباعه.

ولا تَسْـأَلَنْ عَنْهُ سِـوَى ذِى بصيـرةٍ
خَلِيٍّ من الأهـواء ليس بِمُـغْـتَـرٍّ

المعنى: لا تسأل عن شيخ التربية إلاَّ من جمع ثلاثة شروط:

- أن يكون ذا بصيرة.
- أن يكون خاليا من الأهواء.
- أن لا يكون مغترًا.

فكونه ذا بصيرة احتراز من السالك المحض، الذى ليست له معاملة القلوب فإنه إذا سُئل عن شيخ التربية يحيل على سالك آخر هو أكثر منه اجتهادًا وأدوم على الأوراد، وأحفظ للوظائف، لأنه يرى أن هذا المقام هو غاية الطريق، وأن التفاوت بين أهله إنما هو بالقوة والضعف.

والسالك المحض ليس أهلاً للمشيخة ولا يبلغها.

وكونه خاليا من الأهواء احترازًا من صاحب التعصُّب، ولو كان ذا بصيرة، فإن المتعصب للشخص إذا سُئل عن شيخ التربية ربما حال عليه لأجل التعصب.

وكونه مغترا احترازًا ممن لا يعرف اصطلاح القوم فى وصف شيخ التربية، فإذا سُئل عن الشيخ المربى وبما يُحيل على المجذوب المحض، لما يرى معه من قوّة المعرفة، والاستهلاك فى الحقيقة، والمجذوب المحض ليس أهلاً للمشيخة ولا يبلغها.

فَـمَنْ صَـدِئتْ مِـرْآةُ نَاظِرِ فَـهْـمِـهِ
أَرَتْهُ بِوَجْـهِ الشَّـمس مِن كَلَف البَـدْرِ
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَدْرِ العَـرُوضَ فَـرُبَّمَـا
يَرَى القَبْضَ فى التَّطْوِيلِ من أَقْـبَحِ الكَسْرِ

المعنى: فمن صَدِئت عينه يرى السواد الذى فى وسط القمر على وجه الشمس التى لا سواد فيها أصلاً لانعكاس الحقائق فى حقه، ومراده أن من لم يكن ذا بصيرة فإنه يرى العيب فى الشيخ الكامل فينفر عنه، ويرى الكمال فى السائل فيدل عليه.

وقوله: (ومن لم يكن يدرى العَرُوض) أى: ومن لم يكن يعرف ميزان الشعر ربما يعتقد أن سقوط الخامس من عروض بحر الطويل هو من أقبح العيوب فيه، كذلك من لم يكن يعرف اصطلاح الصوفية فى أوصاف الشيخ المربّى ربما رأى الكامل فظنّه مبتدئًا فنفر عنه، كما دل على المجذوب وهو لا يستحق.

وحاصل ما ذكره صاحب الرائية فى هذه الأبيات أن الشيخ إذا كان خاليًا من علم الظاهر والباطن، أو كان متصفًا بهما، لا على الكمال، فإنه لا خير فى صحبته، وأن من كان متصفًا بهما على الكمال، وكانت فيه الآيات السابقة فإنه يشيخ، وهذا إذا أقامه شيخه فى التربية، وأذِنَ له فيها حال حياته.

وأمَّا إن مات قبل ذلك، ولم يكمل فى زمان شيخه، فهذا إن ظهرت عليه أمارات الفتح، وعلامات الخير، وأعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة، ووقع للمريدين الفتح على يديه فهذا أيضا يشيخ.

وأمَّا إن لم يكن فيه إلاَّ مجرد جمع الناس على طعامه، فهذا لا خير فيه، ولا فى معرفته، وأنه لا ينبغى للشخص أن يسأل عن شيخ التربية، إلاَّ إذا جمع الأوصاف الثلاثة السابقة، فإن غيره ربما عكس الصواب.

وَضَعْهَا بِحِجْرِ الشَّيْخِ طِفْلاً فَمَا لها
خُرُوج بلا فَطْمٍ عن الحِجْرِ والحَجْرِ

أى: ضع نفسك فى حجر شيخك يُربّك تربية الطّفل فى حجر أُمّه، فليس لنفسك قبل فطام التربية خروج عن حجر الشيخ، وتحْجيره.

فالحجر الأول: هو الحجر المعروف، الذى هو مقدم القميص.

والحجر الثانى: معناه المنع، أى منع الشيخ للمريد عمَّا يُريده، ومن هذا الثانى الحجر عند الفقهاء، الذى هو بمعنى التحجير.

فالحجر الأول: كناية عن نظر الشيخ، وتصرّفه.

والحجر الثانى: كناية عن منعه للمريد ما لا يطيق به، والله أعلم.

وَمَنْ لَمْ يوافق شَيْخَهُ فى اعتـقَادِهِ
يَظَلُّ مِنَ الإنْكـارِ فى لَهَبِ الجَمْرِ

المعنى: أن الشيخ مُصيب فى فعله، فيـعتقد أن الصواب فى ذلك الفعل، فالمريد إن اعتقد الصواب مثل اعـتقاد شيخه ربح ونجح، وإن خالف شيخه فى اعـتقاده، واعتقد أن شيـخه على خطأ فى ذلك الفعل فـإنه لا محالة يصـير أمره إلى فـراق شيخـه، وعن فراق الشـيخ كنى بلهب الـجمـر، أى: فـإنه يظل من الإنـكار فى فـراق الشـيخ الذى هو كلب الجمر.

ولا تَعْرِفَنْ فِى حَضْـرَةِ الشَّيْخِ غَيْرَهُ
ولا تَمْلأَنْ عَيْنًا مِنَ النَّظَرِ الشَّزْرِ

النظر الشزر هو النظر يمـينا وشمالاً، أو هو نظر الغضـبان بمؤخر العـين، أو نظر فيه إغـضـاء، فـيه أقـوال، والمنـاسب الأول، لأن مـعنى هذا الأدب الجـمع على الشـيخ، والاستغراق فيه، والانحياش إليه، والغيبة فى سِرِّه ليثمر له ذلك مع الشيخ أمثاله مع الحق سبـحانه وتعـالى، لأن كل أدب يستعـمله المريد مع الشـيخ فإنه يثـمر له مـثله مع الله عز وجل.

واعلم أن هذا الأدب لا يتأتى من المريد ما لم يـكن له من الشيخ جاذب باطنى، فإن محبة الشيخ للمريد إذا اتصلت أشعتلهـا بالمريد تحوشه إلى الشيخ وتحوطه من كل قاطع، فإذا دامت دام الاتصال، وإن انقطعت وقع الانفصال، حـتى قال بعض الأشياخ لمريد كان يلازمه كثـيراً ويصلى معه الصلوات الخمس، ولا يغـيب عنه فى وقت من الأوقات، وظن أن ذلك من محبـته فى الشيخ لا من محبة الشـيخ فيه، فقال له الشـيخ: أتحبنى يا فلان، فقال: يا سيدى، ومن محبتى إليك وقع هذا الاتصال، فقال له الشيخ: ستعلم.

فمن ذلك الوقت مـا قدر على أن يصل إلى الشـيخ حتى مَرَّت عليـه سنة كاملة، ولم يقدر على مشاهدة شيخه،و فضلا عن ملازمته حتى عفا عنه الشيخ وسامحه[1].

(١) انظر: الإبريز من كلام سيدى عبد العزيز، الباب السادس ص ٣٩٦ - ٤٠٨.

(ب) المقصـــود بالتربيـــة

المقصــود بالتربية هو تصفيــة الذات، وتطهيرها من رعوناتها حــتى تطيق حمل السرّ، وليس ذلك إلاّ بإزالة الظلام منها وقطع علائق الباطل عن وجهتها، ثم قطع الباطل عنها.

ـ تارة يكون بصفائها فى أصل خِلقتــها بأن يطهرّها الله بلا واسطة، وهذه حالة القرون الثلاثة الفاضلة الذين هم خير القرون.

فقد كان الناس فى تلك القرون متعلقــين بالحق، باحثين عليه، إذا ناموا ناموا عليه، وإذا استيــقظوا استيقظوا عليــه، وإذا تحركوا تحركــوا فيه، حتى إن من فتــح الله بصيرته، ونظر إلى بواطنهم وجد عقولهم إلاّ النادر متعلقة بالله وبرسوله ﷺ، باحثة عن الوصول إلى مرضاتهما، فلهذا كثر فيهم الخير، وسطع فى ذواتهم نور الحق، وظهر فيهم من العلم وبلوغ درجة الاجـتهاد ما لا يُكيَّــف ولا يُطاق، فكانت التربية فى هذه القــرون غير محــتاج إليها، وإنما يلقى الشيخ مريده، وصاحب سرّه، ووارث نوره، فيكلمه فى أذنه فيقع الفتح للمريد بمجرد ذلك، لطهارة الذوات، وصفاء العقول، وتشوفها إلى نهج الرشاد.

ـ وتارة يكون بتسبب من الشــيخ فيه، أعنى قطع الظلام من الذوات، وذلك فيــما بعد القرون الفاضلة، حيث فسدت النيّات، وكســدت الطويات، وصارت العقول متعلقة بالدنيا، باحثة عــن الوصول إلى نيل الشهوات، واســتيفاء اللذّات، فــصار الشيخ صاحب البــصيرة يلقى مُريده ووارثه، فيعرفــه وينظر إليه فيجد عقله متعلّقــا بالباطل، ونيل الشهوات، ويجد ذاته تتبع العــقل فى ذلك فتلهــو مع اللاهين، وتسهــو مع الساهين، وتميل مع الــمبطلين، وتتحرك الجوارح فى ذلك حركة غير محمودة، من حيث إن العقل الذى هو مالكها مربوط بالباطل لا بالحق.

فإذا وجده على هذه الحــالة أمره بالخلوة، وبالذكر، وبتقليل الأكل ـ فــبالخلوة ينقطع عن المبطلين، الذين هم فى عداد الموتى.

ـ وبالذكر يزول كلام الباطل واللهو واللغو، الذى كان فى لسانه.

ـ وبتقليل الأكل يقل البخــار الذى فى الدم، فتقل الشهوة، فيــرجع العقل إلى التعلق بالله وبرسوله ﷺ.

فإذا بلغ المـريد إلى هذه الطهارة والصـفاء أطاقت ذاته حـمل السّر، فهـذا هو غرض الشيوخ من التربية وإدخال الخلوة[١].

(١) المقصود من التـربية ـ انظر: الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الباب الخامس من ص ٣٥٠ - ٣٥١.

الشيخ الاكبر ابن عربى[١]

فى معرفة مقام احترام الشيوخ

مـا حُـرْمةُ الشَّـيْخِ إلاّ حُـرْمـةُ اللهِ
فَـقُـمْ بهـا أدبًا لله بـاللهِ
هُمُ الأدلاَّءُ والـقُـربـى تُؤيّـدهُم
علـى الدِّلاَلَـة تَأيِيـدًا عـلى اللهِ
الوارِثُونَ هُمْ لـلِرُّسْلِ أجْـمَـعـهم
فـمـا حـديثـهُمُ إلاَّ عَنِ اللهِ
كـالأنبـيـاءَ تَراهُم فى مَـحَـارِبِهِم
لاَ يَسْـأَلُونَ مِنَ الله سـوى اللهِ
فَإنْ بَدا مِنْهُم حَال تولّهَهُم
عَنِ الشَّـريعـةِ فـاتْركْـهُم مَعَ اللهِ
لا تَتّبِـعْـهُم وَلا تَسْلُـك لَهم أثَرًا
فـإنّهُـم طُلَـقَـاءُ الله فى اللهِ
لا تَقْـتَـدِى بالّذى زَالَتْ شَـريَعـتُـهُ
عَنْـهُ وَلَوْ جـاء بـالأنْبَـا عن اللهِ

ولمَّا رأينا ـ فى هذا الزمان ـ جهل المريدين بمراتب شيوخهم قلنا:

جُـهِلَتْ مَـقَـاديرُ الشّـيـوخِ
أَهْلُ الـمَـشَـاهِـدِ والرُّسُـوخ
واسْـتَـنْزَلَـتْ ألْـفَـاظُهـم
جَـهْـلاً وكَـانَ لَهَـا الشُّـمُـوخ

الشيوخ هم نُوّاب الحق فى العالم، كـالرُّسُل عليهم السلام فى زمانهم، بل هم الورثة الذين وَرِثُوا علم الشـرائع عن الأنبياء علـيهم السلام، غـير أنهم لا يُشَـرّعَون، فلهم ﷺ

(١) له ترجمة داخل الكتاب ص ٥١، ٥٢ انظرها.

حفظ الشريعة فى العموم، ما لهم التشريع، ولهم حفظ القلوب، ومراعاة الآداب فى الخصوص، هم من العلماء بالله بمنزلة الطبيب من العالم بعلم الطبيعة، فالطبيب لا يعرف الطبيعة إلاّ بما هى مدبّرة للبدن الإنسانى خاصة، والعالم بعلم الطبيعة يعرفها مطلقًا، وإن لم يكن طبيبًا.

وقد يجمع الشيخ بين الأمرين، ولكن حظ الشيخوخة من العلم بالله أن يعرف من الناس موارد حركاتهم، ومصادرها، والعلم بالخواطر، مذمومها ومحمودها، وموضع اللبس الدّاخل فيها من ظهور الخاطر المذموم فى صورة المحمود، ويعرق الأنفاس والنظرة، ويعرف ما لهما، وما يحويان عليه من الخير الذى يرضى الله، ومن الشر الذى يسخط الله، ويعرف العلل والأدوية، ويعرف الأزمنة، والسن، والأمكنة، والأغذية، وما يصلح المزاج، وما يفسده، والفرق بين الكشف الحقيقى والكشف الخيالى، ويعلم التجلى الإلهى، ويعلم التربية وانتقال المريد من الطفولة، إلى الشباب، إلى الكهولة، ويعلم متى يترك التحكم فى طبيعة المريد، ويتحكم فى عقله، ومتى يصدق المريد خواطره، ويعلم ما للنفس من الأحكام، وما للشيطان من الأحكام، وما تحت قدرة الشيطان، ويعلم الحُجُب التى تعصم الإنسان من إلقاء الشياطين فى قلبه، ويعلم ما تُكِنُّهُ نفس المريد، مِمَّا لا يشعر به المريد، ويفرّق للمريد إذا فُتِحَ عليه فى باطنه بين الفتح الروحانى وبين الفتح الإلهى، ويعلم بالشَّمِّ أهل الطريق الذين يصلحون له من الذين لا يصلحون، ويعلم التحلية التى يُحلَّى بها نُفُوس المريدين الذين هم عرائس الحق، فهم أُدباء الله، عالمون بآداب الحضرة، وما تستحقه من الحُرْمَة.

والجامع لمقام الشيخوخة:

أن الشيخ عبارة عمّن جمع جميع ما يحتاج إليه المريد السالك فى حال تربيته، وسلوكه، وكشفه، إلى أن ينتهى إلى الأهلية للشيخوخة، وجميع ما يحتاج إليه المريد، إذا مَرِضَ خاطره، وقلبه بشُبهةٍ وقعت، لا يعرف صحَّتها من سقمها، كما وقع لسهل بن عبد الله فى سجود القلب، وكما وقع لشيخنا حين قيل له: أنت عيسى ابن مريم، فيداويه الشيخ بما ينبغى، وكذلك إذا ابتُلى من يخرج ليسمع من الحق من خارج لا من نفسه بمحرَّمٍ يؤمر بفعله، أو ينهى عن واجب فيكون الشيخ عارفًا بتخليصه من ذلك، حتى لا يجرى عليه لسان ذنب مع صحّة المقام الذى هو فيه.

فهُم أطباء دين الله، فمهما نقصهم شيء مما يحتاجون إليه فى التربية، فلا يحل له أن يقعد على منصة الشيخوخة، فإنه يُفسد أكثر مما يُصلح، ويفتن كالمتطبب، يعلّ الصحيح، ويقتل المريض، فإذا انتهى إلى هذا الحد فهو شيخ فى طريق الله يجب على كل مريض حرمته، والقيام بخدمته، والوقوف عند مراسمه، لا يكتم عنه شيئًا مما يعلم أن الله يعلمه منه، يخدمه ما دامت له حُرْمة عنده، فإن سقطت حرمته من قلبه، فلا يقعد عنده ساعة واحدة، فإنه لا ينتفع به، ويتضرّر، فإن الصُّحْبَة إنما تقع المنفعة فيها بالحُرْمة، فمتى ما رجعت الحُرْمة له فى قلبه حينئذ يخدمه وينتفع به.

فإن الشيوخ على حالين:

١ - **شيوخ عارفون بالكتاب والسُّنّة:** قائلون بها فى ظواهرهم، متحققون بها فى سرائرهم، يُراعون حدود الله، ويوفون بعهد الله، قائمون بمراسم الشريعة، لا يتأولون فى الورع، آخذون بالاحتياط، مجانبون لأهل التخليط، مشفقون على الأمة، لا يمقتون أحدًا من العصاة، يحبون ما أحب الله، ويبغضون ما أبغض الله ببغض الله، لا تأخذهم فى الله لومة لائم، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر المجمع عليه، يسارعون فى الخيرات، ويعفون عن الناس، يوقّرون الكبير، ويرحمون الصغير، ويميطون الأذى عن طريق الله وطريق الناس، يدعون فى الخير بالأوجب فالأوجب، يؤدّون الحقوق إلى أهلها، يبرون إخوانهم، بل الناس أجمعهم، لا يقتصرون بالجود على معارفهم، جودهم مطلق، الكبير لهم أب، والمِثْل لهم أخٌ وكُفؤ، والصغير لهم ابن، وجميع الخلق لهم عائلة.

يتفقّدون حوائجهم، إن أطاعوا رأوا الحق موفّقهم فى طاعتهم إيّاه، وإن عَصَوْا سارعوا بالتوبة والحياء من الله، ولاموا نفوسهم على ما صدر منهم، ولا يهربون فى معاصيهم إلى القضاء والقدر، فإنه سوء أدب مع الله، هيِّنون، ليِّنون، ذَوُو مِقَة، رحماء بينهم تراهم رُكَّعًا سُجَّدا، فى نظرهم رحمة لعباد الله، كأنهم يبكون، الهَمُّ عليهم أغلب من الفرح، لما يعطيه موطن التكليف، فمثل هؤلاء هم الذين يُقتدى بهم، ويجب احترامهم، وهم الذين إذا رُؤوا ذُكر الله.

٢- **وطائفة أخرى:** من الشيوخ أصحاب أحوال، عندهم تبديد، ليس لهم فى الظاهر ذلك بالتحفّظ، تُسلّم لهم أحوالهم ولا يُصحبون ولو ظهر عليهم من خرق العوائد، ما عسى أن يظهر، لا يُعوَّل عليه مع وجود سوء أدب مع الشرع، فإنه لا طريق لنا إلى الله إلاّ

ما شرعه الله، فمن قال بأن ثَمَّ طريقًا إلى الله خلاف ما شرع الله فقوله زور، فلا يُقتدى بشيخ لا أدب له، وإن كان صادقًا فى حاله، ولكن يُحترم.

واعلم:

أن حُرمة الحق فى حرمة الشيخ، وعقوقه فى عقوقه، هم حجاب الحق، الحافظون أحوال القلوب على المريدين، فمن صحب شيخا مِمّن يُقتدى به، ولم يحترمه فعقوبته فقدان وجود الحق فى قلبه، والغفلة عن الله، وسوء الأدب عليه يدخل عليه فى كلامه ويزاحمه فى رتبته، فإن وجود الحق إنما يكون للأدباء، والباب دون غير الأدباء مغلق، ولا حرمان أعظم على المريد من عدم احترام الشيوخ.

قال بعض أهل الله:

فى مجالس أهل الله من قعد معهم فى مجالسهم، وخالفهم فى شىء مما يتحققون فى أحوالهم، نزع الله نور الإيمان من قلبه، فالجلوس معهم خطر، وجليسهم على خطر، واختلف أصحابنا فى حق المريد مع شيخ آخر، خلاف شيخه، هل حاله معه من جانب الحق مثل شيخه أم لا؟.

كلهم قالوا بوجوب حُرمته عليه، ولا بد هذا موضع إجماعهم وما عدا هذا، فمنهم من قال:

ـ حاله معه على السواء من حاله مع شيخه.

ـ ومنهم من فصل وقال: لا تكون الصورة واحدة، إلاّ بعد أن يعلم المريد أن ذلك الشيخ الآخر ممن يُقتدى به فى الطريق، وأمَّا إذا لم يعرف ذلك فلا.

ولهذا وجه، وللآخر وجه.

فالنبى ﷺ يقول للمرأة: (إنما الصبر عند الصدمة الأولى)[1].

وكانت قد جهلت أنه رسول الله ﷺ.

والمريد لا يقصد إلاّ الحق، فإذا ظهر مقصوده حيث ظهر قال به، وأخذه، فإن الرجال

(١) حديث: (إنما الصبر عند الصدمة الأولى) رواه البخارى فى الجنائز: ٣٣، ٣٤، والأحكام: ١١، ورواه مسلم فى الجنائز: ١٤، ١٥، وأبو داود: الجنائز ٢٣، والترمذى فى الجنائز: ١٣، والنسائى: جنائز ٢٢، وأحمد بن حنبل ٣/ ١٢٠، ١٤٣، ٢١٧، انظر المعجم المفهرس ٣/ ٢٩٧.

إنما يُعرفون بالحق، لا يُعرف الحق بهم، والأصل أنه كما لم يكن وجود العالم بين إلهين، ولا المكلف بين رسولين مختلفى الشرائع، ولا امرأة بين زوجين، كذلك لا يكون المريد بين شيخين، إذا كان مريد تربية فإن كانت صُحبة بلا تربية، فلا يبالى بصحبة الشيوخ كلهم، لأنه ليس تحت حكمهم، وهذه الصحبة تسمى صحبة البركة، غير أنه لا يجىء منه رجل فى طريق الله فالحُرمة أصل فى الفلاح[1].

---

(١) انظر: محيى الدين بن عربى: الفترحات المكية ٢/ ٣٦٤ الباب (١٨١) (فى معرفة مقام احترام الشيوخ).

قصيدة فى وصف الشيخ رضى الله عنه

للعارف بالله أيمن الجبرى[(١)]

أولا: فضل الشيخ رضى الله عنه:

١- سَأَخْدُمُ سيّدى ما دُمتُ حَيًّا
وَلاَ أَرْضَى بغَيْرِ رِضَاهُ شَيًّا

٢- وَلَوْ كَانَ المَمَاتُ له فِداءٌ
لَقُلْتُ لقابِضِ الأَرْوَاحِ حَيًّا

٣- فَمَا انا غيْرَ جِسْمٍ وَهْوَ رُوحى
بغَيْرِ الرُّوح هَلْ لِلْجِسْمِ مَحْيا؟

٤- وَلَوْلاَ سَيِّدى مَا طَابَ عَيْشى
وَلَوْلاَهُ مَلأتُ الأَرْضَ غَيًّا

٥- بنُورٍ مِنْ سَنَاهُ يَرى فُؤادى
وأَطْوِى فِى هُداهُ البِيدَ طيًّا

٦- وَمَا بَصرُتْ عُيُونى مِثْلَ شَيْخى
وَمَا عَرفَ الفؤادُ له سَمِيًّا

٧- حَبَاهُ الله فَضْلاً منذ بَدْءٍ
وَقَدْ كانَ الإلهُ بِهِ حَفِيًّا

(١) أيمن أمين الجبرى ـ طبيب مصرى، من مواليد ١٩٥٨م، له قصائد شهيرة فى فروع التصوف، أحد الذين مَنّ عليهم المولى سبحانه وتعالى بإتمام سلوك الطريق، حتى أفاض الله عليه بالإنعام، والإكرام، والفتوحات، وهو الآن يعد ديوانه الأول للطبع، كله فى التصوف، فضلا عن أنه يحفظ القرآن الكريم كاملاً برواية حفص، وبرز فى معرفة المذاهب الفقهية؛ وله ميل شديد مولع بمحبة اللغة العربية وآدابها، ولا سيما الشعر العربى القديم؛ أطال الله بقاءه بيننا محبوبا، مصونا، منعّما، مكرّما.

٨ - وأَدَّبَهُ فـأحْـسَـنَ فِـيـهِ فَـضْـلاً
كَما قد أَدَّبَ الله النَّبِيَّا

٩ - لَهُ جَـعَـلَ الإِلَه لِسَـانَ صِـدْقٍ
وَفِي الـدَّرَجَـاتِ بَوَّأه عَـلِيَّـا

١٠- وَقَـالَ قَـدِ اصْطَفَـيْتُكَ يـا حَبِيبِي
صَلاحَ الدِّين مَـحْـمُـوداً رَضِـيًّا

١١- وَإِنَّا سَـوْفَ نُعطِـيكُم فَـتَـرْضَى
وَإِنِّي قَـدْ تَخِـذْتُكَ لِي وَلِيَّـا

ثانيا: علم الشيخ رضى الله عنه:

١٢- تَلَـقَّى مِـنْ لَدُنْـهُ عُلُومَ فَـيْـضٍ
تَرى فِـي نُورِ طَـيَّـاها عَـلِيَّـا

١٣- وَخَـاضَ بحـارَ مَـعْـرِفَةٍ صَـغِـيـراً
وأُوتِي جَـوْهَرَ الحُكْـمِ صَـبِـيًّـا

١٤- وَكَمْ سَـهِـرَ اللَّيَـالِي غَـيْـرَ كَـالٍّ
يُنَقِّـبُ في بُطون العِلْـم سَـعْـيَـا

١٥- فَـسُـخِّـرَت العُلُومُ إليـه فَـضْـلاً
وَقَلَّـدَ دُرَّها تَـاجًـا وحُلْـيَـا

١٦- طَوِيلُ الـبَـاعِ فِى نَـحْـوٍ ولُغَـةٍ
يَفِـيضُ كَـلامُـهُ أدبًا سَنِـيًّـا

١٧- خَـبِـيـرٌ بالحَـديثِ وَصَـارَ فِـيـهِ
بِلَفْـظِ الحُـجَّـةِ العُلْـيَـا حَـرِيًّا

١٨ لَهُ القَـدَمُ الـمُـعَـلَّى فِى رُسُـوخٍ
بِفِـقْـهٍ زان فِـيـه المـالِكِيَّـا

١٩- حكِيمٌ إن أفَاضَ يشَرْحِ آيٍ
كَأنَّ الله قَدْ آتَاهُ وَحْيَا

٢٠- وأُشْرِبَ قَلْبُهُ حُبّا لشرْعٍ
يَرَاهُ لرُوحِه طُعْمًا وَسُقْيا

٢١- وتُخْتَصَرُ العُلُومُ لَهُ اخْتِصَاراً
فَيَجْمعُ فِي صُفَيْحَاتٍ طَمِيًّا

٢٢- يُذَلّلُ مِنْ صِعَابِ العِلْمَ وعْرا
ويَجْعَلُ أسْهَل العِلْم العَصِيّا

٢٣- بِمَجْلِسِهِ يَفُوحُ الطِّيبُ عِطْرًا
ويُثْمِرُ رَوْضُهُ رُطَبًا جَنِيًّا

٢٤ ويَسْقِى مِنْ صَفَاءِ الخَنْدَرِيسِ
شَرَابًا سَلْسَبِيلاً كَوثَرِيا

ثالثا: همته وجهاده رضى الله عنه:

٢٥- لَهُ هِمِمٌ يَذُوبُ الصَّخْرُ مِنْها
وَيَسْجُدُ دُونَهَا نَجْمُ الثُّريَّا

٢٦- وكَمْ ذَاقَ البَلاءَ وَمَا تَوانَى
فَخَيرُ النَّاسِ أكثرهم بَلِيًّا

٢٧- وكمْ لاَقَى الشَّدَائِدَ فى ثَبَاتٍ
ويَقْهَرُها وإن ذاق اللُّتَيَّا

٢٨- وأشْبَعَ نَفْسَهُ جَهْداً ومَوتًا
فطَافت رُوحُهُ قُدسًا عَلِيًّا

٢٩- وَغَضَّ الطَّرْفَ عَنْ دُنيَا أنَاسٍ
بفَضْلِ إلهِهِ أضْحَى غَنِيًّا

٣٠- وَيُنْفِقُ مِثْلَ بَحْرٍ فى سَخَاءٍ
يُعَلِّم حَاتِمًا جُودًا نَدِيًّا

٣١- وَدَيْدَنُ قَلْبِهِ أَنْفِق بِلالا
ولا تَخشَ مَعَ الإنْفَاقِ شَيًّا

٣٢- فإن الله رزَّاقٌ جَوادٌ
يُحِبُّ الجُودَ ، والعَبْدَ السَّخِيَّا

٣٣- وَيَقْنعُ مَنْ أتاه بقِسْمِ رزْقٍ
وَينسى مَنْ يَراهُ هُمومَ دُنْيَا

٣٤- وَيَصْفُو مَنْ يُصيخُ إليه سَمْعًا
ويذكر ربَّه الحقَّ العليَّا

٣٥- وتزكو نفسُ مَنْ يلقاه صفوا
وتعْرُجُ فِى الصَّفَاءِ إلى الثُّريَّا

٣٦- وكم طاف القُرَى طولاً وعَرْضًا
لينْشُر هدْىَ سَيدنَا الزكيَّا

٣٧- لَهُ حِلْمٌ وذُو صَبْرٍ جميلٍ
وَمَا عَرَفَ المَلالُ إليه سَعْيَا

٣٨- وَطَابَ لِسَانُهُ من طول ذكْرٍ
لمولاهُ غداةً أو عشِيًّا

٣٩- وكَمْ فِى أثْلَجِ الأيَّامِ بَرْدًا
رأى من شِدَّة الذِّكر الحُمِيَّا

٤٠- فَألْقَى نَفْسَهُ فِى البَحْرِ لَيْلاً
فَزَادَ البَحْرُ بالبَحْرِ جويا

٤١- وأخلَصَ قَلْبَهُ لله صِرْفًا
وأخرج حُبَّ آخِرَةٍ وَدُنْيَا

٤٢- وَفِى الأَسْـحَـارِ كم نَاجَـاه رَبِىّ
وَقَـرَّبه الـحـبـيبُ له نَـجِـيَّـا

٤٣- وَذَابَ فُـؤَادُهُ فى الله عِـشْـقًـا
وَأَمْـعَنَ فى حَشَـاهُ الـعِشْق كـيَّـا

٤٤- وَهَامَـتْ رُوحُـهُ فى حُـبِّ طه
فـذاقت سِـرَّ مـعْـراجٍ سَنِيَّـا

رابعا: حاله ومقامه رضى الله عنه:

٤٥- لَـهُ قَلْـبٌ يـشـاهـدُ كُلَّ نـور
فَـيَـمـلأُ نُورُهُ أَطْبَـاقَ دُنْيـا

٤٦- لَـهُ قَلْـبٌ أَحَـاطَ بعـلمِ لَـوْحٍ
وَيَسْـمَـعُ للصَّـرير بـه دويًّا

٤٧- لَهُ قَـلْبٌ تَرَقَّـى فى المَـعَـالى
إلىَ رُتَبٍ تَـفُـوقُ الوصفَ رِقْـيـا

٤٨- لَهُ قَـلْبٌ يـواجـه بـالتَّـجلِّى
يَدُكّ الطُّودَ يَـصْـدَعُـه خَـشِيَّـا

٤٩- لَهُ قَـلْبٌ يُـحِـيطُ بـكلّ سِـرٍّ
وأَضْـحَى سِـرُّه فـينا خَـفِـيَّـا

٥٠- وَخَـاضَ مُـطَلْسَمِ الأَسْـرَارِ فـردًا
وهَامَتْ رُوحـه فـيـهـا مُـضِـيَّـا

٥١- وسـرَّ السِّـرّ أطلعُـهُ إِلَـهى
وغـيبَ الغَـيْب أَشْـهـدَهُ سَـوِيّا

٥٢- وأسْكَـن حُـبَّـه كُلَّ الـبَـرَايا
مَـلاَكَـا جِنَّةً أو آدَمِـيَّـا

٥٣- وَطَيْراً والوُحُوشَ وحُوت بَحْر
كذا الأشجار والرَّمْل الحَصِيّا

٥٤- ومَنْ عَاداه آذَنَهُ الإلَهُ
بَحْرِبٍ لا تُبقّى مِنهُ شيّا

٥٥- يشيُر بنانُه فيمن يُعادى
فيحرقُه ويَنْسِفُه هَوِيّا

٥٦- صَلاحٌ قَدْ حَوى سِبراً لرقَمٍ
بتِسْع بَعْدَ تِسْعين خفيّا

٥٧- فبالحُسْنَى من الأسما تَحلَّى
وأودع قَلْبَهُ سِراً بَهِيّا

٥٨- وَمِنْ سِرٌ اللَّطيفِ عَلَيْهِ فَيْضٌ
يدُقُّ خَفَاهُ إدراكًا ووعيَا

خامسا: تربيته وترقيته للمريدين، رضى الله عنه:

٥٩- لَهُ قلْبٌ يَفيضُ بنور حَقٌ
يُنيرُ لِمَنْ أتَى يرجو رَقِيًّا

٦٠- فكم ذا قَدْ أتاهُ سفيه قوم
ويَشْكُو عِنْدَهُ النَّفسَ الْغَوِيًّا

٦١- فَيأخُذُ سَيدى بيديه حنوا
ويُدْخِلُهُ الرِّحَابَ فَتىً فَتِيًّا

٦٢- ويَشْفِى من سقام النفس دَاءً
قد اسْتَعْصَى على قوم عِتِيًّا

٦٣- وَمَا اسْتَعْصَى عَلَى قومٍ مَنَالٌ
إذَا التِّجَانِى كَانَ لَهُمْ وَلِيًّا

٦٤- عَـلَى أَقْـــــــدَامِ أَقـطَـابٍ يُرَبـىٌ
وَيَسْلُـكُ بالمُــريد هُـدًى زَكِـيًّـا

٦٥- لَهُ فـى كُلِّ مَـنْزِلَـةٍ فُـــحــولٌ
يُرَبِّيـــهم، وَيَهْـــديهـم ســـويًّا

٦٦- وكَمْ رَبَّـى بحَـضْــرَتِهِ رِجَـــالاً
يُزَمْـجِـرُ شـبلهـم أسَـدًا شــريا

٦٧- بِسِــرٍّ لُقَـيْــمَــةٍ زَكَّى أُنَـاسًـا
كَـــذاكَ بِنَـظْرَةٍ رَقَّى عـليـــا

٦٨- ولست ببــالغٍ وَصْـفًـا لشـيْـخِي
فَنِعْـمَ القَـدْرِ صـديِّقًـا ولـيًّـا

سادسا: مدده من سيدى أبى العباس، رضى الله عنهما:

٦٩- سَــقَـاهُ الكَـاسَ مِنْ فـاسٍ إمَـامٌ
فَـأَشْـرق نُورُهُ فِى النَّاسِ ضَـيًّـا

٧٠- أبو العبـاس أسـبـغـهـا مِـزَاجًـا
وَرَوَّى سَـيِّـدى نهـلاً صَـفِـيًّـا

٧١- فَلَيـس لمِــثْـلِ نُورِ الشّــيخ نُورٌ
وَفَـــيْـضَـتُـهُ تَـعُـمُّ الأرض فَـيًّـا

٧٢- لَهُ مِنْ سِـــرِّ خـــاتِـمنَا فـيــوضٌ
تُغِـيثُ القَــوْمَ إشــبـاعًـا وَرِيًّا

٧٣- وَمَـا بَلَغَ الـفُـحُـولُ له ابتـداءٌ
وَقَـدْ عَـجَــزُوا عَنِ الإِدرَاكِ عَـيـا

٧٤- وَلَوْ عَـرَفُوا حَـقِيقَـةَ مَـا لِشَيْـخِي
تَرَى الأَقْطَـابَ يأتُوها جِـثِيًّـا

سابعا: الغرامُ فى الشيخ ، رضى الله عنه:

٧٥- إذا سئِلَ اليَراعُ مَديحَ شَيْخِى
يقولُ بِنَشْوَةٍ هذى عَلَيَّا

٧٦- وَإنْ أَلْزَمْتُه مَدْحًا لِغَيْرٍ
يَقُولُ إلَيْكَ عَنِّى دَعْ يَدَيَّا

٧٧- وَقَدْ لاَمَ الأنامُ عَلَىَّ مَدْحِى
ولَسْتُ بِسَامِعٍ مِنْهُم غَبِيَّا

٧٨- فَفَضْلُ الله لَيْسَ لـه حُدُود
وَحَيَّر فَضْلكم مِنّى النُّهَيَّا

٧٩- فَلَوْ كان الأنَام قَصِيدَ شِعْرٍ
لكُنتَ من البحُور لهم رَوِيًّا

٨٠- ولَوْ كَانوا الزَّمَان لكُنْتَ فيهم
كَلَيْل القَدْرِ، أو عيدٍ لَدَيَّا

٨١- ولَوْ كانوا المكَانَ فَأنْتَ عِندى
لِقَلْبى ثُمَّ رُوحِى قِبْلَتَيَّا

٨٢- ولَوْ كانوا كَمَاءٍ فَاضَ عَذْبًا
لكُنتَ الكَوْثَرَ العَذْبَ النَّدِيًا

٨٣- ولَوْ كَانَ الرجالُ هُمُ الجِبَالُ
لكُنْتَ الطُّورَ أو أُحُدًا المريًا

٨٤- وإنْ جَاءَ الصباحُ فأنت فيه
تَفُوقُ الشَّمْسَ إصْبَاحًا وضَيًّا

٨٥- وَشَمْسُ النَّاسِ إنْ غَابَتْ بِلَيْلٍ
فَإنّك لا تغيبُ ضُحَى عَشِيًّا

٨٦- طَوَيْتُ على مَحَبَّتِكُم فؤادًا
ولَمْ أكُ في الحَيَاةِ لَكُمْ نَسِيًّا

٨٧- وَهِمْتُ بِذِكْرِكُمْ مِنْ غَيْرِ دِنٍّ
وأشْرَبُهَا فتُسْكِرُنِي نَشِيًّا

٨٨- وتَغْمُرُنِي المَدامِعُ هاطِلاتٍ
ويُحْرِقُنِي ضِرَامُ الشَّوْقِ كَيًّا

٨٩- وَأبْدَى كَامِنُ الأحْشَاءِ زَفْرٌ
ووَجْدٌ منه فاضَتْ مُقْلَتَيًّا

٩٠- فَمَا عَرَفَ الصَّبَابَةَ مَنْ يُدَارِي
جراحًا في الحشا فارت جويّا

٩١- وَصَبٌّ مَالَهُ في الصَبْرِ راءٍ
أيَصْبِرُ والحشا ضَرِمت كَوِيًّا

٩٢- أخَافُ جَلالُكم مِنْ غَيْرَ بأسٍ
ويُخجِلُني جمالُ بِهَا المُحَيَّا

٩٣- ولَمْ أرَ في الحياةِ له شبيهًا
بَهِيُّ الوجه وضَّاء المُحَيَّا

٩٤- وأُطْرِقُ مِنْ مَهَابَتِكُم حَيَاءً
وأخْشَى البسط مثل القبض سيًّا

٩٥- وزان الخلق أخلاق كرام
وتَمَّ الحُسْن به مَعْنًى ورئيا

٩٦- ويُدْهِشُنِي جَمالُ الوجْهِ سُكْرًا
ويُفْقِدُنِي جَلالُ القَلْبِ وَعْيًا

٩٧- وذُقْتُ حَلاوةَ الجنَّاتِ لمَّا
تَمَتَّع في جمالِكَ ناظِريًّا

٩٨ - وإن يومٌ يَمُرُّ ولاَ أرَاكُم
أذُوقُ من الجحيمِ لظًى صَلِيًّا

٩٩ - أرَى فِي وَصْلكُم رُوحًا لِرُوحِي
ويُفْقِدني التنائى عنك محيا

١٠٠- فعشت مولَهًا قَبْضًا وبَسْطا
وعِشْتُ محيراً هجرا ولُقْيا

ثامنا: في التوسل بالشيخ، رضى الله عنه:

١٠١- حبيبى سَيِّدى وضياءُ عينى
تحنَّن سَيِّدى واعْطِفْ علَيَّا

١٠٢- سَألتُكَ أن أكون لَدَيْك عَبْداً
وإن أخطأت لا تغضب عَلَيَّا

١٠٣- فشأنُ العبْد تقصيرٌ وجَهْلٌ
وَعَفْوُكَ سَيِّدى لم يُبْق شَيًّا

١٠٤- وكَمْ أسْبَغْتَ مِنْ صُنْعٍ جَميلٍ
عليَّ، وزَوْجَتى، وبِطِفْلَتيَّا

١٠٥- ولاَ أرْجُو لَهُ ردًا سوى أنيّ
أدينُ بكلّ مَا مَلكْتَ يديّا

١٠٦- وكَمْ كَانَتْ لَنَا مِنْكُم هِبَاتٌ
تكِلُّ رقَابُنَا عَجْزاً وعَيًّا

١٠٧- حُجِبْنَا سيدى بالبَسْطِ مِنْكُمُ
وصِرْنا بالهوى صُمًّا عميًّا

١٠٨- فَلَوْلا عَفْوُكُم عنَّا مُسِخْنا
وَلَوْلاَ جُودُكُم ذُقْنَا البَلِيَّا

١٠٩- ولِى حُجُبٌ تحيط القَلْبَ رَيْنًا
وَعَادَ الصُّبْحُ من رينى عَشِيّا

١١٠- فإن رُفِعَ الحجابُ ولى رجاءُ
يَقُولُ القَلْبُ حين يراك وَيًّا

١١١- فَسَامِحْنِى إِذَا أَخْطَأتُ جَهّلاً
وكُن بى سيّدى فضلا حفيًّا

١١٢- فَمَا لى غَيْرَ بَابِكُمُو مَلاذٌ
وَلاَ أرْجُو سِوَاكُم لِى وَصِيًّا

١١٣- فإن تَرْضَوا أكونُ بها سعيداً
وإلاَّ صِرْتُ فى الناسِ النعيًّا

١١٤- فَمَا نَا سَيِّدى إلاّ خديمٌ
أُطِيعُ كلامكُم امراً ونَهْيًا

١١٥- وَحَاشا أنْ أكُونَ ولِىَ انْتِسَابٌ
بِخِدْمَتِكُم عَصِيّا أوْ شَقِيًّا

١١٦- ولَكَن كَمْ أزِلُّ لِقُبْح نَفْسِى
ولَسْتُ مُبَرِّئا نفسى البغيّا

١١٧- وأعْلَمُ أنَّنِى عَبْدٌ مُسِيءٌ
ولَكِنْ سَيّدى يَحْنُو عَلَيَّا

١١٨- خَدِيمُ القَوْمِ مَحْسُوبٌ عَلَيْهم
وَسَاكِن روضهم يلقى نَدِيًّا

١١٩- وَغَايَةُ مَا أُرَجِّى فِى حَيَاتى
رِضَاءُ اللهِ مِنْه عَلَيْكَ فِيًّا

١٢٠- عَلَيْكُ سَلاَمُ ربِّى كلّ حِينٍ
يُبَارِكُكُم غداةً أو عَشِيّا

كلام خاتم الأولياء سيدى

أحمد التجانى[١]

رضى الله عنه

وجّه بعض الأئمة والعارفين وأصحاب سيدى أحمد التجانى ﷺ عدداً من الأسئلة الهامة ضمنها كتابه (جوهر المعانى) سيدى على حرازم برادة، وكان من الأسئلة التى أجاب عنها ﷺ أسئلة عن الشيخ منها:

١- هل الشيخ دالٌّ على الله بمقاله، أو دالٌّ على الله بأفعاله، أو له قوة وأسرار يجلب بها الأرواح للحضرة القدسية؟.

---

(١) هو: سيدى أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم بن العيد بن سالم بن أحمد بن أحمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد الجبار بن إدريس بن إدريس الأكبر بن إسحاق بن زين العابدين بن أحمد بن محمد بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه، من السيدة فاطمة الزهراء، سيدة نساء أهل الجنة، عليها السلام، ابنة رسول الله ﷺ، فهو الشريف الأصل، صاحب الفتح الأكبر، والمقام الأفخم، القطب المكتوم، والإمام الأعظم ﷺ، جبل السنة والدين، والعلامة الدراكة الفهامة، الجامع بين الشريعة والحقيقة، نادرة الزمان ومصباح الأوان، أحد العلماء العاملين، والأئمة المجتهدين، وصاحب الأحوال الربانية الشريفة، والمقامات المنيفة، قوى الظاهر والباطن، كلمته نافذة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولد ﷺ سنة ١١٥٠ ببلدة عين ماضى بالجزائر، وأذن له النبى ﷺ فى سنة ١١٩٦هـ فى تلقين الخلق، وتوفى ﷺ صبيحة يوم الخميس السابع عشر من شوال بعد أن صلى الصبح اضطجع على جنبه الأيمن وطلب ماء فشرب وصعدت روحه الكريمة إلى بارئها سنة ١٢٣٠هـ وعمره ثمانون سنة بعد أن أسس الطريقة التجانية التى ملأت أركان الدنيا الأربعة بنورها.

وتضيق الصفحات فانظر ترجمته فى: صلاح الدين التجانى: كشف الغيوم عن بعض أسرار القطب المكتوم، على حرازم برادة: جواهر المعانى فى فيض سيدى أحمد التجانى، كحالة: معجم المؤلفين ٢/ ١٤٣، الحفناوى: تعريف الخلف ٢/ ٣٨ البغدادى: هدية العارفين ١/ ١٨٣ الاستقصا فى أخبار المغرب الأقصى: ٤/ ١٨٣، محمد البشير ظافر: اليواقيت الثمينة فى أعيان مذهب عالم المدينة، سيدى محمد المشرى (روض المحب الفانى فيما تلقيناه عن سيدى أحمد التجانى) مخطوط، وانظر أيضاً سيدى عمر بن سعيد الفوتى (رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم).

الجواب: أن دلالتـه على الله بكلّيـته، ظاهرًا، وباطنا، بأقـواله وأفـعاله، وأحـواله، وحركاته، وسكناته.

٢- ما يُعتقد فى الشيخ، هل هو مَظْهر للحقائق التى لا تدركها العقول ولا الفهوم، أم هو حـاكم للنفوس لتـقوى الأرواح فـقط، أم هو قوت الأرواح، لتـقبل من الـواردات ما تطيق، أم هو خليـفة النبى ﷺ يبـلغ أسراره البـاطنة، التى لا يدركهـا من اشتـغل بعلم الظاهر؟ فإن كان كما قلنا إلاّ بظاهره فـقط، وغالبا عليه الحس، فليس للقلوب أن ترقى فى مواضع الأرواح؟.

الجواب: الشيخ فى الطريق بمنزلة الدليل يعرف الطريق، ومخـوفها، ويعد لكل محل ما يستـحقـه من الراحلة والزاد، وهو للأرواح والقلوب بمنزلة الطبـيب الماهر فى معـرفة الأمراض العارضـة، ومن أين مادتها، وكيفيـة معالجتهـا كمّا وكَيْفًا، ومـعرفة الأدوية التى يلقيها على تلك الأمـراض، حتى تعود القلوب والأرواح إلى كمال صحّتهـا، فهذا غاية ما عند الشيخ.

وأمّـا مـا وراء ذلك من الفـيوض، والـتجلـيات، والأنوار، والأسـرار، والأحـوال، والعلوم، والمعارف، والتوحـيد، والتفريد، والتّرقّى فى المنازل، والمقامـات فإنما هو بيد الخلاّق الواحد سبـحانه وتعالى يعطى منه ما يشاء، ويمنع منه مـا يشاء، والشيخ سببٌ فى ذلك على القانون المذكور.

وهل للشيخ تصريف فى روح الروح، أم هـو برزخ الأرواح فقط إلى أن يبلغ المريد، ويرجع عنه أم لا ينفصم عنه أبدًا؟.

وأسأل عن أحوال الشـيخ ما السبب فى كونه تارة يجمع علـى نفسه، وتارة على النبى ﷺ وتارة على الله سبحانه.

أكُلُّ ذلك مُدْرج فى صفاته وأحواله أم لا؟.

الجواب: أن روح الروح هو روح حـضـرة القـدس، الذى يأتى بالـفـيض الأقـدس مـشـحـونا بالمـعـارف، والعلوم، والأسـرار، والأنوار، والحكم والرقـائق، والتـحف، والمواهب التى لا تدرك ولا تُعْقل، والأخلاق، والأحوال، واليقين، والتوحيد، والكشف التام، والشهـود الأكبر، والمعرفة الـبالغة الغاية فى جميع الـمراتب معرفة ذوقيـة عينية لا اعتقادية، هذا هو الـروح المعبَّر عنه بروح الروح، والأرواح له كالأجسـاد الكثيفة للأرواح الحيـوانية تدير الأجسـاد، وأى روح من أرواح البشر يرى فيـها هذا الروح، وتركب فيـها

كتركيب الأرواح الحيوانية للأجسام الكثيفة، كان ذلك الروح حيا بالحياة الأبدية الباقية لا يطرأ عليها موت لا فى الدنيا ولا فى الآخرة، ولا تذوق الموتة التى تذوقها البشر، وإنما موته عبارة عن مفارقة روحه الحيوانى بجسده الكثيف فقط ثم تتصل بما لا معرفة بحقائقه لأحد من وجوه النعيم واللَّذة التى لا تُكيف، ولا يعقلها إلاّ من رآها، وإلى هذا الإشارة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ (آية: ١٢٢ من سورة الأنعام).

وأمَّا برزخية الأرواح فهى الأرواح الواصلة إلى حضرة الحق بكمال المعرفة، وصفاء اليقين، وروح المشاهدة، برزخها التى بينها وبين الحضرة هى الحقيقة المحمدية عليها الصلاة والسلام لا غير، ولا برزخية للشيخ فى هذا.

* وهل غاية تولى الشيخ للمريد إلى أن يصل للحضرة ثم ينفصم عنه أبدًا؟

الجواب: اعلم أنه ينفصم عنه عند وصوله إلى مطالعة الحضرة الإلهية ولا يبقى عليه من ملاحظة الشيخ إلاَّ تعظيمه واحترامه وإجلاله ومعرفة شفوف رتبته عليه، فإنه إن قطع التلميذ نظره عن هذا فى حق شيخه سُلِبَ، وطُرِد.

* وكوْن الشيخ تارة يجمع على نفسه، وتارة على النبى ﷺ وتارة على الله.

الجواب: أنه لا مُنَافاة بين أحوال الشيخ فى هذه الثلاثة، فإنه إن دلّ على الله كان ذلك غاية المطلوب، وإن دلّ على النبى ﷺ بالجمع عليه كان ذلك جمعًا على الله، لأنه ﷺ الخليفة المطلق عن الله ظاهراً وباطنا، فالمجتمع عليه مجتمعٌ على الله تعالى، أو دلَّ الشيخ بالجمع على نفسه فهو خليفة النبى ﷺ فى الدلالة على الله، والدعوة إليه، فجمع الناس على نفسه جمع على الله تعالى لأنه خليفة صحيح[1].

(١) انظر على حرازم براده: جواهر المعانى فى فيض سيدى أحمد التجانى: ٢/ ٦٩، ٧٠، ٧١.

مجموعة الفهارس :

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث.

٣- فهرس الأشعار.

٤- فهرس الأعلام.

٥- فهرس المصطلحات الصوفية التى تم شرحها داخل الكتاب.

٦- فهرس المراجع التى أعانت على التحقيق.

٧- فهرس المحتوى.

١ - فهرس الآيات القرآنية :

الآيـــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾	١٦٩	٦٥
﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾	١٨٠	٩٨
٤- سورة النساء		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾	١	١١٤
﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾	٣٢	٩٦
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾	٤٧	٥٧
٥- سورة المائدة		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾	٥٤	٥٠

الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
٦- سورة الأنعام		
﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾	١١	١٠
﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾	١٨	٣٨
﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾	٧٥	١٥٣
﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾	٩١	١٧٤
﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾	١١٠	١٥١
﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	١٢٢	٢٥٣
﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾	١٢٥	١٠٠
﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾	١٦٠	١٢٠
٧- سورة الأعراف		
﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾	٢٨	٢١٥
﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾	٣٢	١٢

الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾	٤٦	١٠٩ ٤٦
﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾	١٤٣	
﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾	١٤٦	٦٢، ٩٩
﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾	١٧٢	٢٠، ٣٥
٨- سورة الأنفال		
﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	١٧	١٣
٩- سورة التوبة		
﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾	٢٥	١٠٠
١٠- سورة يونس		
﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾	٨٨	٥٧

الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١١- سورة هود		
﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾	٤٦	١٠٠
﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾	٨٦	٥٨
﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾	١١٣	١٩٦
١٢- سورة يوسف		
﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٥٣	١٢٧
﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾	٥٤	١٩٥
﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾	٩٠	١١٥
١٣- سورة الرعد		
﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا﴾	٣١	١٠

الآيـــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١٤ - سورة إبراهيم		
﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾	١٥	٩٩
﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾	٢٧	٤٩
١٥ - سورة الحجر		
﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾	٤٢	٣٦
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾	٧٥	١٧٦
﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾	٩٩	١٧٨
١٦ - سورة النحل		
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾	٩٠	١٠٨
﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	٩٦	٦٥
١٧ - سورة الإسراء		
﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾	٤٥	١٠٩
﴿ وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾	٧٢	٦٣

الآيـــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
٢٤ - سورة النور		
﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	٣١	١١٨، ١١٩
﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾	٤٠	٦٢
٢٥ - سورة الفرقان		
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ﴾	٤٥	٧٠
٣١ - سورة لقمان		
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾	٣٣	١٠٠
٣٣ - سورة الأحزاب		
﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾	٥	٩٨
﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾	٤٠	١١٣

الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١٠٧- سورة الماعون		
﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾	٤ - ٧	٦٣، ١٠١
١١٣- سورة الفلق		
﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾	٥	

٢ - فهرس الأحاديث

الحـــــديـــــث	رقم الصفحة
حرف العين	
١١٠- عرض عليَّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا، فقلت: لا، يا رب، ولكن أشبع يومًا، وأجوع يومًا، فإن جعت تضرعت إليك وذكرت، وإن شبعت شكرتك.	٨٧
حرف الغين	
١١١- الغضب جمر يوقد في القلب، ألم تر إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عيونه، فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئًا فليتنقل، فإن كان قائمًا فليجلس، وإن كان جالسًا فليقم، فإن لم يزل غيظه فليتوضأ بالماء البارد، وليغتسل، فإن النار لا يطفئها إلا الماء.	١٥٨
حرف الفاء	
١١٢- فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم.	٨٢
حرف القاف	
١١٣- القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر.	٢١١
١١٤- قال تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ.	١٢٩
١١٥- قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام: هل ترى ربك؟ قال: إن بيني وبينه سبعين حجابا من نور.	١٢١
١١٦- قال عيسى عليه السلام: من ذا الذي يبني على موج البحر دارًا، ويلكم، الدنيا لا تتخذوها قرارًا.	٨٩
١١٧- قال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين، ارضوا بدَنِيِّ الدنيا مع سلامة الدين، كما رضي أهل الدنيا بدنيِّ الدين مع سلامة الدنيا.	٨٩

رقم الصفحة	الحـــــديـــــث
١٢٤	١٩٩- الندم توبة.
٨٠	٢٠٠- نعم المال الصالح للرجل الصالح.
	حرف الهاء
٩٨	٢٠١- هجر النبى ﷺ زينب أيَّامًا.
٧٩	٢٠٢- هذه الدنيا تمثلت لى فقلت لها: إليك عنى، ثم رجَعَت فقالت: إنك إن أفْلَتّ منى لم يفلت منى من بعدك أمتك.
	حرف الواو
١٠٧	٢٠٣- والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة إلاَّ حسن الخلق.
١٠٥	٢٠٤- وفد «عياض بن حمار» على النبى ﷺ ومعه نجيبة يهديها إليه، فقال له: أسلمت؟ قال: لا، قال: إن الله نهانى أن أقبل زبد المشركين فأسلم، فقبلها ﷺ منه.
١٤٩	٢٠٥- وما يؤمننى والقلب بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه.
١٠٣	٢٠٦- وهل يكبُّ الناس فى النار على مناخيرهم إلاَّ حصائد ألسنتهم؟.
	حرف الياء
٧٧	٢٠٧- يا عجبا كل العجب للمصدّق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور.
١٤٩	٢٠٨- يا مثبت القلوب ثبِّت قلوبنا على دينك.
١٤٩	٢٠٩- يا مصرِّف القلوب اصرف قلبى إلى طاعتك.
٩٧	٢١٠- يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا توذوا...
١٤٩	٢١١- يا مُقلّب القلوب ثبّت قلبى على دينك.
٨٣	٢١٢- يقول ابن آدم: مالى، مالى، فهل لك من مالك إلاَّ ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأمضيت.

٣ - فهرس الأشعار

البيت أو الأبيات	رقم الصفحة
قافية الهمزة	
فـيــفنى ثم يـفنى ثم يـفنى	١٧٥
وكـان فناؤه عـيـن البـقـاء	
قافية الباء	
يلوح الخطُّ فـى القـرطاس دهرًا	
وكـاتبـه رهينًا فـى التـراب	
أيا قـارئًا حـروف الخط مـهـلاً	
تأنى واقـرا فـاتـحـة الكتـاب	
لعـبـدٍ قـد كـتبْ هذا بيـده	
ويرجـو دعوةً من ذى الصـحاب	
واهدنيـهـا عسى يُـختم بخيـر	
ويرزقنا الـنجـاة من الحـسـاب	٢١٦
قافية التاء	
فلـو لفنـائى مـن فنائـك رُدَّ لى	
فؤادى لم يرغب إلـى دار غربتى	١٧٧
فجـاهد تشاهد فـيك، ومنك ما	
وضـعت سكونا عن وجـود سكينتى	١٥٠
خلعت عـذارى واعـتذارى الـ	
خلافـة مسروراً بخلـعى وخلعتى	١٦٧

البيت أو الأبيات	رقم الصفحة
ونهج سبيلى واضح لمن اهتدى ولكنها الأهواء عيت فأعيت	٤٠
ونفسى كانت قبل لوَّامة متى أطعها عصت، أو أعصى كانت مطيعتى فأوردتها ما الموت أيسر بعضه وأتبعتها كى ما تكون مُريحتى	١٥، ١٤٦
فعادت ومهما حملته تحملته ـه منى وإن خففْت عنها تأذّت	١٤٧
قافية الخاء	
جُهِلَتْ مقادير الشيوخ أهل المشاهد والرسوخ واستنزلت ألفاظهم جهلاً، وكان لها الشموخ	٢٣٥
قافية الراء	
وللشيخ آيات إذا لم تكن له فما هو إلاَّ فى ليالى الهوى يسرى	٢٢٨
إذا لم يكن عِلْمٌ لديه بظاهر ولا باطن فاضرب به لُجج البحر	

البيت أو الأبيات	رقم الصفحة
وإن كـان إلاّ أنه غـيــر جـامع لوصفيهما جمعا على أكمل الأمر فأقـرب أحوال العليل إلى الرّدى إذا لم يكن منه الطبيب على خبر	٢٢٩
ومن لم يكن إلاّ الوجـود أقامـه وأظهـره مـنشـور ألوية الـنصـر	٢٢٩
فـأقــبل أرباب الإرادة نحــوه بصدق يحل العسر فى جلمد الصخر وآيتـــه ألاّ يمـــيل إلـى هوى فدنيـاه فى طىٍّ وأُخراه فـى نشر	٢٢٩
وإن كان ذا جـمع لأكل طعـامه مريد فلا تصحبه يومًا من الدهر	٢٣٠
ولا تسألن عنه سـوى ذى بصيرة خلىّ من الأهواء لـيس بمـغـتـرٍّ فـمن صَدِئت مـرآة ناظر فـهمـه أرته بوجه الشمس من كلف البدر ومن لم يكن يدر العـروض فـربمـا يرى القبض فى التطويل من أقبح الكسر	٢٣٠

البيت أو الأبيات	رقم الصفحة
قافية القاف	
إذا امتُحن بالدنيا لبيب تكشـ	
ـشفت له عن عدو فى ثياب صديق	٨٩
* * *	
ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته	
حتى يعود إليه الطرف مشتاقا	٥
قافية الكاف	
إن السلوك هو الطريق الأقوم	
فإذا استقمت فأنت فيه السالك	
اشتُقّ من سِلْكِ اللآلئ لفظه	
فحُسامُه عضب المضارب باتك	
لا تمنعنك عن السلوك مضايق	
من خلفهن أرائك ودرانك	
لا يسلكن لغاية ونهاية	
طرق المحال بمشبتيها فاتك	
قافية اللام	
تَبَالَهَ قومى مُذْ رأونى متيما	
وقالوا: بمن هذا الفتى مسَّه الخبْلُ	
وماذا عسى عنى يُقال سوى	
غداة بنُعم له شغل نَعَمْ لى بها شُغُلُ	

رقم الصفحة	البيت أو الأبيات
١٧٢	وقـال نساء الحيّ علنا بذكـر من جـفـانا وبعـد الـعـزّ لذُلّه الذُّلُّ إذا أنعـــمت نُعْـمُ عليَّ بنـظرةٍ فلا أسعدت سُعدى ولا أجملت جمل
	* * *
١٧٧	تعـرَّض قومى للغـرام وأعرضــوا بجانبهم عن صحَّـتى فيه واعتلُّوا رضوا بالأمانى وابتلوا بحظوظهم وخاضوا بحار الحُبّ دعـوى فما ابتلوا فهم فى الـسُّرى لم يبرحـوا من مكانهم وما ظعنوا فى السير عنه وقد كلُّوا وعن مذهبى لما استـحبوا العمى على الـ ـهدى حـسداً من عند أنفـسهم ضلُّوا
	قافية الميم
٨٩	يا خــاطب الدنيــا إلى نفــسهــا تنحَّ عـن خطبـــتهـــا تـسلم إن الـتى تـخطـب غـــــدَّارة قـــريبـة العـــرس من المـــأتم
	قافية النون
٦٤	عش خامل الذكر بين الناس وارض به هذا أسـلم للـدنيـــا وللـدّين

البيت أو الأبيات	رقم الصفحة
ذكت نار شوقى فى فؤادى فأصبحت لهـا وهج مسـتـضرم فى فـؤاديا فيا ربّ إذا صيّرت ليلى هى المنى فـزنّى بعينيـها كـما زنتـها ليـا	١٧٠
ملحوظة: قصـيدة «الشيخ» الـتى جاءت نهاية بالكتـاب (نصوص ومـلاحق) وهى مائة وعشرون بـيتًا (١٢٠) بيتًـا، فلن أذكرها هنا كلها لأنها مـرتبة من ص ٢٤٠ إلى ص ٢٥٠ ومطلعلها: سـأخدُم سـيّدى مـا دُمت حيـا ولا أرضى بغـيـر رضـاه شـيًّـا	٢٤٠
وآخرها: عليـكم سـلامُ ربِّى كل حــين يُبـــاركم غـداةً أو عــشـيًّــا	٢٥٠

٤ - فهرس الأعلام

حرف الألف والهمزة

حرف البـــــاء

حرف التـــــاء

حرف الثـــاء

حرف الجيـــم

حرف الحـــاء

حرف الخـــاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفـــــاء

حرف القـــــاف

حرف الكـــــاف

حرف الميـــــــم

حرف النـــــــون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٥- فهرس المصطلحات التى تم شرحها داخل الكتاب

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القـــــاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميـــــم

حرف النـــــون

حرف الهـــــاء

٦- فهرس المصادر والمراجع التي أعانت على التحقيق

١- الإبريز من كلام سيدى عبد العزيز (الدباغ)	تأليف: أحمد بن المبارك طبع المكتبة العلمية بيروت
٢- ابن الفارض والحب الإلهى	دكتور/ محمد مصطفى حلمى
٣- أبو بكر الصديق	دكتور/ محمد حسين هيكل
٤- الأحاديث القدسية	طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٩٨٦
٥- إحياء علوم الدين	الامام أبو حامد الغزالى تقديم وتحقيق د/ بدوى طبانه
٦- أخبار الحلاج	بتحقيقنا (٢٠٠٠م) المكتبة الأزهرية للتراث
٧- الأدب المفرد	الامام البخارى
٨- الإسرا إلى المقام الأسرى	ابن عربى تحقيق د/ سعاد الحكيم بيروت لبنان
٩- الإصابة فى تمييز الصحابة	ابن حجر
١٠- إصلاح المال	ابن أبى الدنيا (ضمن موسوعة له) بتحقيق عبد القادر عطا مؤسسة الكتب الثقافية بيروت
١١- أعذب المسالك المحمودية	الشيخ محمود خطاب السبكى بتحقيقنا طبع على نفقة حفيد المؤلف
١٢- الأعلام	خير الدين الزركلى
١٣- الإمام على	على عبد الفتاح عبد المقصود
١٤- الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل	بدون تحقيق مكتبة الحلبى
١٥- البداية والنهاية	لابن كثير ـ دار الفكر
١٦- تاريخ الأدب العربى	بروكلمان الطبعة العربية بترجمة أ.د/ محمود فهمى حجازى الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٧- تاريخ الخميس فى معرفة أحوال أنفس نفيس
الديار بكرى
مؤسسة شعبان ـ بيروت

١٨- ترجمة الإمام على
أحمد زكى صفوت

١٩- الترغيب والترهيب
الامام عبد العظيم المنذرى

٢٠- التعرف المذهب أهل التصوف
الكلاباذى

٢١- التعريفات
الجرجانى

٢٢- تعريف الخلف بأخبار السلف
محمد الحفناوى

٢٣- تهذيب الأسماء واللغات
للامام النووى

٢٤- تهذيب الكمال فى أسماء الرجال
جمال الدين المزى
دار الفكر بيروت

٢٥- جامع الأحاديث
الإمام السيوطى
دار المنار القاهرة

٢٦- الجامع الصغير
الامام السيوطى
مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى ١٩٦٣م

٢٧- جامع كرامات الأولياء
يوسف النبهانى
بيروت

٢٨- جمع الوسائل فى شرح الشمائل
ملا على القارى

٢٩- جوامع السيرة
ابن حزم الأندلسى

٣٠- جوامع الكلم
الإمام (صلاح الدين التجانى الحسنى)
سلسلة التراث
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩

٣١- جواهر المعانى وبلوغ الأمانى فى فيض سيدى أبى العباس التجانى
جمع وتهذيب على حرازم برادة
مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٧

٣٢- حالة أهل الحقيقة مع الله
الامام القطب أحمد الرفاعى

٣٣- حبة المحبة
(تأليف محمود الأسكدارى) بتحقيقنا
مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة

٣٤- حدائق الحقائق
شمس الدين الرازى بتحقيقنا
مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة

٣٥- الحكم	ابن عطاء الله السكندرى
٣٦- حلية الأولياء	أبو نعيم الأصفهانى
٣٧- حياة الحيوان الكبرى	الدميرى
٣٨- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور	السيوطى طبعة دار الفكر بيروت
٣٩- ديوان ابن الفارض	المكتبة الثقافية بيروت
٤٠- ديوان مجنون ليلى	جمع وتحقيق عبد الستار فراج مطبعة مصر
٤١- الرسالة القشيرية	الإمام القشيرى مكتبة عيسى البابى الحلبى
٤٢- رشح الزلال فى شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال	تأليف عبد الرزاق القاشانى بتحقيقنا ١٩٩٥ المكتبة الأزهرية للتراث
٤٣- رماح حزب الرحيم على محور حزب الرجيم	عمر بن سعيد الفونى طبع على هامش كتاب جواهر المعانى ١٩٧٧ مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة
٤٤- روض المحب الفانى فيما تلقيناه عن سيدى أحمد التجانى	سيدى محمد المشرى (مخطوط)
٤٥- الرياض النضرة فى مناقب العشرة	المحب الطبرى مكتبة الجندى القاهرة
٤٦- السيرة الحلبية	نور الدين الحلبى
٤٧- السيرة النبوية	زين دحلان
٤٨- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب	لابن العماد
٤٩- شرح الحكم	نور الدين البريفكانى
٥٠- شرح الحكم	الشيخ زروق تحقيق د/ عبد الحليم محمود طبع مكتبة النجاح ـ ليبيا

٥١- شرح الطيبى على مشكاة المصابيح — تحقيق د/ عبد الحميد هنداوى
مكتبة نزار الباز ـ مكة المكرمة

٥٢- صفة الصفوة — ابن الجوزى
دار ابن خلدون

٥٣- طبقات الصوفية — السلمى
بتحقيق نور الدين شريبة
مكتبة الخانجى القاهرة

٥٤- الطبقات الكبرى — الشعرانى
المكتبة التوفيقية

٥٥- الطبقات الكبرى — ابن سعد

٥٦- (السيدة) عائشة ﵄ وتوثيقها للسنة — دكتورة/ چيهان رفعت فوزى
مكتبة الخانجى القاهرة

٥٧- عبقرية الصديق — عباس محمود العقاد

٥٨- غاية السيول فى سيرة الرسول — عبد الباسط الحنفى بتحقيقنا

٥٩- فتوح الغيب — الامام عبد القادر الچيلانى

٦٠- الفتوحات المكية — محيى الدين بن عربى
طبعة دار صادر بيروت

٦١- الفصول فى سيرة الرسول ﷺ — ابن كثير

٦٢- فهرس الفهارس والاثبات — عبد الحى الكتانى

٦٣- فهرس دار الكتب المصرية القاهرة

٦٤- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية دمشق

٦٥- فهرس المكتبة التيمورية

٦٦- فوات الوفيات — للصفدى

٦٧- قواعد التصوف — زرّوق

٦٨- الكاشف فى أسماء الرجال — الذهبى

٦٩- الكامل فى التاريخ — ابن الأثير

٧٠- كتاب الوفيات — ابن قنفد القسطينى

٧١- كشف الخفاء ومزيل الإلباس — (العجلونى)

٧٢- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون	حاجى خليفه
٧٣- كشف الغيوم عن بعض أسرار القطب المكتوم	سماحة الامام صلاح الدين التجانى
٧٤- كشف المحجوب	الهجويرى
٧٥- كشاف اصطلاحات الفنون	التهانوى الفاروقى
٧٦- الكمالات الإلهية فى الصفات المحمدية	عبد الكريم الجيلى بتحقيقنا مكتبة عالم الفكر القاهرة ـ الحسين
٧٧- الكنز فى المسائل الصوفية	الامام صلاح الدين التجانى سلسلة التراث الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة
٧٨- الكهف والرقيم فى تفسير بسم الله الرحمن الرحيم	عبد الكريم الجيلانى
٧٩- الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية	عبد الرؤوف المناوى المكتبة الأزهرية للتراث
٨٠- لسان العرب	ابن منظور طبعة دار المعارف القاهرة
٨١- لسان الميزان	ابن حجر
٨٢- لطائف المنن	ابن عطاء الله السكندرى
٨٣- اللمع	السراج الطوسى
٨٤- مختصر أعذب المسالك المحمودية	بتحقيقنا
٨٥- مختصر دول الإسلام	الذهبى
٨٦- مروج الذهب المسعودى	
٨٧- المستدرك	الامام الحاكم
٨٨- المعارف	ابن قتيبة طبعة الهيئة العامة للكتاب
٨٩- معجم اصطلاحات الصوفية (لطائف الإعلام فى إشارات أهل الإلهام)	طبعة دار الكتب المصرية بتحقيقنا ١٩٩٦م
٩٠- المعجم الصوفى	د/ سعاد الحكيم

٩١- معجم المؤلفين — عمر رضا كحالة — دار إحياء التراث بيروت

٩٢- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث — مجموعة من العلماء

٩٣- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن — محمد فؤاد عبد الباقى

٩٤- معجم مقاييس اللغة — ابن فارس — بتحقيق عبد السلام هارون

٩٥- المغنى عن حمل الأسفار — للحافظ العراقى — على هامش إحياء علوم الدين للغزالى

٩٦- المغنى فى الإنباء عن غريب الأسماء — ابن باطيش — المكتبة التجارية ـ مكة المكرمة

٩٧- المفاخر العلية فى المآثر الشاذلية — أحمد بن محمد بن عباد

٩٨- منارات السائرين ومقامات الطائرين — أبو بكر الرازى بتحقيقنا — الطبعة الثانية هيئة الكتاب

٩٩- منازل السائرين للهروى

١٠٠- المناظر الإلهية عبد الكريم الجبلى — دار المنار القاهرة

١٠١- المواقف والمخاطبات — طبعة الهيئة العامة للكتاب

١٠٢- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة — ابن تغرى بردى — مطبعة دار الكتب المصرية

١٠٣- نفحات الأنس — الجامى

١٠٤- نهاية الأرب — النويرى — طبعة الهيئة العامة للكتاب

١٠٥- نوادر الأصول فى أحاديث الرسول ﷺ — الحكيم الترمذى

١٠٦- نور الأبصار — للشبلنجى

١٠٧- هدية العارفين — البغدادى

١٠٨- اليواقيت والجواهر — للشعرانى — شركة ومطبعة مصطفى الحلبى القاهرة

٧ - فهرس محتوى الكتاب

فهرس كتاب السير والسلوك

الموضـــــــوع الصفحة

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد / الظاهر
ت . ٥٩٢٢٦٢٠ فاكس . ٥٩٣٦٢٧٧

To: www.al-mostafa.com